بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الخرطوم
كلية الدراسات العليا

قسم الدراسات الإسلامية

رسالة دكتوراه

بعنوان

إصلاح المجتمع الإسلامي

(صلح الحديبية:دراسة تحليلية)

إعداد الطالب :
إشراف الدكتورة :
إبراهيم إدريس علي حجاي
أم سلمه محمد صالح

للعام الدراسي 2007م

قال تعالى :

"إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب "

سورة هود الآية-88

إهـــــداء

إلى من أمر الله ببرهما في كتابه العزيز

"وَوَصَّيْنَا الْإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا"

سورة الأحقاف الآية –15

والديَّ العزيزَين حفظهما الله،،،،

وإلى المصلحين ودعاة الإصلاح،،،،

شكر وعرفان

قال تعالى:"هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ "
(سورة النمل الآية-(41)

الحمد لله والشكر لله من قبل ومن بعد على توفيقه ،ورعايته وعنايته ،بكمال هذه الرسالة .

ومن ثم أتقدم بوافر الشكر والامتنان ؛لكل من علمني حرفا واحدا ،بدءا بخلوتي الحاج / عثمان علي حجاي – وأولاد الحاج جابر – ومدرسة – الشهيد/ الأزهري – والمعهد العالي – وجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – وجامعة الخرطوم – في مرحلتي الماجستير والدكتورة –وجامعة شندي – لتكملة الإبتعاث ولكل من وقف بجانبي في مراحلي التعليمية.

وأخص بالشكر والتقدير أستاذتي الدكتورة المصلحة والمربية:أم سلمه محمد صالح /المشرفة على هذه الرسالة وقد استفدت منها كثيرا وأخذت من وقتها الثمين فجزاها الله خيرا .كما أخص بالشكر مصلح الأمة الدكتور الحبر- الحبر يوسف نور الدائم الممتحن الداخلي ومصلح فلذات الأمة الإسلامية وحارس بنت عدنان لإصلاحها من ألسنة الناس الأستاذ الدكتور – علي أحمد محمد بابكر الممتحن الخارجي فلهم مني جزيل الشكر والعرفان.

والحمد لله بدءاً وختاماً

µ

الحمد لله الذي خلق الإنسان ،علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان ، المتكلم بالقرآن ، والخالق للإنسان، والمنعم عليه بالإيمان ،والمرسل رسوله بالبيان ، محمدا– صلى الله عليه وسلم– ، ما تعاقب الجديدان ،وجعل دستوره القرآن،ومنه انبثق الإصلاح والإحسان ،كمـــا كان عليه الصحابة الكرام، عليهم من الله الرحمة والرضوان ،ثم الصلاة والسلام، على الـــنبي ابـــن عدنان ،وعلى آله وصحبه الموعودين بالجنان ، ومن تبعهم واقتفى أثرهم ، ونهج نهجهم، وأصـــلح بينه وبين خالق الأعيان ، و أصلح بينه وبين بني الإنسان ،وأشهد أن محمدا عبده ورســـوله وأمينـــه على وحيه، وخيرته من خلقه وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم، والمنـــهج المـــستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماما للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين ،أرسله على حـــين فتـــرة مـــن الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق، وأوضح السبل ،وافترض على العباد طاعتـــه وتعـــز يرهـــــ ، وتوقيرهـــ ومحبته، والقيام بحقوقه، وسد دون جنته الطرق؛ فلن تفتح لأحد إلا من طريقه ،فـــشرح له صدرهـــ ، ورفع له ذكرهـــ ، ووضع عنه وزرهـــ ، وجعل الذلة والصغار علـــى مـــن خـــالف أمـــرهـــ .

كما أن الذلة مضروبة على من خالف أمره ؛ فالعزة لأهل طاعته ومتابعته قال الله سبحانه :" ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين " (1) وقال تعالى : " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين " (2) وقال تعالى : "فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم " (3) وقال تعالى :" يـــا أيهـــا الـــنبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين " (4)

بحسب متابعة الرسول–صلى الله عليه وسلم ـــ تكون العزة ، والكفاية، والنصرة.و الهداية ، والفلاح والصلاح، والإصلاح ، والنجاة؛ فالله سبحانه علق سعادة الـــدارين بمتابعتـــه ، وجعـــل شقاوة الدارين في مخالفته؛ فلأتباعه الهدى والأمن، والفلاح والعزة، والكفاية والنـــصرة، والولايـــة

(1) سورة آل عمران الآية-139
(2) سورة المنافقون –الآية 8
(3) - سورةمحمد الآية -35
(4) - سورة الأنفال الآية-64

والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة.وقول الله تعالى: " إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" (5)

إن هذه الآية هي أفضل دليل وشعار وعلامة تدل على من آمن بالمبدأ الوارد فيها وهو مبدأ الإصلاح بما تحمله معنى هذه الآيات .كقوله تعالى" لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"(6)

والإصلاح بين الناس عام في الدماء والأعراض والأموال وفي كل شيء يقع التداعي فيه و الملاحظ أن رقم الآية بعدد السور القرآنية .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تنبع أهمية البحث، من خلال معالجته؛ للأساليب التي اتبعها المصلح الأعظم – صلى الله عليه وسلم –والمصلحون من بعده ،كما تكمن أهميته في حياتنا المعاصرة ،ويبدو ذو فائدة عظيمة بعد أن ابتعد المصلحون عن عصر الإصلاح الأول .

(1) إن هذا الموضوع موضوع تحليلي توجد جزئياته في كثير من أبواب الكتب الفقهية ،وكتب الأصول ،وأمهات كتب التفاسير ،وكتب السيرة ،والمغازى المتعلقة بذات الموضوع .

(2) إن جمع هذا الموضوع بكلياته ،وضوابطه الشرعية ،يساعد في معرفة أحكام الإصلاح .ومعرفة كلياته وجزئياته ،أوعى وأدعى لتنفيذها . كما يتيح الفرصة للإطلاع علي مسائله ،بأيسر طريقة.

(3) إفراد هذا الموضوع بالبحث يسهم في حل بعض المعضلات التي تعيشها الأمة الإسلامية

(4) إن هذا الموضوع يناقش ويساعد في حل بعض المشكلات ، السياسية، والاجتماعية ،والاقتصادية والعسكرية .

(5) صلح الحديبية يشكل مظهرا من مظاهر التسامح في الإسلام .

(6) كذلك تنبع أهميته لعدم إفرادهـ بالبحث بالرغم من الحاجة إليه حسب اطلاعي

أهداف البحث :

(1) تغيير هذا المجتمع وتطويره نحو الأفضل والأصلح

(2) إصلاح هذا المجتمع مما هو واقع فيه من بسط النفوذ الأجنبي

(3) فسح المجال عن طريق المعرفة بين شعوب العالم الإسلامي ، التي تربطها روابط التأريخ والثقافة والحضارة، والمفاهيم المشتركة، والمصير الواحد.

(4) نشر ثقافة الإصلاح. قال تعالى: " "َمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ "

([5]) سورة هود الآية – 88 -

([1]) سورة النساء الآية - 114

(5) توسيع ميدان الإصلاح وتضييق باب الفساد

الدراسات السابقة :

الكلام عن إصلاح المجتمع الإسلامي وما يلحق به، موجود بصورة متناثرة في مصنفات المتقدمين، وتراثهم زاخر به، وقد ورد في أمهات كتب التفاسير ، وكتب السنة وشرحها ، وكتب الفقه وأصوله، وكتب الفكر السياسي الإسلامي ،وكتب السياسة الشرعية .وممن تناوله الإمام ابن تيمية ، في كتابه(السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) وفى (الفتاوى)وله فيه عبارات نفيسة ومتينة، متناثرة في مؤلفاته القيمة . وأيضا ممن تناوله أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه (إصلاح المال)ولكن تناول المال وكيفية جمعه وصرفه باعتباره عنصرا من عناصر الإصلاح وتناوله الشاطبي في مؤلفه(الموافقات).

وفي العصور الحديثة وجد عند المفكرين الإسلاميين عناية خاصة لإبراز محاسن الإسلام ومن أبرز العلماء الذين أسهموا فيه الشهيد :سيد قطب وله فيه مؤلفات نفيسة أهمها (أ)خصائص التصور الإسلامي .(ب)نحو مجتمع إسلامي (ج) معالم في الطريق .وللدكتور يوسف القرضاوى مؤلفات عديدة ومن أبرزها (أ) ملامح المجتمع الإسلامي الذي ننشده . (ب)الخصائص العامة للإسلام (ج) شريعة الإسلام(د) (الناس والحق)(ه)غير المسلمين في المجتمع الإسلامي. وأيضا ممن تناوله .د.ياسين محمد يحي .في كتابه(المجتمع الإسلامي في ضوء فقه الكتاب والسنة)وكذلك أحمد أمين في كتابه (زعماء الإصلاح في العصر الحديث)وتناول فيه عشرة من المصلحين، ممن عرفت الأمة الإسلامية منهم الخير الكثير منهم الشيخ /محمد عبده ، والشيخ /محمد بن عبد الوهاب،والشيخ /جمال الدين الأفغاني،وغيرهم .وكتب فيه د/نبيل محمد توفيق السمالوطي كتابين .أحدهما بعنوان :(بناء المجتمع الإسلامي) والآخر(المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع) وتناول فيهما الأسس البنائية للتنظيم في الإسلام ،وتأريخ التفكير الاجتماعي ، عند علماء المسلمين ،ومفهوم البناء الاجتماعي ، ونظام الأسرة ،والتربية ،والاقتصاد، والتنمية . وكذلك في كتاب (أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها)لمؤلفه د/عبد الرحمن حسن حبنكة . (الإسلام عقيدة وشريعة). للإمام الأكبر محمود شلتوت . (مفاهيم إسلامية)أبو الأعلى المودودي (ومنهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية)سليم عبد الله حجازي – فهذا ما وقفت عليه من دراسات وكتابات سابقة في هذا الموضوع ،في حدود اطلاعي .وعلي الرغم من أن هذا الموضوع يظهر من هذا العرض أنه قد كتبت فيه مؤلفات عديدة؛ إلا أنها لم تستوعب كل جوانبه؛ لأن باب الإصلاح مفتوح ،وكذلك باب الفساد ،فبقدر تعدد الفساد تتعدد موارد الإصلاح.

ولا ادعى إن هذا المجال بكر، لم تعالجه الأقلام، فقد أكثر الباحثون في هذا المجال، وطرقوا جوانب كثيرة فيه ،إلا أن جهودهم المقدرة على ما بها من سمو الذوق، وثاقب النظر، وغزارة العلم، لم تتطرق لهذا الجانب بإفراده حسب علمي.

بل هنالك جوانب منه لم تجمع في مؤلف واحد، كما أنني لم أقف علي رسالة علمية تجمع أطرافه، وتحقق جمعه ،في مصنف واحد، مع أهميته ،وحاجة الناس إليه ؛لهذا كانت فيه هذه الرسالة لتكون إضافة خير وبركة . والتي أسأل الله تعالى فيها التوفيق والسداد أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ،وأن يتجاوز كل ما قصرت عنه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الصعوبات التي واجهت الباحث :

كعادة الطالب في أي مجال أن يجد الصعوبة في البداية ،فقد واجهتني في هذا البحث صعوبات جمة ،ومتاعب كثيرة ، وأبرز هذه الصعوبات في نظري هي طبيعة الموضوع إذ أنه كثير المعلومات في مسائله منثورة في بطون أمهات كتب التفاسير، والأحاديث ،والفقه الإسلامي ،وأصوله ،والفكر السياسي الإسلامي .وكتب السياسة الشرعية .

إن مسائل إصلاح المجتمع الإسلامي ،وإن كانت ظاهرة ومعروفة ؛إلا أنها من المسائل التي احتدم فيها الخلاف ،وكثرت فيها الأقوال ؛مما جعلها موضوع إشكال لجميع الجماعات الإسلامية والتربوية .

حدود الدراسة :

تقتصر دراسة هذا البحث :على تعريف الإصلاح وفضله ،ودوائره ، وأنواعه ووسائله وأهميته

ومفهوم المجتمع الإسلامي، والتشريعات التي صاحبت الحديبية ، في العبادات والمعاملات ،وثمرات صلح الحديبية في المجتمع الإسلامي ،التي تتمثل: في حرية الدعوة ،ومراسلة الملوك والأمراء، وحل أزمة المستضعفين، ومبدأ إقرارا لسلام العادل .

المنهج المتبع :

هو المنهج االاستقرائي التحليلي في كثير من مباحث الدراسة ،إضافة إلى المنهج التاريخي، في سرد الحقائق التاريخية.

خطة البحث : وقد اشتمل البحث علي المقدمة وملخص الدراسة –وخمسة فصول وستة عشر مبحثا على النحو التالي :

ملخص الدراسة:

يشتمل هذا البحث على خمسة فصول وستة عشر مبحثا .

وتلخيصه كالآتي _المقدمة وتشتمل **على أهميـــة الموضـــوع وأســباب اختيـــاره، وأهداف البحث ،والدراسات السابقة ،و الصعوبات التي واجهت الباحــث ،وحــدود الدراسة،والمنهج المتبع ،وهيكل البحث .**

الفصل الأول : تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا، وذكرت بعض الآيات التي وردت في القرآن الكريم ،والتي تشمل الإصلاح وفضله، وقد ذكر الإمام البخاري أهميـــة الإصلاح وأفرد له كتابا وبابا وذكر نموذج المجتمع الــصالح .ومــن ثــم شــملت الدراسة دوائر الإصلاح :وهي دائرة الفرد كمكلف بالأحكام الــشرعية ،والأســرة باعتبارها النواة الأولى للمجتمع ، ودائرة ذوي القربى ،وهي ممـــا يـــسأل عنهـــا الإنسان. كما قال تعالى :في سورة النساء"وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَـــامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"ودائرة الجار لما له أهمية قــصوى ، ودائـــرة المجتمـــع بجميع شرائحه .وشـــملت الدراســـة أنـــواع الإصـــلاح الاجتمـــاعي، والـــسياسي والعسكري والروحي .

وكذلك وسائل الإصلاح :وهي كثيرة ومن أهمها الدعاء، ومصاحبة العلماء، ومضاعفة الجهود بين الشباب، ومتابعة المنكرات الظاهرة والحد مـــن انتـــشارها، والقدوة الحسنة، ومراسلة الجهات المختصة للقيام بواجبها، ونشر ثقافة الــشريط الإسلامي ، وحث العلماء بتأليف الكتب والمطويات والدورات الهادفة ،والمــشاركة في وسائل الإعلام والاتصال الهاتفي، ومقاطعة أصحاب المنكرات ،بعد تبيين الحق لهم وتقديم واجب الشكر والثناء لمن قام بواجب الإصلاح ،وأيضا شملت الدراســـة أهمية الإصلاح وفكرته، وبالنظر في واقع التأريخ والصحوة الإســـلامية والفكـــر السياسي .

أكدت الدراسة أن الإصلاح يمكن تحقيقه باستقراء الواقع وتتبع التأريخ إذا تم إصلاح الصحوة والفكر والصفـــوة .وفي الفصـــل الثاني : تعرضـــــــت

الدراسة لمفهوم المجتمع المثالي للإسلام وتعريف المجتمع سواء كـان مجتمعـا قوميا كالمجتمع العربي أو وطنيا كـالمجتمع السويـسري أو عقـديا كـالمجتمع الإسلامي المثالي الذي يعرف حقيقة الإسلام ومراميه .

وفي الفصل الثالث : تم استعراض التشريعات التي صاحبت الحديبية في العبادات :شرح صلح الحديبية وشروطه وأنه ظاهره كان فيه متاعب للمـسلمين وباطنه كان فيه الرحمة والفتح المبين ،والأمر بوجوب طاعة النبي – صـلي الله عليه وسلم– وبطاعته – صلى الله عليه وسلم – تتحقق مزايـا عديـدة منهـا – تحقيق الإيمان ، والهداية ،ودخول الجنة ،ومغفرة الذنوب ، وتبيين حكم العمـرة والإحصار، لما لهما من الفوائد العظيمة إنفاقا وتحملا والتفرغ للعبادة و تبيـين حكم صلاة الخوف ؛ ليعبد الله في الرخاء والشدة ،ومعرفة الأحكام الشرعية، فـي حالة اليسر والعسر .

وفي الفصل الرابع : الحديث عن التشريعات التي صاحبت الحديبية في المعاملات.وهي تأكيد الشورى:وبسطها في أحلك الظروف في العسر واليسر، في المنشط والمكره وتوضيح صفات أهل الشورى، وشروطهم ومؤهلاتهم . وتثبيـت البيعة وإيراد الأدلة وأن من ثبت في البيعة جزاؤه الجنة .وتبيـين حكـم الوفـاء بالعهد والميثاق وهو نموذج حث عليه الإسلام وتوعد من نقض العهـد والميثـاق ليكون مصيره النار، وتأريخ الإسلام حافل بالوفاء عهدا وميثاقا.

وفي الفصل الخامس : تم عرض ثمرات صلح الحديبية (في المجتمـع المسلم) :وتمثل في حرية الدعوة؛ لأنها عالمية؛ ولإسـعاد البـشرية ،ومراسـلة الملوك والأمراء؛ لشرح دعوة الحق التي جاءت لإصلاحهم أولا ،ومن ثم لإصـلاح الرعية التي تحت سيطرتهم . وحل أزمة المستضعفين من المتكبرين والمتعتـين وإقرار مبدأ السلام العادل؛ لجميع البشرية من براثن الوثنية والطغاة . وكل ذلـك لإصلاح المجتمع الإسلامي ، وفي الخاتمة عرض مستوفي لمحتويات البحث .نسأل الله حسنها ،والتوصيات المصاحبة، والمصادر والمراجع وفهارس الموضوعات .

ABSTRACT

This research includes five chapters and sixteen sections. In each chapter there are sections. The sum of the search as follows: the introduction which includes the importance of the topic and why it is chosen, the aim of the study, the previous studies, the difficulties that face the researcher ,limitation of the study, the method used ,and th outline of the research . .

Chapter one defines the reformation from linguistics point of view and idiomatically. There are also some verses from the Koran that talks about the information and its importance . And there is what Elbukhari mentions about the importance of the reformation . He wrote a book about this and he also mentions the model of it and the perfect society. Then the study talks about the reformation Circles; they are: individuals circle who is responsible of the legal rules, the family as the initial base of the society, the neighbor who has the greatest importance, the circle of the relatives that the man is responsiple about and this appears in the Koran in Soraht Elnissaa ie "women" .

There is the circle of the society with all its classes, including the social reformation types, the political reformation, the military, and the spiritual reformation. There are also reformation tools, they are a lot, from which are :prayer, the companion of the learned, making great efforts among the youths, tracing the obvious sins and making for their limitation, the prefect model, sending to the authorities so as to carry out their duties, spreading the Islamic culture through cassettes, encouraging the Savan to write books and pamphlet ,participating in mass media and tele-communications, break of acquaintance with bad people, and praise to be given to those who deals with reformation. The study also includes the ideology and the importance of the reformation ,and from dealing with the reality in history and the Islamic consciousness , and the political ideology . The study assures that the reformation can be fulfilled by studying the reality and by tracing the history to know if there

is completion of consciousness, ideology, and selective reformation .

In chapter two the study show the concept of the ideal society in Islam and the definition of the society whether the society is national like the Arabic society ,or society of patriotism as in Swiss, or ideological society as the Islamic society which is ideal an showing the fact and aims of Islam .

In chapter three there appear the legislations that accompanying EL hudibiyah in worship and the explanation of EL hudibiyah treaty and conditions, and that it's appearance is full of problems for the Muslims but there between the lines is the pity and victory , and the obeying of the prophet peace be up on him and that if we obey him there appears a lot of benefits of which is the fulfillment of(Iman) ie (faithfulness) ,the guidance, entrance to the paradise, forgiving sins, explaining the rule of (Omrah) ie (pilgrim) an restriction, as there up on them are a lot of achievements such as paying, bearing the difficulties, departing for worship, explaining the rule of (fear prayer) so as to worship Allah in time of ease as well as in time of difficulty, and to know the legislative rules in time of ease and in time of difficulty

Chapter four talks about the Legislations that accompanying ELhudibiyah treatment; this for ensuring the (Shura) ie (consultation) and to spread it even in dark times at ease or difficulty, in laziness or in activeness. And there is the explanation of the characteristics of the people to be of Shura and their competency, . There is also the agreement and the evidence for this, and those who are stable in the agreement will go to paradise; there is also explanation of the fulfillment of promise and treaty and charity and this the model that the Islam encourages ,and those who do not fulfill them will go to hell , and in the Islamic history there we find a lot of fulfillment of promises.

Chapter five shows the results that took place due to the treaty of EL hudibiyah (in Muslim society). This appears in the freedom of argumentation and this because its universal ,and for he happiness of humanity, it appears in the messages sent to kings and rulers to explain the Islam and how it's right and that it

comes to reform them firstly and then the public under them ,and to solve the crisis of the feeble who are pride and dogmatic and to admit the peace principle for all humans , to pick them from the claws of the idolaters and the tyrant, All these for the reformation of the Islamic society

In the conclusion there appears the content of the research . we ask Allah to make it in good image. There is also the recommendations, the content of the topics ,and the references and the biography. .

الفصل الأول

تعريف الإصلاح
وفضله، ودوائره ، وأنواعه ووسائله، وأهميته

(وبه ثلاثة مباحث)

المبحث الأول : تعريف الإصلاح وفضله ،

المبحث الثاني : دوائر الإصلاح

المبحث الثالث : أنواع الإصلاح ووسائله وأهميته

المبحث الأول

تعريف الإصلاح وفضله

"الإصلاح نقيض الإفساد والصلاح بكسر الصاد مصدر المصالحة والعرب تؤنثها الاسم الصلح " (1) وأيضا: "الصلاح ضد الفساد. يقال رجل صالح في نفسه من قوم صلحاء، ومصلح في أعماله وأموره، أصلح الشيء بعد فساده: أقامه, فصلح وأصلح : أتي بالصلاح : وهو الخير والصواب "(2)

" الصلح يختص بإزالة النفار بين الناس, وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحا، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصلاح "(3)

"و الصلاح بالكسر مصدر المصالحة والاسم الصلح يذكر ويؤنث وقد اصطلحا و تصالحا واصالحا بتشديد الصاد و الإصلاح ضد الإفساد و المصلحة واحدة المصالح و الاستصلاح ضد الاستفساد" (4)

والصلح : هو السعي في المؤاخاة ،وإزالة ما بينهما من العداوة ، والحرص علي تأليف القلوب فيما بينهم ،وجمعها ، وإزالة العداوة والشحناء "(5) وبذا يكون الإصلاح من مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت لإصلاح البشرية جمعاء مما يصيبها من النكبات في حياتها الدنيوية ومعالجة النفوس الشحيحة والحريصة لحب

---

(1) ابن منظور :جمال الدين أبو محمد بن مكرم – لسان العرب –ج-4- مطبعة دار المعارف –ب- د – ت –ط دار الصادر-ص- 2479

(2) أحمد بن علي الفيومي –المصباح المنير- ج-1-ط- المكتبة العلمية--ب-ت-ط-كتاب الصاد-ص- 345

(3) مجد الدين محمد يعقوب-القاموس المحيط- ج-1-مطبعة دار الكتب العلمية بيروت-لبنان- 1420هـ1999م باب الحاء فصل الصاد- مادة صلح -ص-322 المولود729هـ المتوفى : 817 هـ

(4) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي-مختار الصحاح –ج-1- المحقق –محمود خاطر- -مكتبة لبنان –ناشرون – –بيروت- -1415هـ 1995م –ص-154

(5) مجد الدين محمد يعقوب –القاموس المحيط –ح-1-مصدر سابق باب الصاد-مادة –صلح-2479

الدنيا إلى آفاق أوسع يتمثل في إزالة الرواسب الدنيئة والسعي والحرص علـــى مـــا ينفع المؤمنين . وقيل الإصلاح : عقد يرفع النزاع[1]

وقد وردت كلمة الإصلاح في القرآن الكريم في آيات كثيرة منها ما يدل علـــى إصلاح الأرض بإقامة الشرع الحنيف والمنهج المستقيم .

قال تعالى: " ... وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا..."[2] ، ومنها إصـــلاح النفس الإنسانية كقوله تعالى : " وإن تصلحوا وتتقوا... "[3] ومنها الإصـــلاح بـــين أصحاب المنهج الواحد قال سبحانه:"...فأصلحوا بين أخويكم "[4] وقال تعالي: "فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم "[5] " وهذا تصريح بأنه شجر بينهم اختلاف ومالت النفوس إلي الاتشاح فحض الله علي إصلاح الأنفس "[6]

وعموم الصلح أنه ذكر بخير . قال تعالي :"والصلح خير "[7]

"الصلح مفرد دخل فيه حرف التعريف ليحمل علي الاستغراق " [8]

وفي الآية من سورة هود على لسان نبي الله شعيب عليه السلام: قال تعـــالي:"... إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب " [9]

"وحاصل ما أمر به شعيب – عليه السلام – قومه بعد الأمر بالتوحيد ينحـــصر فـــي ثلاثة أصول : هي حفظ حقوق المعاملة المالية وحفظ نظام الأمة ومـــصالحها وحفـــظ حقوق حرية الاستهداء " [10]

---

(1) الجرجاني :علي بن محمد بن علي – التعريفات – تحقيق : إبراهيم الأبياري – دار الكتاب العربي –بيروت – الطبعة الأولى : 1405هـ ص-176

(2)سورة الأعراف الآية-85

(3)سورة النساء الآية 129

(4)سورة الحجرات الآية-10

(5) سورة الأنفال الآية 1

(6) محمد الرازي –تفسير الفخر الرازي –مصدر سابق -ص 44

(7)سورة النساء الآية-128

(8) محمد الرازي –تفسير الفخر الرازي –دار الفكر للطباعة -ج-18-ط- الثالثة- 1405هـ 1985م ص-213

(9) سورة هود-الآية-88

(10) محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري :جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ج-1 دار البشائر الإسلامية - بيروت - ص-1585 أبو جعفر تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني- الطبعة الرابعة ، 1406 هـ1986

يقول الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره -الكبير- "والمعنى: ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي, وقوله ما – استطعت- فيه وجوه: الأول أنه ظرف والتقدير مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا، والثاني أنه بدل من الإصلاح, أي المقدار الذي استطعت منه، والثالث أن يكون مفعولا له أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه"(1)

ثم يقول :"... واعلم أن المقصود من هذا الكلام أن القوم أقروا بأنه حليم رشيد, وإنما أقروا له بذلك ؛لأنه كان مشهورا فيما بين الخلق بهذه الصفة, فكأنه عليه السلام قال لهم إنكم تعرفون من حالي أني لا أسعى إلا للإصلاح وإزالة الفساد والخصومة, فلما أمرتكم بالتوحيد وترك إيذاء الناس, فاعلموا أنه دين حق وأنه ليس غرضي منه إيقاع الخصومة وإثارة الفتنة. 'ثم يقول': وأما الإجبار على الطاعة فلا أقدر عليه" (2)

إن ما ورد على لسان شعيب ـ عليه السلام ـ إنما هو الكلام نفسه الذي ورد ويرد على لسان كل نبي ومصلح في هذه الدنيا، والإصلاح الذي يريده الله ،هو إصلاح عام في الجوهر، والمظهر، خلافا لمن أظهر الإصلاح وأضمر الفساد. قال تعالى:"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون " (3)

قوله تعالى أنما نحن مصلحون فيه خمسة أقوال:"

أحدها: أن معناه إنكار ما عرفوا به وتقديره ما فعلنا شيئا يوجب الفساد

والثاني: أن معناه إنا نقصد الإصلاح بين المسلمين والكافرين والقولان عن ابن عباس

والثالث: أنهم أرادوا مصافاة الكفار صلاح لا فساد قاله مجاهد وقتادة

والرابع: أنهم أرادوا أن فعلنا هذا هو الصلاح وتصديق محمد هو الفساد قاله السدي.

---

(1)محمد الرازي –تفسير الفخر الرازي –دار الفكر للطباعة ج 18-الطبعة الثالثة-1405هـ 1985م ص-213

(2) المصدر نفسه ، ص 213

(3) سورة البقرة الآية -11

والخامس: أنهم ظنوا أن مصافاة الكفار صلاح في الدنيا لا في الدين لأنهم اعتقدوا أن الدولة إن كانت للنبي –صلى الله عليه وسلم –فقد أمنوه بمبايعته وإن كانت للكفار فقد أمنوهم بمصافاتهم " [1] وإنما التركيز علي هذه الآية الكريمة لمالها من الشبه بين مفسدي قوم شعيب الرأسماليين ، وإفساد الرأسمالية اللبرالية العالمية للمجتمع .

قالت العرب: بضدها تتميز الأشياء. فعلى قدر سهولة الإفساد تكون صعوبة الإصلاح, والإفساد لا يحتاج إلى كثرة تفكير، بينما الإصلاح ينبني على تفكير عميق ، وصعب وعلى إعداد كبير يكبر بحسب كبر المرء وهمته وعمله في حقل الدعوة وحسب التربية التي ترباها من أجل الدين ومكتسبات الأمة .

فضل ا لإصلاح :

وقد خص الإمام البخاري رحمه الله كتابا في صحيحه فسماه كتاب الصلح– وبوب بابا سماه – باب ما جاء في الإصلاح بين الناس وقول الله تعالى " لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا– " [2]
عن قبيصة بن مخارق الهلالي قال تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها قال ثم قال يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش (أو قال سدادا من عيش) ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش (أو قال سدادا من عيش) فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا " [3] وجوز رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المسألة لمن تحمل حمالة من أجل

---

(1)عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي-زاد المسير في علم التفسير-دار النشر –المكتب الإسلامي –بيروت-ج-1-ط-الثالثة-1404هـ ص -32

(2) البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل – الجامع الصحيح المختصر – ج- 2- تحقيق : مصطفى ديب البغا كتاب الصلح –باب ما جاء في الإصلاح بين الناس) د ر ابن كثير – اليمامة – الطبعة الثالثة -1407هـ 1987م –ص-955

(3) مسلم : أبو الحسين –مسلم بن الحجاج – صحيح مسلم – ج- 2- تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت- د-ت- ط- (كتاب الزكاة –باب من تحل له المسألة) رقم الحديث :1044-ص-722

الإصلاح لأهميته القصوى بالرغم أن النفس تكره تحمل العناء، وحث الدين على العفة ،وكف اليد عن المسألة .وكذلك بوب الإمام البيهقي السادس والسبعون باب في الإصلاح بين الناس إذا مرجوا وفسدت ذات بينهم إما لدم أريق فيهم وإما لمال حظير أصيب لبعضهم وإما لتنافس وقع بينهم أو غير ذلك من الأسباب التي تفسد بين الأخوة وتقطع المودة. [1]

قال الله تعالى لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ([2]**) والرحمة تتحقق بإقامة المصالحات النفسية والمجتمعية قال تعالى :" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(** [3]**) أي بين كل اثنين منكم ومن قرابين إخوتكم فالمعنى بين جماعتهم إذا فسد ما بينهم وكذلك المصالحة تمتد لتشمل المصالحات الأسرية وخصوصا منها الزوجية قال تعالى : وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا "(** [4]**) وإن حصل النفور والنشوز يلتمس العقلاء من والحكماء من أقارب الطرفين . قال تعالى : وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا "(** [5]**) وأباح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمن تحمل حمالة في إصلاح ذات بين أن يأخذ من الصدقات ما يستغني به على قضاء دينه وإن لم يكن فقيرا وذلك راجع إلى الترغيب في الإصلاح وتخفيف الأمر على القائمين به ليكون تخفيفه عليهم مبعثا له على الدخول فيه عن بن عباس في قول الله عز وجل فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " (**[6]**) قال هذا مخرج من الله عز وجل على المؤمنين أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم" (**[7]**)**

---

(1) البيهقي :أبو بكر أحمد بن الحسين – شعب الإيمان – ج- 7- تحقيق: محمد السعيد بسيوني – دار الكتب العلمية – بيروت –الطبعة الأولى : 1410 هـ - ص-487

(2) سورة النساء الآية -114

(3) سورة الحجرات الآية - 10

(4) سورة النساء الآية- 128

(5) سورة النساء الآية- 35

(6) سورة الأنفال الآية -1

(7) البيهقي :أبو بكر أحمد بن الحسين – شعب الإيمان – ج- 7- تحقيق: محمد السعيد بسيوني – دار الكتب العلمية – بيروت –الطبعة الأولى : 1410 هـ رقم الحديث - 11084- ص-487

"عن أبي أمامه قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأبي أيوب بـــن زيد يا أبا أيوب ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله قال بلى قال تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا" ([1])

وعن أنس قال كنا جلوسا عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فقـــال يطلـــع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار فلما كان الغد قال مثـــل ذلـــك فطلع ذلك الرجل ثم في اليوم الثالث فتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقـــال إنـــي لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتـــى تمـــضي فعلت قال نعم قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلـــم أره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه فذكر الله تعالى وكبـــر حتـــى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا فلما مضت الـــثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غـــضب ولا هجـــر ولكن سمعت النبي –صلى يقول يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعـــت أنـــت الثلاث مرات فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك لأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمـــل فما الذي بلغ بك ما قال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد فـــي نفـــسي لأحـــد مـــن المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله هذه التي بلغـــت بك وهي التي لا نطيق" ([2]) عن أبي هريرة قال قال: رسول الله –صـــلى الله عليـــه وسلم–" الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا " [(3)]

عن أبي الدر داء قال قال: رسول الله– صلى الله عليه وسلم – ألا أ خبـــركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البـــين وفـــساد ذات البين هي الحالقة"[(4)]

---

(1) الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب – المعجم الكبير – ج- 8- تحقيق : حمدي بن عبد الحميد السلفي – مكتبة العلوم والحكم – الموصل –الطبعة الثانية – 1404هـ - 1983م رقم الحديث 7999-ص- 257:

(2)أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني –مسند الإمام أحمد –ج -3- مؤسسة قرطبة – القاهرة – د-ت- ط- رقم الحديث : 12720-ص- 166

(3) ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد- صحيح ابن حبان –ج-11تحقيق-شعيب الأرناءوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة – 1414هـ - 1983م(كتاب الصلح – ذكر الإخبار عن جواز الصلح بين المسلمين ما لم يخالف الكتاب أو السنة أو الإجماع) رقم الحديث 489ص5091

(4) ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد-صحيح ابن حبان -ج-11- تحقيق-شعيب الأرناؤوط (يجب على المرء من لزوم إصلاح ذات البين بين المسلمين) رقم الحديث 5092ص-489-

"تشاورت قريش في هدمها وهابوه فقال الوليد إن الله لا يهلك من يريد الإصلاح فارتقى على ظاهر البيت ومعه العباس فقال اللهم لا نريد إلا الإصلاح ثم هدم فلما رأوه سالما تابعوه" [1]

عن أم كلثوم بنت عقبة قالت سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يقول ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيرا أو نمى خيرا [2]

عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –لا يحل الكذب إلا في ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس[3].عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة :" لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية قالت : فقالت حفصة : يا رسول الله أليس الله يقول " وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا" [4]قال فسمعته يقول " ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا"[5]

كل هذه الأدلة الشرعية تحث على إصلاح ذات البين بين المجتمع الإسلامي ووردت بالتواتر ليعيش أفراد المجتمع الإسلامي في وئام ومحبة وسلام واطمئنان ومن أجل الإصلاح أباح الإسلام حتى الكذب لجمع الصف المسلم مع أ ن الكذب محرم شرعا لكن من أجل الإصلاح ونزع فتيل الفتنة وغرس المحبة والوئام أجاز الإسلام مثل هذا التصرف بحذر .

---

(1)ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد-صحيح ابن حبان –ج-11تحقيق-شعيب الأرناؤوط (ذكر الأخبار عما يجب على المرء من لزوم إصلاح ذات البين بين المسلمين)رقم الحديث 5092ص-489-

(2) الترمذي: محمد بن عيسى –سنن الترمذي –تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون –ج-4-دار إحياء التراث –بيروت ب-ت-ط(-باب ما جاء في إصلاح ذات البين) رقم الحديث 1938ص-331

(3) الترمذي : أبوعيسى محمد بن عيسى – سنن الترمذي – ج-4- تحقيق : أحمد شاكر وآخرون – دار إحياء التراث العربي –بيروت – د-ت-ط- (كتاب البر والصلة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء في إصلاح ذات البين) رقم الحديث : 1939-ص- 331

(4) سورة مريم الآية -71

(5) سورة مريم الآية -72

المبحث الثاني

دوائر الإصلاح

دائرة الإصلاح الفردي:

وتتضح أساس هذه الحقيقة في جميع المجالات والأصعدة التي تحدث عنها القرآن الكريم في نطاق الهداية، والإصلاح، فعلى صعيد دائرة (الإصلاح الفردي) تحدث القرآن عن ذلك بتفصيل ؛ لأن هدف الرسالة الإلهية هو إصلاح الإنسان ، وتربية هذا المخلوق الذي شملته العناية الإلهية منذ خلقه قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً"[1] فليس غريبا أن يبدأ الإصلاح بالإنسان كفرد وهذه منهجية الرسالة المحمدية الإلهية عن بقية المناهج البشرية، فالإنسان له قيمة عالية وغاية عظيمة عند الله ، ومن أجله خلق الله له الكون، وسخر له الشمس والقمر، وسخر له كل شيء.قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِه إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لرءوف رَّحِيمٌ [2]

وقال تعالى :" وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ " [3] ، و قال تعالى: "اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْوَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ " [4]

([1]) سورة الإسراء الآية-70

([2]) سورة الحج الآية - 65

([3]) سورة النحل الآيات- 11-16

([4]) سورة إبراهيم الآية- 32-33

وقال تعالى:"فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ" [1] وقال تعـــالى: "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَـــأَنَّى يُؤْفَكُونَ " [2].

وهذا على عكس المناهج الوضعية الماركسي منها والرأسمالي وغيرها، والتي تسعى جاهدة لاستغلال الإنسان؛ لأغراضها المادية، بجعله وسيلة لتقدمها الحضاري، أو لتطورها الآلي والتقني، ولكن القرآن بمنهجه السماوي ،أعطـــى الإنـــسان قيمـــة معنوية عالية إذ جعله الله خليفته في الأرض،قال تعالي: "وإذ قال ربك للملائكة إنـــي جاعل في الأرض خليفة "[3] ، ومن أجله أمر الله ملائكته بالمحافظة عليه، والعنايـــة به قال تعالي: " لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِـــنْ أَمْـــرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن والٍ" [4].

ولقد أطلق الله له التفكير والابتكار أن يفعل ما يشاء فـــي الأرض لرفاهيتـــه، وسعادته ، وأمور دنياه ؛ليستفيد مما هوا مدخر فيها ؛ وليستغل عـــصارة جهـــده و أفكاره لما ينفعه ، ولكن حذره من أن يستغل هذه الإمكانيات في الفساد والإفساد، قال تعالي : "وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًـــا إِنَّ رَحْمَـــتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ "[5]" نهاهم الله سبحانه عن الفساد في الأرض بوجه من الوجوه قليلا كان أو كثيرا ومنه قتل الناس وتخريب منازلهم وقطع أشجارهم وتغوير أنهارهم ومن الفساد في الأرض الكفر بالله والوقوع في معاصيه ومعنى " بعد إصلاحها": بعـــد أن أصلحها الله بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتقرير الشرائع " [6]

---

(1)سورة ص الآية-36
(2)سورة العنكبوت الآية -61
(3) سورة البقرة الآية-30
(4) سورة الرعد الآية- 12
(5) سورة الأعراف الآية- 56
(6) محمدعلي الشوكاني –فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير-ب-د-ت-ط-ج-2-ص-311

وعلى نفس نطاق الإصلاح الفردي فقد بيّن القرآن الكريم على تحـــــرير أفكاره، وعقائده ،من خرافات الجاهلية، وبراثن الوثنيـــة، ومـــن عبـــادة الأصـــنام ، والأشخاص إلى عبادة الله الواحد القهار، قال تعالي: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّـــلاَلَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"[1].

وفي سبيل أن يعيش الإنسان في رفاه ، وسعادة روحية ،ونفـسية مطمئنـــة أعطاه القرآن مجموعة من العبادات الشرعية ، من الصلوات والصيام؛ للارتبـــاط بخالق الكون بواسطة الدعاء، والابتهال ،والتفرغ لملء الجانب الروحي بشحنات من الأنوار القدسية المباركة؛ لتكون بمثابة غذاء معنوي. وللعبادات تأثير واضـــح فـــي سلوك الفرد ؛ فتزيد من مراقبة ربه في السر ،والعلن،والخوف منه؛ فيبتعد عـــن المعاصي والمنكرات، ويسارع إلي عمل الخيرات .ولا شك أن المجتمع سيكون سعيدا إذا وجد فيه من يؤدي ما فرض عليه

قال تعالي: " .... وَقُرْآنَ الْفَــجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَـــانَ مَــشْهُودًا"[2]" . "فهذه العبادات يجب الحرص عليها والدعوة إليها، ولا يجوز التقليل من شأنها ،وهـــي تقوي الإيمان وترسخه؛ فهي له بمثابة الماء للنبـــات والهواء للإنسان " [3]

ولكي لا يكون سلوك الإنسان كبقيـــة الحيوانـــات والأنعـــام ــ وجــه الكتـــاب العـــزيز مجموعة من الأحكام ، والقوانين ؛ ليصلح سلوكه وفق الإطـــار الإنـــساني الكامل قال تعالي :"إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَـــاءِ ذِي الْقُرْبَـــى وَيَنْهَـــى عَـــنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " [4] . وقال تعالي:"وَأَوْفُوا بِعَهْـدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّـــمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُـــونَ" [5]

وبهذا المنهج القرآني ــ على نطاق الإصلاح ــ لم يترك الكتاب المجيد الجانب الروحي ، "عن عثمان رضي الله عنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعـــالى علـــى صفحات وجهه وفلتات لسانه والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على

([1]) سورة النحل الآية- 36
([2]) سورة الإسراء ا لآية- 78
(3)عبد الكريم زيدان - أصول الدعوة -دار عمر بن الخطاب الإسكندرية ط-الثالثة 1396هـ 1976م-ص -39
([4]) سورة النحل الآية- 90
([5]) سورة النحل الآية - 91

صفحات الوجه فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس

كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته " [1]

وكذا الجانب المعنوي في الإنسان ، و لم يهمل الجانب الجسدي، والصحي.

"...كما حرص الإسلام علي تربية الجسم المتكامل عقليا، وجسديا، وروحيا، واجتماعيا، وانفعاليا، وجماليا؛ ولذا امتدح القرآن الكريم القوة الجسمية وأنها قرنت بالعلم و الأمانة وضبط الانفعال" [2]

"ومن لا يقدر على إصلاح نفسه فينبغي أن تقع البداية بإصلاح القلب وسياسة النفس ومن لم يصلح نفسه وطمع في إصلاح غيره كان مغرورا كما قال الله تعالى :" أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ " [3]. وفي الحديث إن الله تعالى قال لعيسى بن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني ومثال من عجز عن إصلاح نفسه وطمع في إصلاح غيره مثال الأعمى إذا أراد يهدي العميان وذلك لا يستتب له قط وإنما يقدر على إصلاح النفس بمعرفة النفس" [4]

ودائرة الإصلاح الفردي وفق النظرة القرآنية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا جاهد الفرد نفسه للقيام بالأمور المهمة التالية:

تصحيح المعتقدات الفكرية: التي عادة ما يقتبسها الأفراد من مجتمعاتهم من دون التدبر والتأمل في صحتها أو سقمها، وإذا سئل ما هذه الأفكار؟ أجاب كما قال تعالي:"وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ " [5]ولكي يتم الإصلاح لابد من مراجعة هذه الأفكار، من أي مصدر اقتبسها؟ هل من مصدر سماوي ؟حتى يسير على وفقها؟ قال

([1])إسماعيل بن عمر بن كثير –تفسير ابن كثير-ج-4–دار الفكر- بيروت-1401هـ ص 205

(2) عبد القادر الفادني –منهج الإسلام في تربية الأجسام –سلسلة إصدارات –دار الشريعة- 1419م 1998م ص- 22

(3) سورة البقرة الآية -44

(4)-أبو حامد الغزالي محمد بن محمد بن محمد-فضائح الباطنية-تحقيق-عبد الرحمن بدري –مؤسسة دار الكتب الثقافية الكويت – د-ت-ط-ص-84

([5]) سورة الزخرف الآية - 24

تعالى :" أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " [1] وقال تعالي :" يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ "[2] ، أم من مصدر بشري جائز الخطأ والاشتباه؟

إزالة الترسبات النفسية، من الأحقاد والضغائن والحسد والكبر والحرص. قال تعالي : "... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ "[3]إعطاء الحقوق لأهلها ، وإصلاح أخطائه السابقة مع الناس ومع الخالق . قال تعالى: "... رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ "[4]بناء الفكر على رؤى عقديّة سماوية ابتداء من الإيمان بوحدانية الله عز وجل، مروراً بالإيمان بالنبوة والدعوة لتحكيم كتاب الله ،والإمامة العادلة ، وانتهاء بالميعاد والحساب ، في يوم القيامة كأصول دينية، وأما الفروع الدينية فلابد من أخذ الأحكام والقوانين اليومية من الكتاب المجيد ، والسنة النبوية ،وآثار الصحابة الكرام ، وكتب الفقه الإسلامي في تسيير حياة الإنسان وفق منهاج الله عز وجل، قال تعالي :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ "[5].

بناء شخصية روحية من خلال إنشاء علاقة روحية مع الله عز وجل، ومع أنبيائه ورسله ،ويستطيع بناء هذه العلاقة الروحية بالتواصل في الأدعية والمناجاة مع خالقه العظيم ، وبأداء الفرائض، والواجبات الشرعية. قال تعالي: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" [6]

وبهذه الأمور يستطيع الإنسان إصلاح نفسه والى هذه الحقيقة جاءت الآيات القرآوَلاَ هُمْ يَحْزَنُون" [7] و قال تعالي :"أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ

---

(1)سورة الملك الآية 14
(2)سورة غافر الآية- 19
(3) سورة الحشر الآية -10
(4)سورة البقرة الآية -285
(5) سورة آل عمران 102
(6) سورة الأحزاب الآية-70- 71
(7)سورة الأنعام الآية - 48

وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[1] وقال تعالي :"وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ" [2] و قال تعالي :"إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا" [3] ، قال تعالي : "فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ" [4] ؛ فإذا قام الفرد بهذه الإصلاحات الذاتية ،والتغيرات الأساسية ــ نال الأجر العظيم من الله الكريم ورافقته السعادة الأبدية؛ فلا خوف عليه ولا يحزنه إذ يكفّر الله عن سيئاته ويصلح باله كما تشير إليه الآية المباركة، قال تعالي : ".وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ"[5] وتشمله العناية الإلهية باستمرار قال تعالي : "سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ" [6] ،هذه رؤية القرآن الحكيم حول الإصلاح الفردي.

دائرة إصلاح الأسرة:

تبدأ أول حلقة من حلقات إصلاح الأسرة بتكوين مجتمع صغير، يتألف من أب وأم وأولاد، فالإسلام شرع أحكاما لضبط علاقة الرجل بالمرأة، وأحكاما لضبط علاقة الأبناء بالآباء، وأحكاما لضبط علاقة الأبناء بعضهم ببعض؛ ليقود ذلك لإصلاح الأسرة .فحين يكون هناك رغبة في الزواج يشرع للرجل أن يختار المرأة ذات الدين كما قال :رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك"[7]

وذات الدين تكون مؤتمنة على العرض وعلى المال وعلى الأولاد، وأما إذا كانت غير ذات دين فقد تفسد عليه ماله بالسرقة والإتلاف والإسراف، وقد تفسد عليه فراشه بأن تدخل على نسبه من ليس فيه، وقد تفسد عليه أولاده أيضا بتوجيهات غير صالحة، وبالتالي تكون هذه المرأة مفسدة ومدمرة لكيان الأسرة، وأيضا مطلوب من المرأة أن تتخير صاحب الدين عندما تتزوج كما قال : رسول الله – صلى الله عليه

---

(1) سورة الأنعام الآية 54-
(2) سورة الأعراف الآية-170
(3) سورة النساء الآية-146
(4) سورة الأعراف الآية- 35
(5)سورة محمد الآية – 1
(6)سورة محمد الآية – 5
(7) البخاري : ج-5- مصدر سابق (كتاب النكاح – باب الأكفاء قي الدين) رقم الحديث : 4802-ص- 1958

وسلم – إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة فـي الأرض وفساد قالوا يا رسول الله ! وإن كان فيه ؟ قال إذا جاءكم من ترضون دينـه وخلقـه فانكحوه ثلاث مرات"(1)

كما حدد الشرع العلاقة بين الزوجين بعد الزواج، فأعطى الرجل حق القوامـة على الأسرة وأوجب على المرأة طاعة الزوج من غير معصية الله تعالى ليستقيم حال الأسرة ولا تتعرض للانهيار بتنازع الزوجين على قيادتها

قال تعالى: الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِـي تَخَـافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا "(2) .

وهناك حقوق للمرأة على الرجل، فيجب عليه احترام مشاعرها بإكرامها وإكرام أهلها، وتهيئة المسكن المناسب لأمثالها، وبذل النفقـة اللائقـة بهـا مـن المطعـم والمشرب والمسكن ، قال تعالى: وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ "(3) أي درجة القوامة على شؤون الأسرة، " عن سـليمان بن عمرو بن الأحوص حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسـول الله صـلى الله عليه وسلم . فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال (استوصوا بالنـساء خيـرا فإنهن عندكم عوان . ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك . إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح . فإن أطعنكم فـلا تبغوا عليهن سبيلا . إن لكم من نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا . فأما حقكـم علـى نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون . ولا يأذن في بيـوتكم لمـن تكرهـون . ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن "(4) فلا يجوز إهانة المـرأة وتحقيرها وظلمها لا في بدنها ولا في نفسها ولا في مالها: كما لا يجوز لها أن تتمرد

---

(1) الترمذي :–سنن الترمذي : ج-3- مصدر سابق (كتاب النكاح– باب ماجاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه) رقم الحديث :1085- ص-395

(2) سورة النساء الآية -34

(3) سورة البقرة الآية -228

(4) ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القز ويني – سنن ابن ماجة – ج- 1- تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – بيروت – د-ت-ط- (كتاب النكاح – باب حق المرأة على زوجها) رقم الحديث : 1851-ص-594

على طاعته ولا تخرج من بيته بغير إذنه ولا تتصرف في ماله بغير إذنه ولا تأذن بدخول بيته لمن لا يرضى به زوجها كي تستمر العلاقة الحسنة قائمة بينهما.وأيضا فقد حدد الشرع علاقة الآباء بالأبناء، فالوالدان لهما على الولد من الطاعة كما قال تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [(1)]

لكن هذه الطاعة مقيدة بما إذا لم يأمر الوالدان أو احدهما بمعصية الله تعالى: كما قال تعالى: " وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "[(2)]

إذن للأبوين حق الطاعة والإحسان من الأبناء وحق الرعاية عند الكبر. فان للأبناء على الآباء حق الرعاية المادية والمعنوية، حق التعليم والإرشاد والتوجيه والإنفاق بالعدل، كما قال تعالى:" وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا " [(3)] وقال تعالى :"يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ" [(4)] كما إن للإخوة في الأسرة على الإخوة حقا سواء كانوا بنين أو بنات من الألفة والمحبة والتعاون على الخير والاحترام المتبادل قال – صلى الله عليه وسلم –"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة" [(5)]
وإذا حصل خلاف بين الزجين كما قال تعالى: "وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُن فَعِظُوهُن وَاهْجُرُوهُن فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُن فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِن سَبِيلاً"[(6)]
وإذا لم يتم الحل بهذه الإجراءات يؤتى بحكم من أهله وحكم من أهلها كما قال تعالى: "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً

([1]) سورة الإسراء الآية -23-24
([2]) سورة لقمان الآية-15
([3]) سورة الفرقان الآية-76
([4]) سورة النساء الآية-11
(5) البخاري :ج-2- مصدر سابق (كتاب المظالم – باب لايظلم المسلم المسلم ولا يسلمه) رقم الحديث : 2310-ص-862
([6]) سورة النساء الآية -34

يُوَفِقِ اللهُ بَيْنَهُمَا"(1) وإذا لم يتم الحل بالحكمين يكون الطلاق أو المخالعة، وقد قال تعالى" وَإِنْ يَتَفَرقَا يُغْنِ اللهُ كُلّاً مِنْ سَعَتِه"(2) وآخر الدواء الكي.

دائرة حسن الجوار:

وقد شرع الله تعالى أحكاما لضبط العلاقة مع الجوار فأمر بكف الأذى ومنع الظلم عنه فقال : " عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا وما ذاك يا رسول الله قال الجار لا يأمن جاره بوائقه قالوا يا رسول الله وما بوائقه قال شره "(3)

كما يعني مصائبه وبلاياه، فالجار له حق على جاره بأن يحسن إليه، وان لم يستطع أن يحسن إليه إيجابا يحسن إليه سلبا بأن يكف عنه أذاه سواء كان هذا الجار مسلما أم غير مسلم فقد ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :" من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله و ماله فليس ذاك بمؤمن و ليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه أتدري ما حق الجار إذا استعانك أعنته و إذا استقرضك أقرضته و إذا افتقر عدت عليه و إذا مرض عدته و إذا أصابه خير هنأته و إذا أصابته مصيبة عزيته و إذا مات اتبعت جنازته و لا تستطيل عليه بالبناء تحجب عنه الريح إلا بإذنه و لا تؤذيه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها و إن اشتريت فاكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا و لا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده أتدرون ما حق الجار و الذي نفسي بيده ما يبلغ حق الجار إلا قليلا ممن رحم الله فما زال يوصيهم بالجار حتى ظنوا أنه سيورثه ثم قال : رسول الله صلى الله عليه و سلم : الجيران ثلاثة فمنهم من له ثلاثة حقوق و منهم من له حقان و منهم من له حق فأما الذي له ثلاثة حقوق فالجار المسلم القريب له حق الجار و حق الإسلام و حق القرابة و أما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار و حق الإسلام و أما الذي له حق واحد فالجار الكافر له حق الجوار"(4) وأذى الجار عمل خطير لما يورثه من أضرار وأحقاد بين المتجاورين استوجب تحذير الشرع منه .

---

(1) سورة النساء الآية -35

(2) سورة النساء الآية -130

(3)أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني : مسند أحمد بن حنبل –ج-2-مؤسسة قرطبة – القاهرة –د-ت-ط-رقم الحديث :7860-ص-288

(4)البيهقي : أبوبكر أحمد بن الحسين –ج- 7- تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى :1410هـ - باب إكرام الجار – رقم الحديث : 9560- ص- 83

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –قال قال رجل : يا رسول الله" إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في النار قال يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وإنها تصدق بالأتوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في الجنة" [1]

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت [2]

فدائرة الجوار عند المجتمع المسلم هي النواة الأولى في المعاملات فإذا صلحت صلح المجتمع كله ،ولذا النبي – صلى الله عليه وسلم – اهتم بها اهتماما بالغ الأهمية من اختيار النواة الأولى والمعاملات بينهم وعلائق الأولاد بعضهم مع بعض وغيره .

دائرة صلة ذوي الرحم :

صلة ذوي الرحم أكد عليها الشرع وأوصى بها، وذلك بإكرامهم والإحسان إليهم كلما أمكن ذلك وزيارتهم للتأثير فيهم بصورة ايجابية حتى لا يتمكن المنحرفون من استجلابهم وتضليلهم، كما قال تعالى: "فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ"[3]

والنبي– صلى الله عليه وسلم – يرغب في صلة الرحم ويحذر من قطعها ؛كما جاء في الحديث: ' أن محمد بن جبير بن مطعم أخبره أن أباه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع رحم"[4] وصلة الرحم واجبة ولو كان غير مسلم لقوله تعالى :

وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [5]

([1]) أحمد بن حنبل :المسند –ج- 2- مصدر سابق – رقم الحديث :9673-ص- 440

(2)البخاري : ج- 5-مصدر سابق (كتاب الأدب – باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه) رقم الحديث : 5785-ص- 2273

([3]) سورة محمد الآية -22

(4) مسلم : ج- 4- مصدر سابق (كتاب البر والصلة والآداب – باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها) رقم الحديث :2556- 1981

([5]) سورة لقمان الآية - 15

دائرة الإخوة الإسلامية العامة:

شدد الله تعالى على علاقة المسلمين بعضهم مع بعض فجعل الإسلام رحما بين أهله، كما النسب رحم بين المشتركين فيه، قال تعالى: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " [1] وفي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"[2]

فصار المسلمون أسرة إيمانية، الأب فيها رسول الله وزوجاته أمهات المؤمنين قال تعالى : " النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا "[3]

فالنبي عليه السلام أولى بالطاعة وأزواجه أمهات المؤمنين وهم أخوة في الدين ؛ لأنها أولى من أخوة القرابة

وبما أن المسلمين إخوة فان مقتضى الإخوة أن يتعاملوا بالمودة والاحترام وعدم التقاطع والتحاسد والتحاقد والتدابر. لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال " [4] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" [5]) للجماعة أن تكون لها قيادة لتجلب لها النفع وتدفع عنها الضرر.وتخطط لشئون الحياة وتبين نهج النبوة في الخصومات وسائر مناحي الحياة كما ورد عن ابن عمر.

---

(1)سورة الحجرات-16

(2)البخاري :ج-2-مصدر سابق (كتاب المظالم –باب لايظلم المسلم المسلم ولا يسلمه)رقم الحديث :2310-ص862

(3) سورة الأحزاب الآية -6

(4) البخاري :ج-5- مصدر سابق (كتاب الأدب – باب الهجرة) رقم الحديث : 5726-ص- 2256

(5) الترمذي : -ج- 4-مصدر سابق (كتاب البر والصلة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء في الستره على المسلم) رقم الحديث : 1930-ص- 326

جاء عبدا لله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال اطرحوا لأبي عبدا لرحمن وسادة فقال إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" (1)

فلا بد أن يرتبط المسلم بإخوانه ليشكل معهم بهذا الارتباط الجسم الإسلامي الواحد، كما قال' : مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ' " (2)

وأوجب على المحكوم طاعة الحاكم في غير معصية، كما أوجب على الحاكم العناية بالمحكوم وحذر من التفريط فيها فقال" ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة" (3)

والشرع قد حرم تعددية القيادة، لأن تعددية القيادة تمزق الجسد وتضعف الأمة كما قال : إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما" (4)

والطاعة للحاكم تكون مقيدة بما إذا لم يأمر بمعصية، كما في الحديث: 'لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنما الطاعة بالمعروف " (5)

وطاعة الحاكم تجب؛ لأنها تحقق المصلحة العامة التي يحفظ بها المجتمع كيانه عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة "(6)

ويجب على الحاكم أن يراعي حق الله تعالى عليه في الرعية فلا يظلمهم في أموالهم ولا في أعراضهم كما ورد في الحديث:عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله–

---

(1)مسلم – ج- 2-مصدر سابق (كتاب الجهاد والسير – باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة) رقم الحديث : 1851-ص- 1478

(2) مسلم : ج- 4- مصدر سابق (كتاب البر والصلة والآداب – باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) رقم الحديث :2586-ص-1999

(3) مسلم : ج- 4- مصدر سابق (كتاب الإمارة – باب إذا بويع لخليفتين) رقم الحديث :1853-ص-1480

(4) مسلم : ج- 4- مصدر سابق (كتاب الإيمان – باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار) رقم الحديث :142-ص-125

(5) أبو داؤد: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي – سنن أبوداؤود-ج- 2-تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – دار الفكر –بيروت (كتاب الجهاد – باب في الطاعة) رقم الحديث : 2625- ص- 46

(6) البخاري : ج- 6- مصدر سابق (كتاب الأحكام - باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية) رقم الحديث : 6825-ص- 1612

صلى الله عليه وسلم –" انصر أخاك ظالما أو مظلوما . فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره " [1]

وفي القرآن الكريم " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِ وَالتقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ "[2]

وهذه الأحكام الشرعية تهدف إلى إيجاد بناء كيان المجتمع المسلم المترابط قمة وقاعدة ليحافظ على وجوده ويدافع عن حقوقه وقد احكم الله تعالى بناءه بكلمته الصادرة عن علمه وحكمته فيجب طاعته تعالى فيها وعدم تقديم قول أحد على قوله وقول رسول الله حتى لا يختل هذا البناء ولا ينهار ذلك الكيان فينتشر فيه الفساد والفوضى ويدب فيه النزاع والصراع فبالتوحيد تقوى الأمة وبالشرك تنهار.

دائرة إصلاح المجتمع:

أمّا منهج القرآن في إصلاح المجتمع عامة،فقد ركز القرآن الحكيم على الاحترام المتبادل بين المسلمين، واحترام حقوق الآخرين، وعدم الاعتداء عليهم وجعلهم في مصاف واحد من الأخوة الإسلامية.

قال تعالي : "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" [3] وأكد القرآن أيضا ضرورة الإصلاح في أي وقت حاول فيه الشيطان أن ينزغ بينهم إذ أمر المجتمع بضرورة القيام بدور الإصلاح ،وعدم التفرج على المعارك بين المسلمين، بل أمرهم بالقيام بدور الإصلاح ولو بالقوة فيما إذا حاولت طائفة عدم التقيد بأوامر الله

قال تعالي : "وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ" [4] ومن أجل المحافظة على سلامة المجتمع الإسلامي من الفساد والمفسدين ــ أمر القرآن عبر إرشادات لقمان الحكيم بالوقوف أمامهم والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال تعالي : "يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ

---

(1) البخاري : ج- 6- مصدر سابق (كتاب الإكراه - باب يمين الرجل لصاحبه) رقم الحديث :655-ص-2550

(2) سورة المائدة الآية -2

(3) سورة الحجرات الآية - 10

(4) سورة الحجرات الآية - 9

إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" [1] . والأمة الإسلامية إنما أضحت خير أمة حينما قامت بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالي : "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ" [2]ولكي يبقى المجتمع محافظا على سلامته، وصلاحه ــ أمر القرآن بضرورة العناية بالأيتام ، وتربيتهم حتى لا يقعوا فريسة للمفسدين قال تعالي : "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ" [3]ومن أجل المحافظة على تماسك المجتمع وصلاحه ــ حث القرآن لضرورة الإصلاح في العلاقات الزوجية بمجرد أن يبرز بين الزوجين خلاف قد يؤدي إلى الانفصام والشقاق .قال تعالي : "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُّرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا" [4]

و في محاولة لاستمرارية صلاح المجتمع عبر الأجيال القادمة ــ أمر الله عز وجل في كتابه الكريم أن يتبادل المرء المحبة، والإحسان بينه وبين والديه ؛ إذ يديم الله صلاح ذريته عبر الأزمان و تبيّن الآيات التالية التعب والجهد الذي يتحمله الأبوان لا سيما الأم ؛ قال تعالي : "وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" [5]

ليس هذا وحسب بل ذهب القرآن الحكيم في مجال إصلاح المجتمع على أن يكون التشاور بين الأمة، والقيادة تدور ضمن الإطار الإصلاحي إذ أنه نفى صحة وخيرية أي نوع من التشاور إلا إذا كان ضمن إحدى ثلاثة الأمور التالية.

في قوله تعالي : "لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" [6] .
فالتشاور مع أفراد الأمة لرفع حاجة من حاجات أفراد المجتمع إمّا الأمر بالصدقة ،أو

---

(1)سورة لقمان لآية 17 -
(2)سورة آل عمران الآية - 110
(3)سورة البقرة الآية -220
(4)سورة النساء الآية -35
(5) سورة الأحقاف الآية - 15
(6) سورة النساء الآية - 114

اقتراح عمل خير لصلاح الأمة، أو الطلب من القيادة للتدخل لحل خلاف بين طـائفتين مختلفتين في المجتمع. ولضمان سلامة المجتمع وبقائه على صلاحه ـ أمر القـرآن المجيد كل مؤمن أن يتحمل هاتين المسؤوليتين:

1- المراقبة والمحافظة على قوانين السماء، والعمل بإخلاص لأجلها إذ قال عز مـن قائل: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ " [1].

2- التعاون على البر والتقوى: قال تعالي : " وَتَعَـاوَنُوا عَلَـى الْبِـرِّ وَالتَّقْـوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَاب " [2].

وبما أن هنالك تخوف مستمر قائم من العناصر الفاسـدة أن تـدخل فـي المجتمـع الإسلامي لنشر الفساد جاء القرآن العزيز بسلسلة من الأوامر الصارمة ضد المفسدين في محاولة لاستئصال هذه الجراثيم الخلقيّة كليا من المجتمع تماما مثلما يفعل الأطباء في استئصال مرض السرطان -مثلا- من البدن المصاب .

قال تعالي : " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّـنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "[3] و قال تعالي : " الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْـدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ " [4]

هذه القوانين الصارمة ما هي إلا من أجل الحد مـن الفـساد فـي المجتمـع الإسلامي.وهناك مجموعة كثيرة من الآيات القرآنية و القوانين الإسلامية في إصلاح المجتمع الإسلامي والمحافظة على صلاحه.

قال تعالي : " مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ " [5]

ودوائر الإصلاح متعددة ولكنها في الجملة لا تخرج عن هذه الدوائر آنفة الذكر ؛لأنه إذا صلح الفرد في نفسه وكذلك الأسرة بدءا من الاختيـار ومـرورا بالتربيـة وانتهاء بتحمل المسئولية الدينية إلى حين التكليف وكذا احترام الجار ؛ لأنـه يـؤدي إلى إصلاح التعامل وينطوي تحته ما وصى الله به من الجار قال تعالى:" وَاعْبُدُواْ اللّهَ

([1]) سورة المائدة الآية - 8
([2]) سورة المائدة الآية - 2
([3]) سورة المائدة الآية 38
([4]) سورة النور الآية- 2
([5]) سورة الأنعام الآية- 38

وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا " [1] فالإسلام حث المسلمين أن يعاملوا الجار خير معاملة فإذا كان الجار من ذوي القربى فصلته ومعاملته تكون مضاعفة ؛ لتشمل صلة الرحم وحق الإسلام والجوار وإن كان الجار مسلما فله حق الإسلام والجار ، وإن كان غير مسلم يشمله حق الإحسان بحق الجار ؛وبذلك يتحقق إصلاح عناصر الجار ومن ثم إصلاح المجتمع بجميع شرائحه .

([1]) سورة النساء الآية- 36

المبحث الثالث
أنواع الإصلاح و وسائله وأهميته

الإصلاح الاجتماعي :

إنَّ الإصلاح مِنْ هذه الناحية يهتم بالأسرة، والمؤسسات الاجتماعية، بما تقدمه من خدمات وإصلاحات، تعالج الفقر والجهل، والعزلة والأخلاق وغيرهـا. وبالتـالي يمكن تسمية المجتمع ـ الذي يتبنى الإصلاح بهذا الاهتمام أن يسمى بـ (المجتمـع المدني) الذي يحمل في طياته، وتكوينه مادة الإصلاح الاجتماعي. قال تعالى : " وَمَـا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ " [1]

الإصلاح السياسي:

وهو قائم على ركيزتين أساسيتين:

1- إزالة الطواغيت والجبابرة من على وجه الأرض، وهذه أول خطوة فـي طريـق العبادة لله عز وجل قال تعالى: "لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " [2]

وبإرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية التي جاءت لإصلاح المجتمع تتحقق سـعادة البشرية .

2- طاعة ولي الأمر العادل القائم على حدود الله عز وجل والمسخر لخدمة الـدين والمجتمع،

قال تعالى: " مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُـواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُـونَ الْكِتَـابَ وَبِمَـا كُنـتُمْ تَدْرُسُونَ "[3]

([1]) سورة هود الآية -117

([2])سورة البقرة الآية 256-

([3]) سورة آل عمران الآية -78

ويقول عز وجل "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً" [(1)] ،

وبخدمة الدين بعد تنزيل الكتاب الحكيم تم كمال الدين وإتمام النعمة على البشرية من جانب السماء. قال تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا" [(2)] ، يبقى هنا واجب المجتمعات البشرية التي تتطلع إلى الخلاص من براثن المفاسد والانحرافات أن تلتزم بطاعة القيادة الرشيدة في تطبيق الشريعة السماوية قال تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " [(3)] .

وقال تعالى: "وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ"[(4)].

ولمعرفة رؤية القرآن الحكيم في مجال الإصلاح السياسي على وجه الإيجاز يتبين. أن الإصلاح يرتكز على أمرين أساسيين:

الأول: على وجود قوانين ودساتير دقيقة وصائبة وشاملة لجميع نواحي الحياة البشرية بحيث تلبي جميع حاجات الإنسان الفردية والاجتماعية والروحية والمادية.تعطي ولا تأخذ وتجمع ولا تفرق وتؤلف ولا تبدد وتبني ولا تهدم.

قال تعالى: "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"[(5)]

ولا يوجد مثل هذا إلا في الكتاب المجيد ودساتير الشريعة الإسلامية.

الثاني: وجود شخصيات قيادية لها القدرة والسلطة تستطيع تطبيق القوانين بحذافيرها من دون المساومة عليها أو الرضوخ للعلاقات الشخصية.

([1]) سورة النساء الآية- 59

([2])سورة المائدة الآية - 3

([3])سورة الأعراف الآية - 96

([4])سورةالمائدة الآية -66

([5])سورة فصلت الآية -41

وبهذين الأمرين يتم الإصلاح في المجتمع وفق رؤية القرآن الصائبة ومــن دونهما فكل إصلاح يراد تحقيقه في المجتمع فهو إصلاح ناقص أبتر إن لم يكن فــي بعض الحالات يفسد أكثر مما يصلح، فالإصلاحات الاجتماعية التي تنادي بها بعــض المؤسسات ، أو الأحزاب السياسية ما هي إلا إصلاحات جزئية ؛ تشمل جانبــا معينــا من جوانب المجتمع على أحسن فرضها إن تحقق هنالك إصــلاح ومــا فائــدة هــذه الإصلاحات إن لم تكن شاملة ونحن إذا أردنا أن نحقــق الإصــلاحات القرآنيــة فــي المجتمع لابد وأن تحقق تطبيق القرآن بشكل كامل. وبقيادة ربانية، وذلك لأن الله عز وجل لم ينزل الكتب المقدسة من السماء من دون أن يبعث الرسل والأنبياء كقــد وات رسا ليه حية. وهكذا أيضا لا يمكن تطبيق القرآن الحكيم بشكله الصحيح إلا بالرسول الأكرم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم كنماذج عملية.

وقد بشر الله الأمة الإسلامية والمجتمعات البشرية بتحقيق هذا الإصــلاح الكامــل الشامل بمجرد قيام العلماء والحكام بمهامهم لتحقيق العدالة على ربوع الكرة الأرضية ليملئوها قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا وهذا ما ينشدهــ كل مسلم إن شاء الله حيث وعد الله بذلك في كتابه الحكيم .قال تعالى: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (1)

وإن كان البعض يتصوره بعيدا، لكن الأمر المتعلق بالمشيئة الإلهية قد يتحقــق بــين لحظة وأخرى. قال تعالى: " إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا" (2)

الإصلاح العسكري:

اعتنى القرآن الكريم بإصلاح الأمور العسكرية بصورة واضحة؛ وذلــك مــن خلال الآيات ، والسور القرآنية، منها سورة البقرة ،وآل عمران ،والنــساء،والأنفال ،والتوبة،والأحزاب،ومحمد ،والفتح،والمنافقون ،وبــين القــرآن فــى هــذه الــسور وغيرها،أهم الأسس العسكرية للإصلاح ،والمبادئ الذي يقوم عليها الإصلاح ،فى كل زمان ومكان ،معطيا نظاما إصلاحيا جديدا وفق المعطيات الجديدة الثابتــة والأصــول الراسخة .

---

(1)سورة الأنبياء الآية- 105

(2)سورة المعارج الآية-6-7

والقرآن الكريم كما تناول أسس الإصلاح ،كذلك تناول تأريخ، وتحليل وتوجيه الإصلاح العسكري، من منطلق تناوله للغزوات، والسرايا التي وقعت فى عهد النبـــي _صلى الله عليه وسلم _بدر ،وأحد،والأحزاب ،وصلح الحديبية ،وخيبر ،وفـــتح مكـــة ،وغزوة حنين ،والطائف،وغيرها من الغزوات والسرايا،في ســورة توضـــح أســـباب النصر، وتحذر من أسباب الهزيمة ،فإذا التزمت الأمة بذلك تكون في مقدمـــة الأمـــم وقيادتها دائما ،خاصة إذا أصلحت في مجال التـــدريب ،والقيادة،والجنديـــة،ومهارات القتال ؛لأن القرآن الكريم هو النور الذي تستضيء به الأمة، وتستهدي به، كلما أظلم عليها معالم الطريق ،والمعين الذي تأخذ منه أساس إصلاحها ،وتطورهـــا؛ ولأنـــه لا يقوم الإصلاح إلا بالكتاب والميزان .

قال تعالى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيـــزَانَ لِيَقُـــومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَـــن يَنـــصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" [1]

فالكتاب به يقوم الإصلاح ،والميزان به تقـــوم الحقـــوق ، والعقـــود الماليـــة، والحديد به تقوم الحدود على الكافرين والمنافقين. ولهذا في الأزمان المتأخرة الكتاب للعلماء ،والحديد للأمراء والعباد،والميزان للأمراء والكتاب " قال الأمير أبو همام بـــن سوار اللخمي قبل أن و لي أخوه الضرغام الوزارة وهو والي الإسكندرية ما الخلفـــاء عندي سوى العلماء وذلك بمحضر من جماعة من الأمراء فتداركت الأمر وقلـــت مـــا أبعد الأمير وفقه الله فقد روى عن النبي –صلى الله عليه وسلم – أنه قال اللهم ارحم خلفائي قالوا يا رسول الله ومن خلفاؤك قال قوم يأتون من بعدي يـــروون أحـــاديثي وسنتي ويعلمونها الناس لكن النبي – صلى الله عليه وسلم –لما تـــوفي ورث العلـــم والسيف فالعلم للعلماء يقولون ما أمر به الشارع والسيف للأمراء وجيوش الإســـلام يأتمرون ذلك لكن بين من يقول إفعل وبين من يفعل بون بعيد وفرق ظاهر ونحن الآن وأنتم وإن اختلفنا في الزي فوارثان لإرث النبوة وكجسم واحد "[2] فعدم بناء الإصلاح العسكري على ضـــوء مـــصادر التـــشريع الإســـلامي ،جعـــل هـــذه الأمـــة تـــسير

([1])سورةالحديد الآية -25

(2)الأصبهاني : أبو طاهر أحمد بن محمد- معجم السفر –تحقيق :عبد الله البارودي – (المكتبة التجارية – مكة المكرمة – د-ت-ط-) ص- 427

بدون هوية ومبدأ،وقد اتبعت النظم والأعراف، والتقاليد ،التي لا تتفق مع قيمها السامية ،فضعف بذلك أمر الأمة في الواقع المعاش ،وأصبحت في مؤخرة الأمم ؛لأنها لو تمسكت بنهج الإصلاح ؛لأصبحت قوة لا تقهر، وثبات لا يعرف التراجع ،وعزيمة لا تلين.

فأهم مبادئ الإصلاح العسكري إعداد القوة بقدر المستطاع ،والتهيئة التامة للدفاع عن الدين، والنفس، والعرض، والوطن ،وكسر شوكة الأعداء بشتى الوسائل الممكنة .

قال تعالى:"وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ "[1]

ولأهمية صناعة الأسلحة والمعدات الحربية يخبرنا القرآن عن قصص الأنبياء السابقين منهم داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم لتأخذ أمة الإسلام بنهجه واقتداء به والاستعداد لنصرة الحق .

قال تعالى:"وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " [2]

فالقرآن الكريم هو مصدر الأول للإصلاح العسكري، الواضع لبنتها الأساسية، ومعالمها الرئيسية، ثم جاءت السنة النبوية القولية ، والفعلية والعملية ,والتقريرية، موضحة كل ما أجمل في القرآن الكريم .ومن ثم لابد من الإعداد البشري ؛لأن الإنسان هو الركن الأساسي في عملية الإصلاح وهو مصدر الرهبة للأعداء قال تعالى :حاكيا عن شعيب عليه السلام مع أعداء الله.

قال تعالى: "قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ" [3] قال تعالى: "وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "[4] فإصلاح الجنود وهم أقوياء مدربون ، وتآلفهم وتآزرهم ،فيما بينهم ،ومع قياداتهم، من أقوى عوامل الإصلاح؛

---

(1) سورة الأنفال الآية -60

(2) سورة سبأ الآية -10

(3) سورهود الآية -91

(4) سورة الأنفال الآية -71

وبالتالي من أكبر عوامل النصر المرتجى .قد راعى الإسلام أهم جانبين من جوانب الإصلاح: وهما الإصلاح البدني والإصلاح الروحي

الإصلاح البدني :

اهتم به الإسلام من جميع النواحي، وبكل الصور المشروعة، بدءا بالتدريب والتمارين، التي تقوي الأجساد، وتروضها على مسائل القتال، وتحمل الصعاب كالسياحة، والسباق بالخيل، أو الجمال أو الأقدام والمصارعة، والمنا صلة بالسهام، واللعب بالحراب، وحتى يحافظ الجندي المسلم على طاقته ولياقته حرم الله عليه كل الأمور التي تؤدي إلي فساد الصحة ومرض الجسم بصورة عامة ومن هنا جاء تحريم الخمر .قال تعالى: ": يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ " [1]

وكذلك عفي الجندي بصورة مؤقتة من الفرائض التي يمكن أن تقلل من طاقته وقوته القتالية مثل فريضة الصيام

الإصلاح الروحي :

الإصلاح الروحي للمقاتل من أهم الأمور في الإعداد البشري ، إذ هو المكمل للإعداد البدني ، وأن الروح هي التي تدفعه إلي القتال " فإن الإنسان روح وجسد وأن الأصل هو الروح لأنها باقية، وأما الجسد فإنه فان . كما أن الروح تمثل في الإنسان الطاقة التي لا تنفد ، والعزيمة التي لا تنكسر، إذا أعدت بالصورة التي أرادها الله عز وجل " [2]وقد عالج القرآن روح المؤمن القتالية بصور مختلفة منها:

أهمية الجهاد في نفس الجندي :

فالجهاد هو ذروة سنام الإسلام كما جاء في الحديث "عن معاذ بن جبل قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك فلما رأيته خليا قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال بخ لقد سألت عن عظيم وهو يسير على من يسره الله عليه تقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتلقى الله عز

---

(1) سورة المائدة الآية – 90-91

(2) د. طه عابدين طه-الأسس العسكرية في القرآن-رسالة دكتوراه -1420هـ1999م ص-277

وجل لا تشرك به شيئا أولا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه أما رأس الأمر فالإسلام فمن أسلم سلم وأما عموده فالصلاة وأما ذروة سنامه فالجهاد في سبيل الله أولا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة وقيام العبد في جوف الليل يكفر الخطايا وتلا هذه الآية { تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون } أولا أدلك على أملك ذلك لك كله قال فأقبل نفر قال فخشيت أن يشغلوا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شعبة أو كلمة نحوها قال فقلت يا رسول الله قولك أولا أدلك على أملك ذلك لك كله قال فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى لسانه قال قلت يا رسول الله وأنا لنؤاخذ بما نتكلم به قال ثكلتك أمك معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم " [1]وأفضل أبواب الخيرات وبه يكون البيع والشراء مع الله في تجارة لن تبور، قال تعالى:" إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "[2]

فقد جاءت هذه الآية بهذه المعاني العظيمة دفعا وإعدادا لها للمجاهدة والمصابرة في سبيل العزة والكرامة .كما قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ"[3]

قال تعالى: "فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا "[4]

قال تعالى:"وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ "[5]

---

(1) أحمد بن حنبل – ج-5- مصدر سابق (حديث معاذ بن جبل) رقم الحديث : 22121-ص- 237

(2)سورة التوبة الآية -111

(3) سورة الصف الآيات -10-11-12-13

(4) سورة النساء الآية -74

(5) سورة آل عمران الآية -157

قال تعالى: "لَايَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيما "[1]

استشعار معية الله : من الأمور التي تعمق في نفوس المجاهد استشعاره بمعية الله وعظمته وقدرته وأنه معه قال تعالى: "مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [2]وحين يعلم المجاهد أن الله يشد من أ زره ويدافع عنه يزيد تضحية وفداء قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ([3] فالمجاهد في سبيل الله يرجو من الله مالا يرجى الآخرون و ؛ فذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقدم أحب الناس إليه في الصفوف الأمامية حتى ينالوا رضي الله النصر أو الشهادة .وأنواع الإصلاح شمل الاجتماعي والسياسي والعسكري والبدني والروحي والسياسي ؛فإذا صلح المجتمع اجتماعيا وسياسيا وعسكريا وبدنيا وروحيا سما إلى المعالي وأصبح مهاب الجانب .

وسائل الإصلاح :

وسائل الإصلاح لا يمكن حصرها وعدها؛ إذ لكل مكان وزمان الوسيلة التي تناسبه، ولن تُعدم الأمّة من عقول أبنائها من إيجاد الوسائل والحلول التي يُكتبُ لها الإصلاح والتوفيق بإذن الله .

فمن وسائل الإصلاح :

الدعاء :

فهو من أعظم وسائل الإصلاح النافعة الدعاء، وهو السلاح المعطل عند الكثير، وقد فرطوا فيه، إما جهلاً أو قلة يقين بأثره، قال الله تعالى " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُم

([1]) سورة النساء الآية -95

(2)سورة يونس الآية-61

(3) سورة الحج الآية-38

يَرْشُدُونَ"([1]) وقال الله تعالى :"وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ "([2]) وقال الله تعالى :"قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا"([3])

وفي صحيح مسلم:" عن أبي الزبير عن صفوان – وهو ابن عبد الله بن صفوان –وكانت تحته الدر داء قال :قدمت الشام فأتيت أبا الدر داء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدر داء فقالت أتريد الحج العام ؟ فقلت نعم قالت فادع الله لنا بخير فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل قال فخرجت إلى السوق فلقيت أبا الدر داء فقال لي مثل ذلك يرويه عن النبي – صلى الله عليه وسلم– "([4])عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر فدخلوا في غار في جبل فانحطت عليهم صخرة قال فقال بعضهم لبعض ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه فقال أحدهم اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب فآتي أبواي فيشربان ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان قال فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا فرجة نرى منها السماء قال ففرج عنهم . وقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أني أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء فقالت لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار فسعيت حتى جمعتها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركتها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا فرجة قال ففرج عنهم الثلثين وقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته وأبى ذلك أن

---

(1) سورة البقرة الآية -186

([2]) سورة الزمر الآية – 60

([3]) سورة الفرقان الآية – 77

([4]) مسلم: ج-4-مصدر سلبق (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب) رقم الحديث : 2733-ص- 2094

يأخذ فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها ثم جاء فقال يا عبد الله أعطن حقي فقلت انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك فقال أتستهزئ بي ؟ قال فقلت ما أستهزئ بك ولكنها لك اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا فكشف عنهم" ([1]) فإهمال هذه الوسيلة ،أدى بكثير من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم –إلى الإحباط ظنا منهم أن الدعاء لا يستجاب ,ولكن أبواب الله مفتوحة لمن طرقها بحقها وأن أسباب استجابة الدعاء جاء في حديث النبي – صلى الله عليه وسلم ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال : رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال " يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ " ([2]) وقال " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ([3]) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟"([4])

وأن الدعاء إذا توفرت شروطه فحقيق أن يستجاب لطالبه ؛ فيحتاج إلى صلاح السيرة والسريرة . وأن مُدَّ كف الضراعة إلى الله تعالى تصلح حال المسلمين

مصاحبة العلماء :

أن للعلماء والدعاة مكانة في المجتمع عند العامة والخاصة؛ لمكانتهم الاجتماعية، ولانشغالهم بأمر الدعوة ؛ولمواقفهم في المجتمع أثر واضح وملموس، وقد يطرأ لبعضهم أمور تشغله عن متابعة المنكرات، فكن عوناً لهم، بتذكيرهم بالله وبيان

---

(1) البخاري: ج- 2-مصدر سابق –(كتاب البيوع – باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي) رقم الحديث :2102- ص- 771

(2) سورة المؤمنون الآية -51

(3) سورة البقرة الآية -172

(4) مسلم : ج- 2- مصدر سابق (كتاب الزكاة – باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها) رقم الحديث :1015- ص- 703

الواقع لهم إما مباشرة أو الكتابة لهم، ومن ثَمّ مطالبتهم بالمناصحة"عن تميم الـداري أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال :الدين النصيحة قلنا لمن؟ قـال لله، ولكتابـه ،ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم" ([1]) عليكم أن ينصح فقيهكم جاهلكم وأن يقـود كاملكم ناقصكم عملا بقوله تعالى وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى "([2]) لا بقهـر ولا بغـدر ولا بظلم ولا بكبر ولا بعلو لا بأس إن صدعت بما أمرت به على لسان نبيك ولكن قبل الصدع عرف المعروف مغناطيس جذاب"([3])

والكتابة، وسيلة من وسائل الإصلاح، التي يغفل عنهـا الكثيـر و أن تـدعيم مكانة العلماء والدعاة والغيورين في المجتمع بين العامة والخاصـة، وذلـك بـذكر محاسنهم والإعراض عمّا قيل وقال مما هو من غثاء الألسنة، يعد سببٌ لنفاذ كلمتهم، وسماع رأيهم وصلاح العباد والبلاد .

مضاعفة الجهود بين الشباب :

الشباب ذوو حماسة لا تفتر، فإذا تضافرت جهودهم واتحـدت فـي إنكـار المنكرات، فإن لها النتائج الطيبة والملموسة؛ لإصلاح المجتمع و هذا ما يـشهد بـه الواقع. "عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه انه شهد خطبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في يوم عرفة في حجة الوداع : أيها الناس إني والله لا أدري لعلـي لا ألقاكم بعد يومي هذا بمكاني هذا فرحم الله من سمع مقالتي اليوم فوعاها فرب حامـل فقه ولا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه واعلموا ان أمـوالكم ودمـاءكم حرام عليكم كحرمة هذا اليوم في هذا الشهر في هذا البلد واعلموا ان القلوب لا تغـل على ثلاث إخلاص العمل لله ومناصحة أولي الأمر وعلى لزوم جماعة المسلمين فـإن دعوتهم تحيط من ورائهم"([4]) فهذا يكتب للعلماء وهذا يتصل على الجهـة المـسئولة وهذا يذهب إلى صاحب المنكر، وهذا يخاطب من بيده الحل والعقد، وذاك يشير برأيه ويجتهد ببنان فكره لمصلحة الدعوة الإسلامية .

---

(1) مسلم : ج- 1- مصدر سابق (كتاب الإيمان – باب بيان أن الدين النصيحة)رقم الحديث : 55-ص- 74[1]
(2) سورة الأنعام الآية -1
(3) أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي : البرهان المؤيد – دار الكتب النفيس – بيروت – الطبعة الأولى: 1407-ص- 144
(4) الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن : - سنن الدارمي – تحقيق : فواز أحمد زمرلي و خالد السبع العلمي – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى : 1407هـ (باب الاقتداء بالعلماء) رقم الحديث : 227-ص- 86

فلو عقد الشباب العزم والسعي لإنكار المنكرات، وسلكَ كل واحد منهم وسيلة من وسائل الإصلاح، لنفع الله بالجهود الأمة الإسلامية.

متابعة المنكرات الظاهرة:

إن متابعة المنكرات، والسعي من أول أمرها لإنكارها، يحول دون تفشيها أو تقليلها في المجتمع، وأقل ما يجب هو الكتابة ، وبيانها للعلماء، وللجهات المسئولة،من متابعة ما ينشر في الجرائد والمجلات من مقالات وقصائد ،والنظر فيما يتفشى في الأسواق من منكرات، وكلٌ يسعى لإخمادها من طرق متعددة قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"([1])

الكلمة المؤثرة:

الكلمة إذا خرجت من قلبٍ صادقٍ ناصحٍ، فإن الله يباركُ في أثرها، سواء كانت بخطبة أو كلمةٍ بعد صلاة، أو في مجلس عام، أو حتى حديث خاص مع أحد الأشخاص.

قال تعالى : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ([2])

وقال تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا"([3])

عن عدي بن حاتم قال قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم- " اتقوا النار – ثم أعرض وأشاح ثم قال اتقوا النار- ثم أعرض وأشاح ثلاثا حتى ظننا أنه ينظر إليها ثم قال ، فلا يستهان بالكلمة، ولو كانت كلمات معدودة، فقد تكون مفتاحاً لقلبٍ ما فتحقق سعادة الدارين .

القدوة :

---

(1) مسلم : ج-1- مصدر سابق (كتاب الإيمان – باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان) رقم الحديث : 49 ص- 69

(2) سورة إبراهيم الآية – 24- 25

(3) سورة الأحزاب الآية – 70-71

الدعوة الصامتة، المتمثلة بالقيام بما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، مع التخلّق بمكارم الأخلاق، فكم داعية دعا بلسان حاله، فعَلم الناس المعروف والسُنّة لمّا عمل بها، وتركوا المنكر لما أعرض عنه، ويغضب عندما تنتهك محارم الله، وبهذا عُلِم موقفه، قال الله تعالى : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا "(1)

"القدوة الصالحة والأسوة الحسنة التي كانوا يجدونها في رسول الله صلى الله عليه وسلم – ماثلة كاملة جذابة أخاذة -ولا يعزبن عن بالك أن القدوة الصالحة خير عامل من عوامل التعليم والتربية والتأديب والتهذيب خصوصا بين نبي ومتبعيه وأستاذ ومتعلميه ورئيس ومرؤوسيه وراع ورعيته

وها نحن أولاء نرى علماء النفس والاجتماع وأقطاب التربية والتعليم وبناة الأخلاق والأمم نراهم لا يزالون يتحدثون في القدوة الصالحة ويوصون بالقدوة الصالحة ويبحثون عن القدوة الصالحة وذلك لمكانتها من التأثير والإصلاح والتقويم والنجاح في الأفراد والأمم على سواء

ولم يعرف التاريخ ولن يعرف قدوة أسمى ولا أسوة أعلى ولا إمامة أسني من محمد– صلى الله عليه وسلم – في كافة مناحي الكمال البشري خصوصا خلقه الرضي وأدبه السني ولا سيما صدقه وأمانته وتحريه ودقته" (2)

المراسلة :

ما أبلغ أثر الرسالة الشخصية على قارئها ؛ متى كتبت بأسلوبٍ لبقٍ مهذبٍ، تكون حديث مباشر هادئ، تعطي الآخر فرصة التفكير والمراجعة والتصحيح، فمراسلة العلماء والمسئولين، وكل صاحب منكر، سواءً أكان محلٍ تجاري أو جهة حكومية.

ومن ولي من أمور المسلمين، تر سل إليه رسالةٍ شخصيةٍ وتذكره أنه أولى الناس بالقيام في مسيرة الإصلاح.

---

(1) سورة الأحزاب الآية - 21

(2) الزر قاني : محمد عبد العظيم الزر قاني –مناهل العرفان في علوم القرآن –ج- 1- دار الفكر –بيروت-الطبعة الأولى : 1996م – ص- 226

ليعلم أنه مسئول أمام الله تعالى على ما ولي به من أمور المسلمين."عن ابـــن أبـــي رقية قال جاء رجل من بني سنان فقال إن لأمير المؤمنين عندي نصيحة فاستأذن لي عليه فدخلت على عمر بن عبد العزيز فأخبرته فقال اللهم ارزقنـــي منـــه النـــصيحة فأدخلته عليه فقال يا أمير المؤمنين إن شئت أن تقرأ هذا الكتاب وإن شئت كلمتك قال هات الكتاب ثم أذن فخرج فقال لي بعد أتعرف الرجل قلت لا فقال ما أراك جئتنـــي إلا بشيطان أطلبه قال فخرجت فلم أخرج حتى وقعت عليه فقلت كدت أن تهلكنـــي عنـــد أمير المؤمنين هو يدعوك فأدخلته عليه فأخرج ما كان في الكتاب ثم خـــرج فلحقتـــه فقلت أخبرني ما كان في الكتاب قال أمير المؤمنين يستكتمني وأنا أخبرك قال فلم أزل ألح عليه حتى أخبرني قال إني كنت صاحب صلاة بليل فصليت ما قدر لي ثـــم نمـــت فرأيت النبي فقال كيف صاحبكم هذا أو أغيركم هذا فقلت يا رسول الله ما ولينا خليفة لله مثله قال إنه ليس في خلفاء الله ولكنه أمير المؤمنين فهل أنت مبلغه عني ثلاثا إن فعلهن فقد ضبط وإلا فقد ضيع ولم يصنع شيئا أصحاب القبالات يأكلون الربا والعرفاء يأخذون أموال اليتامى وأصحاب المكوس يظلمون الناس قال ابـــن أبـــي رقبـــة فمـــا أمسيت من يومي حتى أنفد فيهم عمر الكتب" ([1])

الشريط الإسلامي :

يساهم الشريط الإسلامي في نشر الوعي في المجتمع بشتى طبقاته، وذلك إما بإعداد مادة الشريط التي يحتوي على معالجة بعض المنكـــرات، أو بتوزيعـــه علـــى طبقات المجتمع ولكل ما يناسبه، و أثرها واضح كوضوح الشمس في كبـــد الـــسماء، فمن كُتِبت له الهداية ربما يستفيد من مثله هذه الوسيلة .

الكتاب أو الكُتيب :

إما بتأليفه، أو الإشارة للمؤلف بأن يكتب عن منكـــر مـــا، أو الـــسعي إلـــى توزيعه ونشره، فمن تَكَامَلَتْ له أدوات الكتابة وأمدَّه الله بآداب النفس – من العَفَـــاف والحلم والصبر والتواضع للحق وسكُونِ الطائر وخَفْضِ الْجَنَاَح – فهذا المتناهي فـــي الفضل العالي في ذُرَى المجد الحاوي قَصَبَ السبق الفَائِزُ بخير الدارين إن شـــاء الله

---

(1) الزرقاني : عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي – المنامات – ج-1- تحقيق : عبد القادر أحمد عطا مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – الطبعة الاولى : 1413هـ - 1993م –ص- 131

تعالى"([1]) ومن وجد المجلات الهابطة وسعى لاستبدالها بالكُتَيّبات والقصص الهادفة وبعض المجلات النافعة، فبارك الله في مسعاه.فإن ذلك مما يسعد المجتمع الإسلامي ويصلحه .

المطويات :

وهي سهلة المناولة، قصيرة الكلمات، لا تأخذ وقتاً في قراءتها، وهي تحتوي على معالجة موضوع ما، أو قضية ما فهي وسيلة سريعة يستفاد منها لنشر المعلومة الصحيحة لأفراد الأمة الإسلامية المشغولة بأمور الدنيا وقل من يلتفت للآخرة .

الانترنيت (شبكة المعلومات) **العالمية**

فما كان مستحيلاً بالأمس ،فهو هيّنٌ وسهلٌ اليوم ،وما ذاك إلا لسرعة نقل المعلومات وتبادلها بين الأفراد ،وإقامة الحوارات العلمية والفكرية،على شاشات فيها عدد كثيرٍ من الناس وفي نفس الوقت ،فهي ساحةٌ خصبةٌ للدعوة والتعليم ،لا تعترف بالفواصل الزمنية والمكانية ،في وقت يوجد المواقع والعناوين الإلكترونية لكثير من الأفراد والشركات ،التي يمكن مراسلتهم والإنكار عليهم أو شكرهم ،في وقت يسير وبأقل التّكاليف فهذا هو الإبداع وحسن الحوار في ساحات الحوار والكتابة والدعوة لإصلاح المجتمع وكم يكون جميلا لو أنشأ المقتدرون مواقع إسلامية ليستفيد منه ملايين ا لبشر ولو بعد حين قال تعال " وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ " ([2])

المشاركة في وسائل الإعلام :

ما كثُر الخَبَثُ بها ؛ إلا يوم تخلي المصلحون عن المشاركة فيها، سواء بالكتابة في الجرائد والمجلات أو غيرها، وهي تطبع وتنتشر بالآلاف، ولاشك أن الكتابة فيها أو الرد على ما يكتب وإن لم ينشر فإنه يعد مُؤشراً لأربابها أن هناك طبقة من القراء تطالب بأن يحترم فكرها، وأنهم على يقظة لما يمس هذا الدين وأهله ودعاته، فحسبك أن ذلك يجعل لديهم احتساباً للقارئ الذي يتابع ما ينشرونه

وإن المساهمة في المجلات الإسلامية الملتزمة بالمنهج الصحيح، سواء

---

(1) ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن قتيبة –أدب الكاتب- تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة التجارية – مصر – الطبعة الرابعة :1963م –ص- 8

(2) سورة النحل الآية - 8

بالدعم المالي أو المعنوي أو الفكري يعد دعماً لها إذ هي وسيلة من وسائل الإصلاح قال تعالى : وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً"([1])

الاتصال الهاتفي:

وسيله لا تحتاج إلى كبير أو كثير عناء، بقدر جلسةٍ هادئةٍ مع سماعة الهاتف أو جهاز الفاكس، والإنكار على أصحاب المنكرات، بالتذكير والتخويف بالله، أو كذلك تبليغ العلماء أو للجهات المسئولة عن المنكرات قال تعالى:" أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " ([2])

المقاطعة لصاحب المنكر :

فلو أن كل واحد منا قاطع أصحاب المنكرات، لما عزّ سوقه، ولما راجت بضاعته، ولكن نحن الذي دعمناهم من حيث لا نشعر .

الشكر والثناء :

كان النبي –عليه الصلاة والسلام. يسلكه مع أصحابه –رضي الله عنهم–وهو من أبلغ وسائل الإصلاح، وقليلٌ سالكه، حيث إنه من أسباب الثبات على المعروف، في زمن تفشت فيه المنكرات، فكما أننا نُنكر على صاحب المنكر،فحريٌ بنا أن نشكر ونثني على صاحب المعروف، ليجد العزة في تمسكه بالمعروف وليثبت عليه ."كان يقال الهم بالعمل يورث الفكرة والفكرة تورث العبرة والعبرة تورث الحزم والحزم يورث العزم والعزم يورث اليقين واليقين يورث الغنى والغنى يورث الشكر والشكر يورث المزيد والمزيد يورث الجنة" ([3]).وهكذا لو قام كل واحد بمسؤوليته ،في الدعوة والإصلاح، واستخدم قدراته وإمكانياته في إصلاح المجتمع، ابتداء بنفسه وأهله، ومن حوله، ثم إلى كل صاحب منكر، لما جاهر الفاسق بمنكراتهم .

أهمية الإصلاح في الحياة:

إن الحياة لا يمكن أن تستمر من دون الإصلاح, ويمكن القول بأن الإصلاح هو سنة من سنن الله في الكون, فإذا تأمل الإنسان في الطبيعة التي خلقها الله لرأى المعنى الدال على الإصلاح, والأمثلة واضحة ولا تحتاج إلى زيادة في الإيضاح .

" فقد أورد العلماء كلاما يتعلق بارتباط النبات بالشمس, وكلاما آخر يبيّن العلاقة بين طهارة الماء وحركته, ذلك أن الشمس تنشر النور فتحدث بذلك عملية

---

(1) سورة النساء الآية - 129
(2) سورة البقرة الآية - 224
(3) الأصفهاني : عبد الله بن محمد بن جعفر –العظمة – ج-1- تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المبارك فوري – ج-1- دار العاصمة –الرياض- الطبعة الأولى : ص- 264

البناء الضوئي ليعيش النبات, وهذا نوع من الإصلاح, كذلك الماء إذا ركد فسد ، والماء يتعرض للشوائب وما يفسده, فإذا تحرك طهر,وكذلك الأرض الجرداء الساكنة لا يصلحها إلا الماء المتحرك المنهمر ."

قال تعالى:" أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ "[1]والحركة تعمل عمل المصلح :قال تعالى:" قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً"[2]أما في حياة الناس , فالإصلاح أمر يفرض نفسه على الفرد بينه وبين نفسه, إذ لابدَّ للمرء من أن يتعهد نفسه بالإصلاح في جوانب مختلفة, عقلية ونفسية وجسمية وغيرها, والإصلاح أيضا يفرض نفسه على العلاقات البشرية بدء من الأسرة، والعائلة ، ومرورا بالقبيلة والمجتمع ، وانتهاء بالعلاقات الدولية واستمرارا إلي الحياة الآخرة .

قال تعالى: " إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا"[3] ، وقال تعالى:"رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [4].

الإصلاح على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ـ أمر لا يمكن الاستغناء عنه، وإلّا لما استمرت الحياة على وجه الأرض, والجانب الفكري الذي تدور عملية الإصلاح كلها عليه هو أهم الجوانب في عجلة الحياة , وبالتالي لابدَّ من

([1])سورة السجدة الآية -27
([2]) سورة الإسراء الآية -84
([3]) سورة النساء الآية -146
([4]) سورة غافر الآية-8

ما يسمى بـ (قانون التدافع في الحياة) ؛ لكي لا تستبد فكرة بالعمل والرأي؛ ولكي تجري الحياة كما يجري النهر يدفع بعضه بعضاً وينظف نفسه بمائه ،ويمنع الشوائب من الاستقرار عليه.

قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "[1]

لإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي هو الذي يقوي الدول ويطور الشعوب, وكلمة الإصلاح في القاموس السياسي لها أهمية كبرى, ومن هنا يجب إيراد المصطلح ونقل معناه من القاموس السياسي الحديث, وتوجد تعريفات عدة للإصلاح يمكن إجمالها في التعريف التالي:

"الإصلاح هو الوصول إلى أفضل صورة في الدولة والمجتمع ،وذلك بالقضاء على الأخطاء والانتهاكات والعيوب، والتقصير في الواجبات, وكذلك هو الوصول بالإنسان إلى مرحلة حسن السيرة وأداء الأمانة ؛وبالتالي هو العمل على تصحيح الأخطاء ،وحل المشاكل، ومحاربة الانتهاكات في الحكومات سياسيا واجتماعيا؛للوصول إلى أحسن المستويات ،في التفاوض والحوار، ووضع المواثيق."[2]

ولمن أراد أن يدرس حركة التاريخ في مجال الإصلاح ـ سيرى أن الأيديولوجيات كلها التي وجدت في التاريخ البشري، بما في ذلك الفكر الشيوعي الماركسي، والأفكار الأخرى التي اتصفت بالدكتاتورية والاستبداد.إنما هي تصور الإصلاح وتعمل على تطبيق ذلك التصور إن تسنى لها ذلك .

وأن الإسلام لا يعطى صفة الإطلاق إلا للقرآن الكريم والصحيح من السنة ؛لأنهما من عند الله سبحانه، المتجاوز لحدود الزمان والمكان، وغير المتحيز بهما

([1]) سورةالأعراف الآية-75

(2)علي صادق أبو هيف –القانون الدولي العام-منشأة المعارف الإسكندرية-تأريخ الطبع-1993م القسم الخامس المنازعات الدولية –ص-919

أوفيهما .أو أي فكر بشري فلابد أن يلقي عليه الزمان والمكان بعضا من ظلاله ."(1)
" فقد وجه الإسلام الفكر البشري أول ما وجهه ،نحو التقاط –الحوادث –بوصفها – عبرا– وذلك هو أعظم تجديد فكري من ناحية النظر إلي التأريخ –أي ما يدور في الزمن"(2)

غير أن آخر ما وصلت إليه البشرية من استنتاجات وأفكار هو أن الإصلاح في المجتمعات إنما يكون بتأكيده جانب حقوق الإنسان ، والحريات العامة واحترام رأي الأغلبية، وإطلاق ملكات الإبداع والفكر، والعقل, هذا في الجانب السياسي.

قال تعالى: " ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ "(3)

أما في الجانب الاقتصادي, فإن الرأسمالية هي التي سيطرت على تعريفه بعد سقوط الكتلة الشرقية ،وبذلك فالإصلاح الاقتصادي هو التحول إلى مايسمى بالسوق نبمعنى أن يسير السوق الاقتصاد لا أن تقننه الدولة وتسيطر عليه،فهو يستند إلى حجم التبادل التجاري ، ومن هنا يبرز دور الدفع نحو مايسمى بـ(الخصخصة) والتي تعني أن ترفع الدولة يدها عن النشاط الاقتصادي ، وأن تدفع نحو استقلالية السوق, غير أن الأفكار والأيديولوجيات بحسب اختلافها هي التي تحدث الاختلاف في التعريف

فكرة الإصلاح : **وبالبحث في موضوع فإن فكرة الإصلاح تتضح أنها مرتبطة بالدين في أغلب الأحيان،أو ما يقدسه الناس،هذا هو الذي يوجد في حركة التاريخ الإنساني عبر عصوره المختلفة.قال تعالى : "إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" (4) وهو شعار معمول به عند الأنبياء والرسل جميعهم, كما أنه معمول به عند الدعاة والمصلحين في كل زمان ومكان،قال تعالى : "وَمَـــــا**

---

(1)نصر محمد عارف –التراث السياسي الإسلامي –تأريخ الطبع 1401هـ 1981م ص-74
(2) المصدر نفسه - ص 11
(3)سورة النحل الآية - 119
(4) سورة هود الآية -88

نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَــيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ "[1]

ينقل ابن خلدون في مقدمته التقسيم الجغرافي للأقاليم الــسبعة فيبــيّن "أن الحكماء قسموا الأرض على سبعة أقاليم من الشمال إلى الجنوب, كل واحد منهــا آخذ من الشرق إلى الغرب, ويقسم كل إقليم أجزاءً, ويخلص إلى أن أكثــر هــذه الأقاليم اعتدالا هي ثلاثة الأقاليم المتوسطة ؛ لأن سكانها من البشر هــم أعــدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا, وهم أكمل لوجود الاعتــدال فــيهم, وهــم الــذين يوجدون في العالم العربي وما حوله، أو هم أهل المغرب والشام والحجاز واليمن والهند والسند والصين، وكذلك الأندلس ومن حولهم؛ لأن هذه الأقاليم هــي التــي استقبلت الأديان والرسل وأثبت التاريخ خير يتها في وقت قوتها وهيمنتهــا علــى العالم" [2] لأن الإصلاح باقي فيها بإصلاح المرسلين لأتباعهم .قال تعالى: "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون " فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأهلها ينصف بعضهم بعضا" "لذلك فإن الإصلاح ينسجم مع أهل هذه الأقــاليم, ذلك أنهم يأخذون الحسن فيطورونه إذا تسنى لهــم ذلــك, كمــا يــردون القبــيح ويستبدلونه بالحسن" [3]

كذلك بالنظر إلى تفاعل أي دين مع الحياة بجوانبها كلهاــ فــلا يوجــد غيــر الإسلام؛ لأن الكنيسة عُزلت عن الحياة اليومية بعد أن سيطرت العلمانية, أما الإسلام فهو الدين الوحيد الذي توجد فيه إمكانية التعامل مع السياسة، والاقتصاد والاجتماع، والفكر والأخلاق ،والعبادات والمعاملات، وغيرها من المجــالات, ذلــك أن الإســلام تتسع فيه دائرة الاجتهاد وتضيق فيه دائرة الأمر والنهي كما هــو معــروف. قــال

([1]) سورة الأنعام الآية- 48

(2) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي-مقدمة تأريخ بن خلدون-مطبعة دار الفكر-بيرون-لبنان-الطبعة الثانية-1408هـ 1988م المقدمة الثالثة –ص-104

([3])المصدر نفسه ص- 115

تعالى: "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ "[1]

للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار أملأ عينيك من زينة هذه الكواكب وأجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر"[2]

إن إطلاق فكرة الإصلاح في العموم والتخصيص ستنتجح من دون أدنى شك إلى واقع أفضل للبشرية بموجبه تقوم الإصلاحات الذاتية ؛ لأنها تنطلق من العقل وتخاطبه أيضا.

ولكن لا يمكن البدء بالتعامل مع الواقع وإصلاحه من منطلق الفكر الإسلامي من دون الوقوف عند بعض العوامل المهمة وتقويمها, ومن العوامل المهمة ما يلي:

- **قراءة التاريخ.**
- **الصحوة الإسلامية.**
- **الفكر الإسلامي.**

و من الأفضل الوقوف في هذا البحث عند كل عامل من هذه العوامل ولو بصورة مختصرة ومفيدة.

إعادة قراءة التاريخ : وهذا يعد من الأدوار المهمة التي ينبغي التصدي للقيام بها, وقد بدأت أصوات كثيرة من أهل المعرفة والثقافة تنادي بذلك, والمقصود بإعادة قراءة التاريخ: النظرة التحليلية في حركة التاريخ الإنساني؛ لأن التاريخ وأهمية دراسته من البديهيات التي لا يختلف فيها اثنان, غير أن الطريقة التي

([1])سورة آل عمران الآية-191

(1)الزمخشري: أبو القاسم محمود عمر الزمخشري الخوازمي – الكشاف –ج-1- تحقيق : عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث – بيروت –د-ت-ط- ص-480

تربط الماضي بالحاضر والمستقبل هي التي ينبغي التعامل بحقها, وهي الطريقة التي تجعل التاريخ مادة للفكر والعمل في الوقت نفسه .

قال تعالى: " يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ "[1] فقد وجه القرآن الكريم الفكر البشري ،أول ما وجهه نحو الدين وأهم عنصر في الإسلام العقيدة وهي التي تأمر التفكر في التأريخ . قال تعالى : " ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ "[2]. وقال تعالى: "وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ " [3]

إن دراسة التاريخ تحتاج إلى الدارس المنصف الذي يتعامل من خلال التاريخ مع بشر يخطئون ويصيبون, والمنصف هو الذي يقدس ما يستحق التقديس, ويُقَوِّم ما ينبغي تقويمه, فالأنبياء والرسل يجب تقديسهم من حيث أنهم أنبياء يبلغون عن الله سبحانه وتعالى, فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم يجب التعامل معه كمبلغ عن الله تعالى ويجب تقديس ذلك على أنه متعلق بجانب الرسالة, ونتعامل مع أصحابه رضي الله عنهم على أنهم بشر تشرفوا بصحبته وتعلموا منه بشكل مباشر, ولكنهم أصابوا وأخطئوا, وقد اختصر هذا الكلام الإمام مالك إمام دار الهجرة ــ رحمه الله ــ عندما وقف عند قبر المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ: "كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر".[4] فإذا كان هذا التعامل مع الرعيل الأول ممن عاشر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإنه من الأولى أن يكون مع من جاء من بعدهم, وبالتالي يمكن للباحث في التاريخ الإنساني أن يتعامل مع التاريخ تماما كما يتعامل مع الحياة اليومية, ففي الناحية السياسية يحلل كما يحلل واقعه المعايش سياسيا, وكذلك من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والمذهبية وغيرها. فالإصلاح يكون بقراءة الماضي واستشراف المستقبل ومعايشة الواقع مما يدور حول الإنسان في حياته اليومية .

([1])سورة النور الآية -44

([2])سورة النحل الآية -123

([3])سورةهود الآية -123

(3) الألوسي : أبو الفضل محمود الألوسي – روح المعاني – دار إحياء التراث العربي –بيروت –د-ت-ط- ج-11- ص-88

الصحوة الإسلامية:

الصحوة الإسلامية يجب التعامل معها بإنــصاف واعتــدال أيــضا؛ لأن هــذه الصحوة لها وعليها, فيها ميزات وحسنات وفيها عيوب ونقص وعثرات, ولست هنا بصدد عرضها للتحليل والمناقشة من خلال الوصف, ولكن لكي تبرهن هذه الــصحوة الإسلامية تأثرت بواقعها وما يحيط بها ، وتأثرت أيضا بالمناهج التعليمية والتربويــة المعمول بها في العالم الإسلامي, كذلك بالمدارس الفكرية العاملة في الساحات العربية والإسلامية والدولية أيضا, وتتأثر كذلك بالمناهج الفكرية التي يضعها قادة الــصحوة بمختلف اتجاهاتهم, على أن هذه المناهج قد تكون جيدة وفاعلة في جوانب منها، وقد تكون مدمرة في جوانب أخرى، وفي بعض منها أيضا, ولكــن لا شــك أن الوقــوف عليها أمر مفروض على قادة هذه الصحوة, وتقويمها كذلك لا يجوز التأخر فيه.قــال تعالى: "لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ " [1].وإن مــن أهم ما ينبغي التركيز عليه في هذا التقويم والتحليل هو دراسة فكرة الإصلاح،بصفته ركيزة من ركائز الصحوة الإسلامية ، والعمل على إقامة مراكز ومؤسسات البحــوث التي تتعمق في هذا الموضوع الذي سيبعث الروح في جسم الأمة إذا عملت بمقتضاه.

الفكر الإسلامي القديم والحديث :

الفكر الإسلامي ليس مادة سهلة يمكن جمعها بسهولة, بل إنه واسع وكبير، ولا يمكن الإحاطة به من قِبل أفراد,و هو كــذلك يحتــاج إلــى إقامــة وبنــاء المراكــز والمؤسسات البحثية، التي تستنفر له أصحاب العقول والتخصصات ليخوضوا غمــار البحث فيه.

إن الذين تعاملوا مع المدارس الفكرية المختلفة من منطلــق العقيــدة فقــط ـــ ضيعوا على أنفسهم، وعلى أمتهم، وعلى العالم كله خيرات كثيرة, واختزلوا حركــة الحياة في الجانب العقدي دون غيره.وينبغي علــيهم أن يأخــذوا بكليــات الإصــلاح وشموله، في ميادين الحياة المختلفة.

([1])سرة آل عمران الآية -164

هناك كثير من الناس يتعاملون مع مذاهب أهل السنة والجماعة بالتنزيه في كل كبيرة وصغيرة, وما يزيد الأمر تعقيدا هو التحيّز لبعض من المذاهب داخل مذهب أهل السنة دون غيرها, ولا أعني هنا التحيّز الفقهي أو'التقليد . قال تعالى: "وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ "(1)

على أن مدرسة أهل السنة ، هي مدرسة قدمت للدنيا خيرات كثيرة، وأعطت ولكن من خلال السياسة, والناظر في التاريخ بهدوء وتمعن يرى ذلك واضحا وجليا, ولكن لا أظن أنَّ ما تفضلتْ به هذه المدرسة الكبيرة يمنع من النظر في الفكر السلفي الذي يعتمد مناهج أخرى كمنهج فكر الاعتزال والفكر الشيعي وغيرهما, وهنا من المهم أن البحث لايعني جانب , بالتفصيل ، بل يبحث عن جانب الإصلاح الشامل للجوانب كلها, السياسية والاقتصادية والعقلية والعقدية ،والعبادات والمعاملات .

أما في ما يتعلق بالمدارس الفكرية مثل الشيوعية والقومية واللبرالية والمذاهب الحديثة, فإنّ الأمر يزداد خطورة ؛ لأن هذه المذاهب ما زالت تؤثر في حياة الناس اليوم, وهذا الأثر سيمتد إلى المستقبل القريب, وبالتالي إخضاع هذه الأفكار و هذه المذاهب للدراسة والبحث بما يكفي من الإنصاف والاعتدال.بأن يؤخذ منها النافع ويطرح الفاسد.بعد عرضه على كليات الإسلام .ومراكز البحوث الإسلامية .

وإن ما يشجع في مجال الإصلاح على ما ذكر في هذا الموضوع ـ هو أن الإسلام يتميز بكبر مساحة الاجتهاد والرأي فيه, وقد قيل 'الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها. إن عادة قراءة ودراسة التاريخ الإنساني, وتقويم الواقع المعايش والفكر الإسلامي القديم والحديث, هو الذي يعالج بحيوية موضوع الحضارات وعلاقتها بعضها ببعض, ومن ثم إبراز الحضارة الإسلامية ، والسماح لها أن تتلاقح مع الحضارات الأخرى تأثرا وتأثيرا, مع الحفاظ على ما له علاقة بالنص القرآني والنبوي مما ليس فيه مجال لتفكير بني البشر.

---

(1)سورة لقمان الآية -22

والتفكير الحضاري هو الإصلاح الذاتي الذي يعطي للإصلاح شكله الحسن وجوهره الجميل, وهو الذي يجعل الإصلاح شعارا في الحياة.ويشيع الأمن والسلام في العالم كله ويتيح لكل ذي حق أن يدافع عن حقه في حدود المنطق والعقل والقانون.

إن المتأمل في الحضارة الإسلامية, والمتمعن في سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الراشدين من بعده, يرى بوضوح الإصلاح الراقي في الأداء السياسي

والاقتصادي والإداري والاجتماعي ؛ فقد تعامل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع النفوس البشرية معالجا ومشجعا, يبني ويوضح لكلٍ دوره في الحياة, وهو الذي دعا في كل وقت إلى اللين، والمرونة ، ونهى عن الشدة والتنطع, وميز بين ما يتعلق بالجانب العقدي والعبادي ، الذي يخضع للنص أمراً ،أو نهياً من جهة ،وبين الجانب العملي في واقع الحياة, فقال في الأولى:" خذوا عني مناسككم " [1] وقال: " صلوا كما رأيتموني أصلي "[2] وقال في الثانية: " أنتم أعلم بشؤون دنياكم[3]

وقد أكد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مبدأ الشورى وجعله حقا لكل فرد في الأمة, ومن مرونته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه لم يجعل صيغة معينة في التعامل بهذا المبدأ الحضاري العظيم, وهكذا كان الخلفاء الراشدون من بعده؛ لذلك كانوا هم أعمدة البناء الحضاري على مر العصور, فقد كان سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ يتأمل في الثقافات الواردة على الأمة فيأخذ جيدها ويطوره ، ويحارب سيئها, وذلك كله من خلال مساحة الاجتهاد التي كما ورد سلفا هي الأوسع والأرحب في الإسلام.قال تعالى: " قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً " [4]

الإصلاح في الواقع العربي والإسلامي :

---

(1) ابن عبد البر : أحمد بن علي- فتح الباري شرح البخاري-مكتبة دار الفيحاء-ج-2-دار النشر مكتبة دار السلام-1420هـ 3000م(كتاب العلم – باب الإنصات للعلماء) -ص287

(2)المصدر نفسه-ص-391

(3)أبو الحسين مسلم بن الحجاج –صحيح مسلم – ج -15-16-رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية -د-ت-ط- (باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره – صلى الله عليه وسلم)ص-118

(4)سورة الإسراء الآية-84

الواقع العربي والإسلامي واقع غير مكترث ، وغير متفاعل مع المتغيرات ، التي تجعله مشلولا في حركته ، وتطوره ونموه، وتأثره، وتأثيره. إن المشكلة ليست مشكلة لسان , لأن العرب, حتى في الجاهلية, كانوا يُعرفون بالذوق الرفيع, وحسن التعامل مع المعاني وإخراج تلك المعاني في مباني هي عبارة عن كلام منثور أو منظوم، لأنهم أمة ممهدة لقيادة الإصلاح لما تتمتع به من خبرات ومقومات وحضارات .إذا المشكلة في جمود الأمة الإسلامية والعربية عن مهمتها الإصلاحية.

كما أن المشكلة ليست مشكلة الدين ؛ لأن الإسلام هو دين الحضارة والتقدم, والأمر لا يحتاج إلى إيضاح ؛ لأنه أوضح من الشمس في رابعة النهار،

قال تعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " [1]

والمشكلة أيضا ليست مشكلة جغرافيا ، أو تاريخ ، أو لغة؛ لأن هذه الأمة لديها من القوة في هذه المجالات ما يجعلها متفوقة على غيرها.وهي تجمع مقومات إصلاحية ثرة .قال تعالى: " "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "[2]

مشكلة الإصلاح :

وإنما تكمن المشكلة في الثقة والفكر والبعد عن منابع القوة, و مساعد العدو على ضرب الأمة وزرع الفتنة ؛ لكي يبقى قويا في وسطها، ويذيقها مرارة الهزيمة في الصباح، وفي المساء، وفي داخل عقر دارها مستعينا بأراذلها، مانعا لها كل وسائل التقدم العصري، وقد هجروا قول الله تعالى: " وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ " [3]

---

[1] سورة الجمعة الآية-2

[2] سورة إبراهيم الآية-4

[3] سورةالأنفال الآية-10

مشكلة الصفوة:

إن أكبر مشكلة تواجه الأمة هي مشكلة الصفوة التي هي الصفوة العربية بكل أنواعها, وهي بالتأكيد تشمل السياسيين، والعسكريين، والمثقفين ،وتضعهم في رأس الهرم الاجتماعي "إن آفة الكثير من الصفوة عدم الاطلاع والمعرفة الصحيحة للإسلام فإذا قدمت في الساحة الفكرية دراسات جادة وقادرة علي الارتفاع إلي مستوي العصر بجانب الحوار الواعي فيمكن أن يكون ذالك كفيلا بكسب أصحاب العقول والموضوعية"[(1)]

هذه الصفوة هي المسئولة بصورة أساسية ومباشرة عن كل الفشل والإخفاق ،الذي أصاب الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية في الساحة العربية والإسلامية والإحباط الذي أصيبت به جراء مهادنتها للأعداء.

وهذه الصفوة كذلك صاحبة الفضل في أي نجاح أو تقدم حدث على هذه الساحة

إن الضعف الذي تعانيه الأمة الإسلامية .هو الذي شجع الأعداء على أن يمعنوا في ضربها وتفريقها وإخضاعها لرغباتهم.غير أن المشكلة هي مشكلة السياسيين بالدرجة الأولى, فالسياسيون هم الذين تعاملوا مع شعوبهم ببطش وضربوا النخب المثقفة, وهم الذين نشروا الجهل في شعوبهم ووضعوا أنفسهم في مواضع الشبهات، فاتهموا من قبل الشعوب بالخيانة والعمالة, وأكدوا في نظرية المؤامرة, هذه النظرية التي زاد رسوخها في الأذهان الأمر تعقيدا ونشرت اليأس والقنوط في أوساط المجتمعات وخصوصا الشباب الثائر .

وقد سبب هؤلاء الحكام في هجرة العقول إلى الغرب سعيا وراء الاحترام والتقدير والرزق وأجواء الحرية التي تساعد على الإبداع, وهو الأمر الذي فصل أصحاب العقول عن شعوبهم فحدثت الفجوة الكبيرة بين الشعوب والمثقفين, وهو بالضبط ما أراده الحكام ؛ ليتسنى لهم ممارسة الاستبداد، والقهر، من دون أية

---

(1) طه جابر العلواني –إصلاح الفكر الإسلامي –المعهد العالمي للفكر الإسلامي –الطبعة الأولي-1412هـ 1991م-سورة ص الآية-56

مواجهة أو رفض, فضلا عن القهر الذي مارسته الحكومات على المثقفين ،الذين لم يهاجروا، بل قتلوا، وسجنوا، وحُجِر عليهم, مما زاد الرهبة في قلوب الناس, وزاد من الخضوع للحكام بدلا من أن يكونوا شركاء في نطاق الوطن الواحد لبناء الدولة الإسلامية.

قال تعالى: " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم" [1]

في مقابل ذلك, فإن الفئات المثقفة تتحمل هي الأخرى مسؤولية ما يحدث,من التخلف والجهل وعدم التفاعل مع معطيات الإصلاح ؛ لأن هذه الفئة تعاملت مع الناس باعتبارهم من الدهماء والعوام, فأبعدت نفسها عن الناس, وربما نسيت أو تناست أن الله تعالى خلق العقل للإنسان, وأطلق له العنان في التفكير والإبداع .قال تعالى: " اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ "[2].إن المناهج المعتدلة بدءا من منهج الشورى في الإسلام والمدارس التي تدعو إلى ممارسة الديمقراطية ودعم حقوق الإنسان, تعطي للإنسان كإنسان حقه في التفكير والإصلاح.

إن النخب المثقفة التي جاءت بثقافات مستوردة ،من الشرق ،كالشيوعية ومن الغرب كاللبرالية ومن الوسط كالبعثية ،التي لا تتناسب مع أيدلوجيات المجتمع وحضاراتهم قد تمارس في بعض الأحيان من خلال بعض المدارس أنواعا من القهر والاستبداد الفكري على الشعوب.

وما يزيد الأمر تعقيدا وسوءً غياب الدور الحقيقي الذي كان ينبغي أن تقوم به فئة مهمة جدا من الفئات المثقفة, هي فئة المشايخ أو الدعاة إلى الله, إن بعض هذه الفئة قصرت في كثير من الأحيان في مهمتها الإصلاحية ؛ لأن فلسفتها قامت على تهميش الآخرين, واعتبرت هذه الفئةُ ،أن الناس كلهم جهلاء ونادتهم بذلك, واجتهدت

([1])سورة التوبة الآية-71
([2])سورة غافر الآية-64

كثيرا في التضييق وإطلاق الفتاوى المتشددة فأرهبت الناس وأقفلت أبواب الاجتهـاد من حيث لا تشعر, واعتبرت أن الاجتهاد هو التمسك بالتقليد دون غيرهم مع أن الله فضلهم بالعلم إن الفئات التي ضيقت قد منعت من حيث لا تدري تمتع العقل والـروح بعالم الفن وعالم الذوق وعالم الإبداع, ووجهت الأنظار إلى مدارس محددة

في الفقه الإسلامي والعلم الشرعي, وهمشت مدارس عظيمة كـان لهـا دور كبير في النهضة الإسلامية على مر العصور.

قال تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ " [1]

على أن هناك مجموعات منهم اتصفت بالتوسط والاعتـدال, والتيـسير علـى الناس بقدر المستطاع, بسبب الفقه والفهم المتزن لفلسفة الإصلاح.

كيف يكون الإصلاح :

مما سبق يمكن القول بأن الإصلاح ينبغي أن يكون بين ثلاثة أبعـاد رئيـسة, هي النخب السياسية والنخب المثقفة والشعوب, لأن الواقع العربي والإسلامي يتطلب ذلك.ولتحقيق المصالحة يجب التنازل, لأن الإصلاح والمصالحة, تعني تنازل كل طرف من الأطراف في سبيل الالتقاء مع الآخرين, وفي سبيل الاتحاد الـذي يجعـل القـوة الضاربة تتجه نحو العدو المشترك.

وهذه المصالحة لا تتحقق إلا بإيجاد مؤسسات فاعلة مثـل مراكـز البحـوث ،وتجارب الخبراء ، تكون هي المناخ الملائم لالتقاء النخب السياسية بالنخب المثقفـة وتفتح الباب أمام الشعوب؛ لتتفاعل معها حتى لا يظلم أي فرد.

إن المؤسسات التي تقوم بهذا الدور لا يمكن أن تأتي من خارج أفكار المجتمع أوأن تصنع بعيدا عن بيئة الناس, و يجب مراجعة أداء المؤسـسات القائمـة أصـلا وبمختلف تخصصاتها, الإعلامية والبحثية، والدبلوماسية والعلمية وغيرها.

([1])سورة فاطر الآية-28

كما أن الأمر يحتاج إلى بذل الجهود للاستعادة أو بناء عنصر الثقة الذي يعد من أهم العناصر الفاعلة في عمليات الإصلاح البيني.

وهناك أيضا شرائح المجتمع التي تُـكـوِّن المجتمعات في العالم الإسلامي والتي من أهمها الأسرة التي تعتبر النواة الأولى والتي تعد الشريحة الأساسية, ومطلوب منها القيام بالدور الصحيح في هذا الاتجاه (اتجاه الإصلاح), وكذلك شريحة العائلة والقبيلة, التي لا يمكن إهمالها أو المطالبة بنحر دورها الطبيعي في المعايشة والإصلاح, وكذلك القرية الواحدة والريف والشارع والمدينة, إلى جانب كل ما في هذه الشرائح من هيئات عاملة كالمدارس والمستشفيات ودور الرعاية وأماكن الترفيه وغيرها.

إن هذه الشرائح والهيئات كلها يجب إعادة النظر في دور كل منها وإصلاحها والعمل على الدفع بها في اتجاه تعاونها وتفاعلها ليكون المجتمع صالحا مصلحا يجمع داخل أسواره كافة فعالياته .قال تعالى: " وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ " [1] لأن الإصلاح يتطلب من الجميع التعاون ، و التعاضد ، كل شرائح المجتمع الإسلامي ،التعليمية والمهنية،والأهلية والرسمية والشعبية؛ لتحقيق الخيرية . قال تعالى:" لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا "[2]

وبذلك ربما يتحقق ما قصه لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم – قال :"اشترى رجل من رجل عقارا له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب فقال الذي شري الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها قال فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه ألكما ولد فقال أحدهما لي غلام وقال الآخر لي جارية قال

([1])سورة هود الآية-117

([2])سورة النساء الآية-114

أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقا " [1] **فالمجتمع الإســـلامي إذا تربى على منهج النبوة ربما يصل هذه المرحلة المتقدمة وهو الخوف من الله ويقتنع كل واحد بما رزقه الله من الرزق الحلال ولا يتطلع إلى ما في أيدي الآخرين .**

الفصل الثاني

مفهوم المجتمع الإسلامي

وبه

(مبحثان)

المبحث الأول : مفهوم المجتمع

المبحث الثاني : مفهوم الإسلام للمجتمع

(3) مسلم بن الحجاج-صحيح مسلم –ج-3-دار إحياء التراث –بيروت –ب-ط-المحقق-محمد فؤاد عبد الباقي-باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين _رقم الحديث _1721-ص-1345

الفصل الثاني

المبحث الأول : مفهوم المجتمع

تعريف المجتمع :

ورد في كتاب معجم الألفاظ والأعلام القرآنية."أصل المـــادة جمـــع – جاءت مادة – جمع –في القرآن الكريم وما تصرف منها مائة تسع وعشرون مـــرة وكلها تدل علي معنى مجتمعين وأكثر ما يستعمل ــ جمع ــ فـــي الأعيـــان وأكثرمـــا يستعمل ــ أجمع ــ في الآراء" [1]

"واجتمع القوم: أي انضم بعضهم إلي بعض حتى صاروا جمعا .وفـــي أســـماء الله الحسنى– الجامع لأنه هو الذي يجمع الخلائـــق ليـــوم الحـــساب ويؤلـــف بـــين المتضادين والمتماثلين في الوجود وقد جاء هذا اللفظ في القرآن الكـــريم صـــفة الله تعالى : والأمر الجامع : هو الذي يقتضي أن يجتمع الناس له والجمع أن تجمع شيئاً إلى الشيء , والإجماع : أن تجمع الشيء المتفرق جميعاً فإذا جعلتـــه جميعـــاً بقـــي جميعاً ولم يكد يتفرق كالرأي المعزوم عليه المعنى " [2]

المجتمع اصطلاحاً :

"هو مجموعة من الأفراد يربط بينهم رابط مشترك يجعلها تعـــيش عيـــشة مـــشتركة وتنظم حياتها علاقات منتظمة معترف بها فيما بينهم وقد يكون هذا الرابط الأرض وما يقـــوم عليها من مصالح مشتركة كالمجتمع السويسري والكندي . وقد يكون الجنس والأهـــل ومـــا يتصل به من لغة، وثقافة وتاريخ، ومبادئ، وهو المجتمع القومي كالمجتمع العربي والتركي .وقد يكون المبادئ السائدة والمعتقدات المشتركة ،وما يتولد عنها مـــن أفكـــار وعواطـــف، وسلوك كالمجتمع العقائدي مثل المجتمع المسلم " [3]

---

[1] محمد إسماعيل إبراهيم – معجم الألفاظ والإعلام القرآنية – دار الفكر العربي ب-ت-ط- ص 105

[2] جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم –لسان العرب--ط بيروت-دار صادر0جـ 8 فصل الجيم - ص-58

[3] محمد المبارك – المجتمع المسلم - ط الثانية دار الفكر للطباعة والنشر والتو زيع 1393هـ 1973م.ص- 9

ولمعرفة المجتمع الإسلامي من الحكم والدولة ، يجب الرجـوع إلـي دلالـة النصوص من القرآن والسنة, وتاريخ الأمة؛لاستجلاء الحقيقة، ومن تتبع سير تاريخ الإسلام يجد كيف أن الجماعة الأولى سعت لتأسـيس دولـة وحكـم يـستوعب آراء المجتمع الإسلامي وغيرهم في موطن واحد وتتجلى الحقائق التالية:تـضمن القـرآن الكريم أحكاما لا يتصور تنفيذها دون وجود حكم ودولة تأخذ بها وتعمل علي تنفيـذها . فمن ذلك أحكام الحدود كقتل القاتل، وقطع يد السارق، ومعاقبة الذين يـسعون فـي الأرض فسادا – أي يخلون بأمن الدولة والمجتمع – وغيرها من العقوبـات التـي لا يتصور تطبيقها إلا بوجود دولة وتطبيق الأحكام إذ كيف يترك ذلك للأفراد دون قضاء وحكم ، وفيها نفي وقتل، وصلب وقطع يد، وجلد. وأمثال ذلك مـن العقوبـات التـي تستلزم حكما ويتخذ منها القانون الجنائي حق التقاضي وموجبات التنفيذ ، ويتـضمن القرآن كذلك أحكاما مالية تتعلق بالنفقة الواجبة بين الأقارب، وبالميراث وتوزيعه. و بالزكاة جباية وصرفا، و لا يتصور أن تكون هذه الأحكام ملازمة لمن تجب عليهم إلا إذا كان ثمة سلطة مجبرة تلزمهم جبرا ، إذا امتنعوا عن أداء ما عليهم مـن حقـوق واجبة .

بل إن من مصارف الزكاة مصرف العاملين عليها وهم اسم يطلق على الجهاز الذي يتولى إدارة أموال الزكاة جمعا وحفظـا وتوزيعـا والعامـل فـي الاصـطلاح الإسلامي. هو الموظف في الاصطلاح الحديث، ولا يتصور وجود هؤلاء إلا في جهاز دولة قائمة تتخذ من هذه القواعد المالية أساسها وتعمـل علـي تطبيقهـا وتنفيـذها .ويتضمن القرآن بعد هذه دعوة إلي الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليـا وكلمة الذين كفروا السفلى ، ولحماية الدين ورد الاعتداء على المسلمين وأوطـانهم، وكيانهم ودولتهم، وحماية المستضعفين من الرجال والنساء في آيات كثيرة جداً فـي سورة البقرة

قال تعالى : "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَـيْئًا وَهُـوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ"[1]

---

(1) سورة البقرة الآية -216

و في سورة النساء قـال تعـالى : "وَمَـا لَكُـمْ لاَ تُقَـاتِلُونَ فِـي سَـبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَـا مِـنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَـصِيرًا [1] فأوجـب تعالي الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء[2] و في سـورة الأنفال قال تعالى :" وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُـولِ وَلِـذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ " [3] ويقول سبحانه في سورة التوبة :" إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [4]"

لما لمز المنافقون رسول الله –صلي الله عليه وسلم- في قسمة الصدقات بين لهم مصرفها دفعا لطعنهم وقطعا لشغبهم" [5] وبنص القرآن علي أحكام في أمور تنشأ عن الجهاد كتوزيع الغنائم، والفداء والأسرى، وما إلي ذلك . ولا يمكـن أن يخاطـب المسلمون فرادى غير منتظمين بهذه الأحكام،ويجب إيجاد نظام وحاكم يقوم بتنفيـذ هذه الأحكام و يتولى شؤونهم ، وينفذ هذه الأحكام ويقسم هذه الغنائم ويفدى الأسرى

و يتضمن القرآن كذلك أحكاما وتوجيهاً تتعلق بواجبـات الحـاكم. –" إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَـدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا "[6] قال علي بن طالـب وزيـد بـن أسـلم وغيرهما هذا خطاب لولاة المسلمين خاصة ،فهو للنبي –صلي الله عليـه وسـلم – وأمرائه خاصة. [7] وهكذا فهمها الصحابة- رضوان الله عليهم –على أنها نزلت في ولاة الأمور وبهذا فسرها المفسرون الأولون قريبو العهد بعصر الصحابة والتـابعين [8]، كما ذكر واجبات الرعية في الآية التالية . وبين الله في حالة التنازع بين أفـراد المجتمع حاكما ومحكوما الرجوع إلى الكتاب والسنة كما جاء في تتمة الآية

قال تعالى :"فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُـــــــولِ

---

(2) سورة النساء الآية- 75
([2])أبو عبد الله محمد بن أحمد – الجامع لأحكام القرآن –مؤسسة مناهل العرفان –م 3 –ج 5-ب-ت--ص-279
([3])الأنفال الآية- 41
([4])التوبة الآية 60
([5])محمد بن علي الشوكاني-فتح القدير- ج-3- دار الحديث--الطبعة الثالثة – 1418هـ-1997م ص-521
([6])سورة النساء الآية-58
([7]) أبو محمد عبد الحق بن عطية –المحرر الوجيز- مطبعة الدوحة- ج-4- 1402هـ 1982م ص-108
([8]) محمد بن جرير الطبري – جامع البيان - مطبعة دار المعرفة – بيروت –لبنان - 1992 جـ 8 ص- 49

إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخر" [1]

إن مجموع هذه الأحكام الجنائية؛ والمالية, والدولية, والدستورية, تحتاج إلى حـــاكم عادل ومنهج مستقيم .وقد اشتمل القرآن علي مجموعة من الحقائق الكبـــرى التـــي دعا إلي الإيمان بها ، كالعقائد وهي تؤلف ما يمكن أن يطلق عليـــه التـــصور العـــام للوجود فجعل الإنسان والكون المحيط به منوطا وجودهما بخالق قدير مهيمن عليهـــا وهو الله عز وجل .

الكون مسخر للإنسان والإنسان مكلف من الله تعالى بعمارة الأرض وتـــسخير الكون لمنفعته استخلفه ذلك ومنحه عقلا يدرك به حقـــائق المحـــسوسات وإرشـــاداً وتعليماً عن طريق رسله المختارين لذلك يدرك الحقائق التي هي وراء المحـــسوسات ويعرف طرق الخير والشرفي سلوكه وتنظيم حياته وجعل له حياة أخرى لتكون حياة المسؤولية والجزاء هذه الحقائق اقترنت بعبادات رسمها الله له لتعبر عن خـــضوعه المطلق له وتوجيهات وقواعد لسلوك وقواعد تشريعية لتنظيم الحياة الاجتماعية فـــي هذا الجو العقائدي، والأخلاقي، والتشريعي ،تنمو الحياة الإنسانية في جميع جوانبهـــا ويتعاون أفراد المجتمع المفتوح لبني الإنسان جميعاً ليقوموا بما حملهم الله من أمانة ويؤدون رسالة الاستخلاف الإلهي في عمارة هذا الكون إن مثل هذه الفطرة الـــشاملة المتكاملة لا يمكن أن تتحقق دون أن تكون الدولة أي الحكم أو التنظيم السياسي جزءاً منها يفسح لها مجال الحياة لتحقيق رسالتها ويحميها مما يعارضها ويعيق سيرها .
من أقوال النبي – صلى الله عليه وسلم –ما يدل دلالة صريحة واضحة على أن الحكم أو الدولة جزء من مقومات الإسلام التي بلغها للناس بل أن هذه الأقوال تشمل علي مصطلحات جديدة مثل الوزير

قال تعالى:_"وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِـــي* اشْـــدُدْ بِـــهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرً *اِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا "_ [2]

---

(1) سورة النساء الآية -58

(2) سورة طه الآية – 28-34

في فكرة الدولة تقابل مفاهيم جديدة جاء بها الإسلام كما بلغه رسول الإسلام منــه فقد أكد أولاً ضرورة تنظيم الجماعة [1]

وفي الحديث : إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم [2] وقد أحسن الإمام ابن تيمية الاستنتاج إذ قال : فأوجب رسول الله – صلى الله عليــه وســلم – على تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك علي سائر أنواع الاجتماع إلى أن يقول : فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله . [3]

وقد وردت أحاديث استعمل فيها لفظ الإمام للدلالة علي الحاكم منها قولــه – صلى الله عليه وسلم –الإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ومنهــا أحاديث كثيرة في الإمام العادل . منها "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظــل إلا ظلــه منهم إمام عادل " [4] أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يوجــب صــراحة علــي المسلم أن ينتمي إلي دولة إسلامية ويرتبط بعقد وبيعة وكذلك قوله من خــرج مــن الطاعة وفارق الجماعة فميتته جاهلية [5] وقوله – صلى الله عليه وسلم –من نــزع يده من طاعة إمامه فإنه يأتي يوم القيامة ولا حجة له[6]

والأحاديث حول هذا الموضوع كثيرة ومشهورة وكلها تدور حــول ضــرورة البيعة وحقيقتها والانتماء إلي الدولة الإسلامية . وتدور كذلك حول ضرورة الطاعــة فيما لا معصية فيه . وهنالك أحاديث كثيرة في الإمارة وهــي الولايــة والحكــم ، و القضاء ،وهذه من مقومات الأمة الناهضة .كما أن فعل نبي –صلى لله عليه وسلم – كأقواله مقوم أساسي من مقومات الإسلام ، وهى سنته الفعلية وخطته العلمية وهو قد أقام دولة فعلا وكان هو بالإضافة إلي صفة النبوة والرسالة إمام المسلمين في عهــده وأميرهم ورئيس دولتهم يولي الولاة ويعين القضاة ويعقد الألوية ويرســل الجيــوش

([1]) د–يوسف القرضاوى –الخصائص العامة للإيلام –مؤسسة الرسالة –الطبعة الثانية – 1404هــ 1983م بتصرف ص 133

([2]) البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي – سنن البيهقي الكبرى – ج-3-تحقيق : محمد عبد القادر عطا (مكتبة دار الباز – مكة المكرمة -1414هـ 1994م) باب إجماع القوم في موضع هم فيه سواء – ص-119

([3]) احمد تقي الدين بن عبد الحليم - السيا سية الشرعية –مطبعة أنصار السنة 1381م ص 45

([4]) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل-صحيح البخاري شرح فتح الباري- ط-دار السلام ودار الفيحاء- م-3-ت-الطبع - 1420هـ2000م(كتاب-الزكاة –باب الصدقة باليمين)--ص-370

([5]) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل-صحيح البخاري شرح فتح الباري- ط-دار السلام ودار الفيحاء- م-3- - 1420هـ2000م كتاب-الزكاة –باب الصدقة باليمين-16-ص-370

([6]) المصدر نفسه ص -372

ويجمع الزكاة والغنائم ،ويوزعها في مصارفها،التزاما لقوله تعالى: " خُذْ مِنْ أَمْــوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِــيمٌ "[1] ويقيم الحدود، ويعقد العهود، ويرسل الرسل والوفود إلي الملوك، وهذه الأعمال كلهــا من أعمال السلطة والحكم ولو كان الإسلام بمعزل من الحكم لما فعل ذلك وما جاز لــه ولتركه لغيره على الأقل أن يقوم به وإنما سمي أبو بكر خليفة ولــذا أســرع كبــار الصحابة بعد انتقال الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلي ربه لاختيار أمير المــسلمين يخلفه في هذه الصفة وعدم إنكار أحد منهم ضرورة اختيار خليفة له يخلفه في رئاسة الدولة.

وكل إمام شرعي سمي كذلك لأنه خلف محمد - صلى الله عليه وســلم -مــن هذه الجهة وهي جهة السلطة إذ لا نبي بعده لا من جهة النبوة ولاصقة الرسالة لأنه خاتم النبيين والرسل ولا رسول بعده وإنما خلافته إذا بصفته إمامًا للمسلمين وأميــراً عليهم ورئيساً لدولتهم وأعتبر لفظ الإمام والخليفة وأمير المؤمنين ابتعادا بــالمفهوم الإسلامي للدولة ورئاستها عن النظام الملكي بمفهومه الجاهلي عن الأمم الأخرى من الفرس والرومان الذي يختلف اختلافا أساسيا عن المفهوم الجديد .

قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَــوْمِ الآخِــرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً" [2]

دليل واضح ولمن عنده مسكه من عقل على أن إقامة ا لدولة وإصلاح الحكم والسلطة جزء ضروري من الإسلام لا يقوم إلا به، ولا يتم إسلام المسلمين بدونه ومعلــوم أن إجماع الصحابة علي أمر من أمور الدين يعتبر دليلا وحجة على شرعيته ويكفــي أن فهمهم للإسلام مرجع للمسلمين لكونهم تلقوه مباشرة عن الرسول المبلغ - صلى الله عليه وسلم -

قال تعالى: " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَــا وَإِذَا حَكَمْــتُم بَــيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا"[3]

---

(1) سورة التوبة الآية -103
(2) سورة النساء الآية-59
(3) سورة النساء الآية-58

إن القرآن الذي نزل بلغتهم وعاشوا في أجواء آياته المنزلة وتوجيهات نبيه وإرشاداته وفي جو التطبيق العملي لأحكامه.جعلتهم يعتقدون أن الفهم الصحيح للإسلام هو إقامة الدولة والحكم ومن اعتقد غير ذلك فقد ضل الطريق. ولما سبق من الاعتبارات والحجج أن أئمة المسلمين وعلمائهم منذ صدر عصر الإسلام حتى العصر الحاضر قد أدخلوا باب الإمامة في كتبهم الفقهية وأحياناً في كتب العقيدة وعلم الكلام وهذا خصوصا في إمامة الصلاة وما صار من الخلاف في طريقة تعيين الإمام مع الإتفاق علي الأصل بين الفرق الإسلامية.

"اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع المعتزلة وجميع الشيعة وجميع الخوارج ـ حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا :لا يلزم الناس الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم وهذه الفرقة لا نرى بقى منها أحد على وجوب الإمامة وان الأمة فرض عليها الانقياد لأمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ،ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول لله ـ صلي لله عليه وسلم ـ [(1)]

وهكذا أجمع المسلمون جيلا بعد جيل منذ عصر الصحابة إلي هذا العصر علي أن الحكم من الإسلام وعلى أن الإسلام يستلزم إقامة الدولة [(2)].بعد تعريف المجتمع الإسلامي وهو مجتمع مرتبط بالعقيدة والحكم ،ورعاية مصالح العباد ،وذكر أقوال الفطا حلة من العلماء ؛على أن الإسلام دين ودولة ، مصحف وسيف ،اقتصاد وقانون، ثقافة وحياة ،ألزم الأولون بإقامة الدولة لرعاية أفراد المجتمع الإسلامي لإصلاحه في جميع أموره ،الدينية والدنيوية، في معتقده وفي معاملاته وفي جميع شؤونه .قال تعالى: "قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " [(3)] عليه يلزم الأمة الإسلامية لإصلاحها ونهضتها الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم -

---

([1]) أبو محمد علي بن أحمد -الفصل في الملل والأهواء والنحل -مطبعة دار الجبل -بيروت -لبنان -ج -4-ب-ت-ط- ص -149 توفي الشيخ الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بقريته وهي من غرب الأندلس على خليج البحر الأعظم في شهر جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وأربعمائة والقرية التي على بعد نصف فرسخ من أونبة يقال لها متلجتم وهي ملكه وملك سلفه من قبله المولود : 384هـ المتوفى : 456(معجم الأدباء ج-3-ص-548)

([2]) د/ يوسف القرضاوى – شريعة الإسلام ط : الثانية : المكتب الإسلامي ت . ط .1396هـ ص 135

([3]) سورة الأنعام الآية - 162

المبحث الثاني
مفهوم الإسلام للمجتمع

تختلف الأسماء من حيث انطباقها على المسمى ، وصدق تعبيرها عنه اختلافاً كبيراً حسب الكيفية التي وضع بها الاسم عنواناً للمسمى ، والطريقة التي أطلق فيها للدلالة عليه

إذ قد يطلق الاسم تارة على المسمى إطلاقاً ارتجالياً ، بلا مناسبة بينهما ، ولا دلالة حقيقية في الاسم تدل عليه . . كما هو الحال في كثير من الأسماء والعناوين والأوصاف التي يتعامل معها الإنسان يومياً ، ويلتقي بها كثيرا. مثال ذلك الشخص الذي يسمى خز علا فبتسميته لهذا الاسم لم يراع العلاقة الحقيقية بين الاسم الذي يطلق على هذا الشخص ، وبين الحقيقة المتجسّدة فيه . . فخز عل في لغة العرب هو الضبع ، ولا علاقة بين ذات الإنسان وماهية الضبع . . ومع ذلك يطلق هذا الاسم على أفراد النوع الإنساني، بلا علاقة حقيقية ، ولا مناسبة بينهما . . فيكون اختيار هذا الاسم ، وإطلاقه له اختياراً مرتجلاً ، وإطلاقا بلا مناسبة ، ولا دلالة حقيقة تعبر عن ذات المسمى.

وقد يطلق الاسم تارة أخرى على المسمى، وقد اختير اختياراً دقيقاً ووضع وضعاً صادقاً بشكل يجعل من المسمى أو المضمون والمحتوى المندرج تحت هذا الاسم، أو المصطلح، حقيقة كلية تنطوي في صيغة هذا الاسم والعنوان، وتكمن في أرجائه.وهكذا فعل القرآن حينما اختار اسم الإسلام عنواناً لشريعة سيد المرسلين محمد–صلى الله عليه وآله وسلم–واسماً لمطلق الخضوع والعبودية لله وحده وللأديان الحنيفة .

قال تعالى: " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ" [1] فالقرآن بفصاحته، وبلاغته، وعمق تعبيره، ودقة اختياره للكلمة، والمفهوم، والأسلوب، لا يمكن أن يكون إلاّ دقيقاً، حينما اختار هذا الاسم عنواناً عاماً لهذا الدين. . وإلاّ معبراً في اختياره هذا أصدق التعبير عن واقع هذا الدين وحقيقته . . لذا فقد جاء هذا الاختيار القرآني دقيقاً، وشاملاً بشكل حافظ على التناسب والارتباط بين منهاج الشريعة وأهدافها من جهة، وبين الاسم الإسلام الذي سميت به الشريعة من جهة أخرى.قال تعالى: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" [2]

وباستطاعة المسلم المثالي الحاذق أن يكتشف هذه العلاقة القائمة بين الشريعة، وبين مضمونها وأهدافها إذا رجع إلى قواميس اللغة أولاً ، وعرف أن كلمة – الإسلام –تعني في لغة العرب الخضوع والاستسلام . . ثم إذا انتقل –من قواميس اللغة– إلى محتويات الشريعة . . العقائدية، والتشريعية، والتوجيهية.لجميع نواحي الإنسان قلبه وسمعه وبصره وفؤاده ومظهره وجوهره كل ذالك محاسبا عليه .

قال تعالى: " وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" [3]

وإذا قام بدراستها وتحليلها واستنتج من خلال ذلك أن هذه البنية الدينية بكامل وحدتها تستهدف – الخضوع والاستسلام لرب العالمين– والتحرر من كل

([1]) سورة البينة الآية-5

([2]) سورة المائدة الآية-48

([3]) سورة آل عمران الآية-85

خضوع، واستسلام لطواغيت البشر، وخرافات الوهم فإذا قام بمثـل هـذه المتابعـة والاستقراء ، استطاع أن يكتشف السر الكامن في العلاقـة بـين عنـوان الـشريعة وهويتها ، والمناسبة التي دعت القرآن إلى نقل هذه الكلمة ــ الإسلام ــ من معناهـا اللغـوي إلـى وضـعها الاصـطلاحي ، وإعطائهـا دلالـة شـرعية خاصـة. وباستطاعة المسلم المثالي الحاذق أن يستنتج أيضاً أن هذا الاسم دالّ على مـسماه –الدين– وأن التطابق دقيق بين العنوان والحقيقة العقائدية والتـشريعية المنطويـة تحته .

وإن هذا الدين لم يسم ــ بالإسلام ــ إلاّ لأنه منهاج الاستسلام والخضوع لرب العالمين ، ودعوة الخلاص والتحرر من كل عبودية ، وضع الإنسان قيدها في عنقه ؛ولهذا جاءت تعريفات عديدة ومضمونها واحـد هـو الانقيـاد والخـضوع لله رب العالمين. ومنها التعريفات التالية لمزيد من الإيضاح .

الإسلام : هو الخضوع والاستسلام والانقياد لله رب العالمين [1] وبذا يكون الإسلام شاملا عليه " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً " "[2]

الإسلام :هو النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد صلي الله عليه وسلم [3] أن يكون حاله وتحاكمه لجميع أموره معتمدا عل منهج النبي –صلي الله عليه وسلم

الإسلام :هو مجموع ما أنزله الله علي رسوله محمد ــ صلي الله عليه وسـلم ــ من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والإخبار بما جاء في القـرآن الكريم والسنة المطهرة وأمر لتبليغها إلي الناس : [4] فالإسلام شامل لكـل منـاحي الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية والمهنية .

وأصح التعريف هو حديث جبريل عليه الـسلام :(.......... أخبرنـي عـن الإسلام ؟ قال عليه الصلاة و السلام "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتـصوم رمـضان، وتحـج بيـت الله

([1]) عبد الكريم زيدان –أصول الدعوة –دار عمر بن الخطاب –الإسكندرية-الطبعة الثالثة-ص -8
([2]) سورة الإسراء الآية -36
([3]) عبد الكريم زيدان –أصول الدعوة –دار عمر بن الخطاب –الإسكندرية-الطبعة الثالثة-ص -8
([4]) المصدر نفسه –ص- 6

الحرام إن استطعت إليه سبيلا "[1] وكذلك حديث ابن عمـر المـشهور " رضـي الله عنهما قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسـلم – بنـي الإسـلام علـى خمـس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتـاء الزكـاة والحـج وصوم رمضان "[2] وأن النبي- صلي الله عليه وسلم- قال لرجل مـن أهـل الـشام (أسلم تسلم)قال: وما الإسلام ؟قال:أن تسلم قلبك لله ،وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك " [3])ويتضح أن التعريف الصحيح هو ما عرفه النبي- صلي الله عليه وسـلم – لأنه يشمل الإ قرار بوحدانية الله وبرسالة الإسلام ،ومقتضيات الدين علي مراد الله، ومراد رسول الله – صلي الله عليه وسلم .قال تعالي "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرسُـول النَّبِـيَّ الأمي الذِي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التّورَاةِ والإنجيل يَأمُرُهُم بـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـاَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والأغـلال الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنـزِلَ مَعَـهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون "[4])

وعند البحث في هذا الموضوع ، ويتواصل العطاء لمثل هذا المفهـوم ، تجـب بالضرورة متابعة استعمال الألفاظ القرآنية لكلمة ــ الإسلام ــ وتحرى موارد إطلاقها ، وحالات انطباقها من خلال الآيات القرآنية الكثيرة التي تحدثت عن الدين والعبودية والإسلام لرب العالمين على لسان الأنبياء والمرسلين من نوح –عليه السلام –إلـى محمد –صلى الله عليه وآله وسلم – فإذا وجدت مثل هذه المتابعة فباستطاعة الباحث أن يكتشف الاستعمال الدقيق لهذه الكلمة ــ الإسلام ــ والتشخيص الواضح لمعناهـا إن الإسلام دين الرسل، ودعوة الأنبياء، والعنوان الجامع لها ،وقد أورد القرآن الكريم الاستعمالات المتكررة لكلمة الإسلام ; بمعنى الإيمان الصادق والخضوع الكامل لأمـر الله سبحانه ، بصيغ وأساليب متعددة; كصيغة الأمر والدعاء والإخبار .علـى لـسان الأنبياء والصفوة المؤمنة من أتباعهم، وهم يعلنـون إسـلامهم ، أو يـدعون إليـه فيستجيبون

([1]) مسلم شرح النووي-ج-1- -دار الفكر – بيروت -1401هـ1981م ص-69

([2]) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل-صحيح البخاري شرح فتح الباري-ط- دار السلام ودار الفيحاء-ج-م -1-ت-الطبع 1420هـ 2000م كتاب الإيمان-ص-69

([3]) أحمد عبد الحليم-مجموع الفتا و ي –طبع بأمر صاحب السمو ولي العهد فهد بن عبد العزيز –م-1-ت- الطبع 1401هـ 1981م ص-157

([4]) سورة الأعراف الآية- 157

قال تعالى: حاكيا عن لسان نوح –عليه السلام- " فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْـــر إِنْ أَجْـــرِيَ إِلاَّ عَلَـــى الله وأُمِـــرْتُ أَنْ أَكُـــونَ مِـــنَ الْمُـــسْلِمِينَ "[1]

وقال تعالى في مورد آخر ، راوياً صيغة الخطاب الإلهي الموجه لإبـــراهيم –عليـــه السلام" إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِين *وَوَصَّى بِهَا إِبْـــرَاهِيمُ بَنِيـــه وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ الله اصْطَفَى لَكُـــمُ الـــدِّين فَـــلاَ تَمُـــوتُنَّ إِلاَّ وَأَنـــتُم مُّـــسْلِمُونَ"([2])

وقال تعالى: مِّلَّةَ أَبِـــيكُمْ إِبْـــرَاهِيَم هُـــوَ سَـــمَّاكُمُ الْمُـــسْلِمِينَ مِـــن قَبْـــلُ. . . " [3])

وقال تعالى متحدثاً عن لسان يوسف – عليه السلام- "رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِـــي مِـــنَ الْمُلْـــك وَعَلَمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأحاديث فَاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرض أَنتَ وَلِيِّ فِي الـــدُّنْيَا وَالاخِـــرَه تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بالصَّلِحِين " [4]).وقال تعالى ناقلاً حوار– موسى عليه الـــسلام– مع قومه:"وَقَالَ مُوسَى يَا قَّوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِالله فَعَلَيْه تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمينَ [5])

وقال تعالى:"إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْـــلَمُوا لِلّذِينَ هَادوا "[6]) وقال تعالي:" وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحواريين أَنْ آمِنُوا بِـــي وَبِرَسُـــولي ، قَالُوْا آمَنّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُون " [7])

ومثل مقالة الأنبياء جميعاً قال سيد المرسلين محمد –صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم-علي ماجاءه من ربه.

"إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَـــيء ، وَأُمِـــرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ " [8])

وهكذا تلتقي وتجمع هذه الدعوات الإ لـــهيه على امتداد خط الإسلام لرب العـــالمين ، بمعناه الحقيقي المرادف لمعنى العبودية ، والإيمان الصادق بالله تعالى ، والذي بـــدا واضحاً في استعمال إبراهيم –عليه السلام– لهذه الكلمة وهـــي قـــول الله تعـــالي: " أَسلَمْت لِرَبِّ الْعَالَمِين " واتخاذه هذا الإسلام ديناً يتعبد به ، وأمانة يوصي بها بنيـــه

([1]) سورة يونس الآية -72
([2]) سورة البقرة –الآية-131-132
([3]) سورة الحج الآية -78
([4]) سورة يوسف الآية-101
([5]) سورة يونس الآية-84
([6]) سورة المائدة الآية-46
([7]) سورة المائدة الآية111
([8]) سورة النمل الآية-91

وأتباعه ، وشعاراً لأهل التوحيد ، وعنواناً لدعوة الإيمان: ". . . مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسلِمينَ مِن قَبْلُ " ([1]) وهكذا يوصلنا القرآن الكريم إلى أن الأنبياء جميعاً كانوا يسيرون على هذا الخط الإيماني الموحد ، ويتجهون نحو غاية واحدة ، وهي :تحقيق العبودية لله ، وإسلام البشرية لرب العالمين ، وتحريرها من عبادة الطواغيت ، والأهواء ، ومن كل صنوف العبودية البشرية الضالة.وللحقيقة ذاتها اعتبر القرآن الكريم الإيمان بكل الأنبياء والرسل ركناً أساسياً من عقيدة المسلم ، ودليلاً تاريخياً ومنطقياً على صدق الرسالة المحمدية ، قال تعالى:"قُولُواْ آمَنَّا بالله وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إلى إِبْرَاهِيمَ وإسماعيل وَإِسْحقَ وَيَعْقوبَ والأسباط وَمَا أوتيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَآ أوتيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَد مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ "([2])

وقال تعالي: "قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُل وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ مَا يُوحَى إِلِيَّ وَمَآ أَنَاْ إِلاّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ " ([3])

ومن هنا يفهم أن الأنبياء جميعاً حملوا للبشرية دينا واحداً ، وبشروا بعقيدة واحدة ، قد جعلها الله سبحانه أساساً ومنطلقاً لإصلاح البشرية ، وسبباً لإنقاذها من التخبط والضياع في ظلمات التيه والجاهلية التي أفرزتها عصور الخرافة ، وحاكت نسيجها أساطير الشعوب المتدنية ، فعانى الإنسان منها ما عانى من عبادة الطواغيت ، ومن الفقر ، والظلم ، والجهل ، والفساد ، وما زال يعاني ، وسيبقى يعاني ما لم يعد إلى منهج الأنبياء ، ودعوة الرسل التي انصبت جميعها في مصب واحد ، واستهدفت هدفاً واحداً; وهو إنقاذ الإنسانية ، وخلاص البشرية ، جيلاً بعد جيل ، وأمة بعد أمة ، من تلك المآسي والعبودية، إلى الإصلاح والفلاح .

وقد أراد الله سبحانه ، لرسالاته هذه جميعاً أن ينصب عطاؤها ، وتلتقي روافدها في مجرى واحد ، وتتركز أنوارها في بؤرة واحدة ، وتكتمل دعواتها في دعوة واحدة . . فكانت دعوة الإسلام ، ورسالة محمد –صلى الله عليه وآله وسلم– هي الدين الخالد ، وخاتمة الأديان والرسالات ، والمنهاج المهيمن على مناهج الرسل

([1]) سورة الحج الآية- 76
([2]) سورة البقرة الآية-136
([3]) سورة الأحقاف الآية- 9

، والمستوعب لها.قال تعالي:" وأنزلنا إلَيْكَ الْكِتَّابَ بِالْحَقِ مُصَدِّقاً لمَّا بَيْنَ يَدَيْـــهِ مِـــنَ الْكتَّابِ وَمُهَيْمناً عَلَيْه فَاحْكُم بَيْنَهُم بمَآ أَنَزَلَ الله وَلاَ تتبَّعْ أهْواءهُمْ عَمَّا جاءك منَ الْحَقِّ لكُلٍّ جَعَلْنَا منكُمْ شرعَةً وَمِنْهاجا."[1] وقال تعالى: " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُـدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [2] مهيمناً علـــى كـــل تلـــك الرسالات والشرائع بما يحمل بين جنبيه من عوامل السعة والشمول والخلود; ليمتـــد عبر مساحة التاريخ البشري ويستوعب كل مظاهر التطور والنمو في الحياة الإنسانية الممتدة .وهكذا كان تيار الدين عطاءً متدفقاً كالنهر العظيم ينحدر صـــافياً ، ويـــسير ممتداً مع امتداد البشرية ، متمثلاً في الإسلام العظيم ، الدين الذي دعا إليه الأنبياء ، ونادي به المرسلون فاغترفوا منه بقدر حاجة شعوبهم ، وإمكانات أممهـــم ليتركـــوا تياره منسابا إلى من يعقبهم من أجيال وأمم وأنبياء ، وليأخذ كل جيل منه حاجتـــه ، وليستمر نهر الرواء متدفقاً بالحياة والخصب والنماء للبشرية جميعاً ، وللإنسانية في مختلف عصورها.

لذلك بعث الله الأنبياء على فترات مختلفة من حياة البشرية ليرشدوا الناس إلى شرائع هذا النهر الروحي العظيم الذي يبعث في إنسانيتهم الخصب والحياة "يَآ أَيُّهَـــا الَّـــذِينَ آمَنُـــواْ اسْـــتَّجِيبوُا لله وَلِلرَّسُـــولِ إذَا دَعَـــاكُمْ لِمـــاَ يُحْيِـــيكُمْ " [3]

ولذا كان نداء الأنبياء إلى شعوبهم وأممهم جميعـــاً هـــو خطـــاب واحـــد ونـــداء واحد.ذلك لأنهم كانوا جميعاً دعاةً للإسلام الذي هو دين البشرية كلهـــا مـــن بدايـــة نشوئها ، وحتى نهاية أجلها على هذه الأرض; فهو المادة التعبديـــة ، والإصـــلاحية التي صيغت وشرعت منه كل الرسالات والشرائع ،أما الفوارق التي نشاهدها بين مـــا يبلغه رسول وآخر يكمن سببها في حاجة البشرية ، ومـــستوى وعيهـــا ، وإدراكهـــا ومدى تحملها. لذا فان البشرية في منتهى نضجها وتكاملها ، كانت مهيأة لاســـتيعاب كل هذا الدين «دين الإسلام» وحمل دعوته والسير على هدى منهاجـــه ، ورســـالته .وهذا ما أوضحه القرآن الكريم وأكده بقوله: "إنَ الدّينَ عِندَ الله الإسلام وَمَا اخْتَلَـــفَ الَّذِينَ أوتوا الكتاب إلاَّ مِن بَعْد مَآ جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيا بَيْنَهُمْ ، وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ الله فَـــإنَّ

([1]) سورة المائدة الآية- 48
([2]) سورة الصف الآية-9
([3]) سورة الأنفال-24

اللهِ سَرِيعُ الْحِسابِ "[1] "وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام ديناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخرة مِنَ الْخَاسِرِين" [2].فكان هذا الدين هو الدين الذي استقى منه الأنبياء رسالاتهم واستمدوا دعواتهم من غير أن يكلفوا بحمل هذا الدين أو تبليغه كاملاً إلى أممهم،وشعوبهم،بل كلفوا وأمروا بتبليغ ما يصلح تلك الأمم ، ويسد حاجاتها ، ويأخذ بيدها إلى طريق الهدى والسلام; كما أشار إلى ذلك البيان القرآني المتحدث عن الدين والرسالات ، وعن وحدة المصدر والغاية ، فيؤكد أن الدين واحد: «وهو الإسلام» ، وأن دعوات الأنبياء ورسالاتهم جميعاً شرعت -أي تفرعت واستمدت منه- قال تعالي:" شَرَعَ لَكمُ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً ، وَالَّذي أَوْحَينا إِلَيْك ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُواْ الِّدينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيُه كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يشاء ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ " [3]

وهكذا يثبت القرآن لنا وحدة الخط والاتجاه الذي سار عليه الأنبياء ، ويؤكد أنهم -عليهم السلام "جميعاً أمروا بإقامة الدين ، ونهوا عن التفرقة فيه ...فوجهة البشرية واحدة ، وغايتها في الحياة واحدة، تستوعبها أطر الدين ، ودعوته العقائدية والإصلاحية ، مع تفاوت جزئي في المنهج والطريقة. لذلك لا يصح أن نسمي دعوات الأنبياء أدياناً متعددة ، بل هي دعوات متعددة ورسالات مختلفة لدين واحد حملها الأنبياء إلى أجيال البشرية.

وقد اتضح لنا من استعراض القرآن لمفاهيم الدين والرسالات والإسلام: أن الدين الإسلامي هو الإطار الجامع لكل أهداف الدين الإلهي ،قال تعالى: " إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ [4])

وهو الصيغة الكلية للرسالة الإلهية الكبرى التي تصبغ صورة الإنسان والحياة على هذه الأرض، وهو المادة الأساسية التي شرعت منها الرسالات والدعوات الإلهية من قبل، لنوح وإبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام-

---

([1]) سورة آل عمران الآية-19
([2]) سورة آل عمران الآية -85
([3]) سورة الشورى الآية-13
([4]) سورة آل عمران الآية-19

وغيرهم من الرسل والأنبياء. قال تعالي : "وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ " [1] وهو صيغة الدين الإلهي الكلية التي ألقيت بكاملها إلى نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– ليبلغه ويدعو البشرية إليه بأرقى منهج ، وأنضج شريعة، وأفضل طريقة ،وأعمق فهم .

لذا كانت الدعوات والرسالات السابقة كلها دعوات منسوخة ؛لأن دين محمد –صلى الله عليه وسلم– هو الدين كله الذي شرعت منه الشرائع والرسالات ، وهو المنهج الذي أريد للبشرية في نهاية حياتها أن تهتدي به ، وتصنع حياتها على هدى دعوته ورسالته. قال تعالى : "وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ " [2] أما الرسالات السابقة للإسلام فهي رسالات مؤقتة ودعوات محدودة ، وممهدة لرسالة الإسلام ، ودعوته الكبرى.

وحقيقة هذا الدين وهدفه هو عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما يعبد من دون الله، والاستسلام والخضوع لأوامره ، واجتناب نواهيه .

قال تعالى: "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ"[3]

قال تعالى: " وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ "[4]

قال تعالى: " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ "[5].قال تعالى: " قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ

([1]) سورة الزخرف الآية-4
([2]) سورة آل عمران الآية-81
([3]) سورة آل عمران الآية-19
([4]) سورة آل عمران الآية-85
([5]) سورة النحل الآية-36

فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ " [1]قال تعالى: قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "[2]

([1]) سورة الأنبياء الآية-108

([2]) سورة الأنعام- الآية 162

والخلق جميعاً ومنهم الإنس والجن قد خلقوا لهذه الغاية. قال تعالى:" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" [1]والإسلام نظام شامل كامل لتنظيم أعمال الإنسان جميعها على هذه الأرض، فهو أولاً يحدد عقيدة الإنسان، وعمله تجاه إلهه وخالقه سبحانه وتعالى. ثم عقيدته وعمله نحو أهل الإيمان ممن دخلوا في هذا الدين ثم عقيدته وعمله نحو كل مخلوقات الله التي تحيط بالإنسان في السموات والأرض ..

وفي كل هذه الأمور تأتي الأحكام الشرعية التكليفية الخمسة: الوجوب والندب، والإباحة، والتحريم، والكراهة.. لا يوجد عمل ولا اعتقاد إلا وفيه حكم من هذه الأحكام. قال تعالى: " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ "[2]

وقال تعالى: " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[3] فلا يوجد عمل ولا اعتقاد إلا وفيه حكم من هذه الأحكام. قال تعالى: " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ "[4](والمخمصة)المجاعة(والتجانف) الميل

وقال تعالى: " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[5]

وعلى رأس الدعوة إلى الإسلام الدعوة إلى العقيدة الصحيحة إلى الإخلاص لله وتوحيده بالعبادة والإيمان به وبرسله والإيمان باليوم الآخر، وبكل ما أخبر الله به، ورسوله، هذا هو الأساس الصراط المستقيم. وهو الدعوة إلى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومعنى ذلك: الدعوة إلى توحيد الله والإخلاص له

([1]) سورة الداريات الآية-56
([2]) سورة النحل الآية89-
([3]) سورة المائدة الآية-3
([4]) سورة النحل الآية89-
([5]) سورة المائدة الآية-3

والإيمان به وبرسله عليهم الصلاة والسلام، ويدخل في ذلك الدعوة إلى الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسله مما كان وما يكون من أمر الآخرة، وأمر آخر الزمان، وغير ذلك. ويدخل في ذلك أيضاً الدعوة إلى ما أوجب الله من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت إلى غير ذلك .. ويدخل أيضاً في ذلك الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ بما شرع الله في الطهارة والصلاة والمعاملات والنكاح والطلاق والجنايات والنفقات والحرب والسلم وفي كل شي ؛ لأن دين الله عز وجل دين شامل يشمل مصالح العباد في المعاش والمعاد ويشمل كل ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ودنياهم ويدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينهى عن سيئ الأخلاق، وعن سيء الأعمال .فهو عبادة وقيادة، يكون عابداً ويكون قائداً للجيش، ويكون عابداً مصلياً صائماً، ويكون حاكماً بشرع الله منفذاً لأحكامه عز وجل، عبادة وجهادا .ويدعو إلى الله ويجاهد في سبيل الله من خرج عن دين الله،فيعتقد أن الإسلام مصحف وسيف: يتأمل القرآن ويتدبره وينفذ أحكامه بالقوة ولو بالسيف إذا دعت الحاجة إليه، سياسة واجتماع فهو يدعو إلى الأخلاق الفاضلة والأخوة الإيمانية، والجمع بين المسلمين والتأليف بينهم كما قال جل وعلا:

"وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ "[1]

فدين الله يدعو إلى الاجتماع وإلى السياسة الصالحة الحكيمة التي تجمع الأخوة الإسلامية والتعاون على البر، والتقوى، والنصح لله ولعباده .

وهو أيضاً يدعو إلى أداء الأمانة والحكم بالشريعة، وترك الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل كما قال سبحانه: " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا " [2]

وهو أيضاً سياسة واقتصاد كما أنه سياسة وعبادة وجهاد، فهو يدعو إلى

([1]) سورة آل عمران الآية-103

([2]) سورة النساء الآية-58

الاقتصاد الشرعي المتوسط ليس كرأسمالي يكسب المال،ويكنزه ويعتقد أنه لايسئل عنه.وأما المسلم يعتقد أنه مستخلف فيه قال تعالى:" آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ"[1]

وتطلبه بالطرق الشرعية، وأنت أولى بمالك وبكسبك بالطريقة التي شرعها الله وأباحها جل وعلا.

والإسلام أيضاً يدعو إلي الأخوة الإيمانية وإلى النصح لله ولعباده وإلى احترام المسلم لأخيه المسلم لا خيانة، ولا غير ذلك من الأخلاق الذميمة كما قال جل وعلا: " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "[2]

وقال جل وعلا: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ([3]

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه [4]

فالمسلم أخو المسلم يجب عليه احترامه،وتقديره، وعدم احتقاره،

ويجب عليه إنصافه وإعطاؤه حقه من كل الوجوه التي شرعها الله عز وجل:في كتابه العزيز وسنة رسوله المعظم عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم

"وعن النبي – صلى الله عليه وسلم–قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه . وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا إذ جاء رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال: اشفعوا

([1]) سورة الحديد الآية -7

([2]) سورة التوبة الآية-71

([3]) سورة الحجرات الآية-10

([4]) مسلم –ج–4 مصدر سابق (كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله) رقم الحديث : 2564-ص1986

فلتأجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء" (1)

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن أبى هريرة قال : المؤمن مرآة أخيه إذا رأى فيها عيبا أصلحه" (2)

فالمؤمن مرآة أخيه وهو لبنة من البناء الذي يقوم عليه بنيان الأخوة الإيمانية، فيجب عليه أن يتقي الله في حق أخيه وأن يعرف حقه، وأن يعامله بالحق والنصح والصدق . فيجب أن يؤخذ الإسلام كله ولا يؤخذ جانباً دون جانب، لا تأخذ العقيدة وتدع الأحكام والأعمال، ولا تأخذ الأعمال والأحكام، وتدع العقيدة، بل يؤخذ الإسلام كله، عقيدة وعملاً وجهاداً، وسياسة، واقتصاداً، وغير ذلك

من كل الوجوه قال سبحانه: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ " (3)

" في الإسلام ينشأ الإنسان الذي يعرف حق ربه عليه ،فيعبده بالعلم والعمل الصالح ،ويعرف حق مجتمعه عليه فيعطيه كما يأخذ منه " (4)

والجهاد الشرعي الصادق فهو سلم وإسلام، وأمن وإيمان ولهذا قال جل وعلا: "ادخلوا في السلم كافة"(5) أي ادخلوا في جميع شعب الإيمان، لا تأخذوا بعضاً وتدعوا بعضاً، عليكم أن تأخذوا بالإسلام كله، "السلم"في أحكام أصل الإسلام وأعمالهم.قال :حذيفة بن اليمان في هذه الآية الإسلام ثمانية أسهم فعد الصلاة والزكاة ،والصوم،والحج،والعمرة،والجهاد،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وقال:قد خاب من لا سهم له " (6)

" وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ "(7) يعني المعاصي التي حرمها الله عز وجل، فإن الشيطان يدعو إلى المعاصي وإلى ترك دين الله كله، فهو أعدا

---

(1) البخاري: ج 5 مصدر سابق (كتاب الأدب – باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا) رقم الحديث :568-ص-2242

(2) البخاري : الأدب المفرد – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة الثالثة - 1409هـ - 1989م- (باب المسلم مرآة أخيه) رقم الحديث : 238-ص- 93

(3) سورة البقرة الآية -208

(4) د يوسف القرضاوى –شريعة الإسلام – مطبعة المكتب الإسلام-الطبعة الثانية-45

(5) سورة البقرة-208

(6) أبو محمد الحسين بن مسعود-معالم التنزيل- دار الكتب العلمية- ج-1-الطبعة الأولي-1414-1993م ص-133

(7) سورة البقرة الآية-208

عدو؛ ولهذا يجب على المسلم أن يتمسك بالإسلام كله وأن يدين بالإسلام كلـــه وأن يعتصم بحبل الله عز وجل وأن يحذر أسباب الفرقة والاختلاف في جميع الأحـــوال ويجب على المسلم أن يحكم شرع الله في العبـــادات . . وفـــي المعـــاملات وفـــي النكاح، والطلاق، وفي النفقات، وفي الرضاع، وفي السلم، والحرب، ومـــع العـــدو والصديق، وفي الجنايات، وفي كل شيء.. دين الله يجب أن يحكم في كل شي.

والحذر أن يوالي المسلم من يوافق هواه ويعادي الآخر لأنه يخالفه في رأي أو في مسألة، فليس هذا من الإنصاف، فالصحابة رضي الله عنهم اختلفوا فـــي مـــسائل، ومع ذلك لم يؤثر ذلك في الصفاء بينهم والمـــوالاة والمحبـــة رضـــي الله عـــنهم وأرضاهم ..فالمؤمن يعمل بشرع الله ويدين بالحق ويقدمه على كل أحـــد بالـــدليل، ولكن لا يحمله ذلك على ظلم أخيه وعدم إنصافه إذا خالفه في الرأي فـــي مـــسائل الاجتهاد التي قد يخفي دليلها، وهكذا في المسائل التي قد يختلف في تأويل الـــنص فيها فإنه قد يعذر، فالوجوب تقديم النصيحة وأن يحب الخير ولا يحمـــل العـــداء والانـــشقاق و هـــذا ممـــا يمكـــن العـــدو ولا حـــول ولا قـــوة إلا بـــالله.

الإسلام دين العدالة، ودين الحكم بالحق والإحسان، ودين المساواة إلا فيمـــا استثنى الله عز وجل، ففيه الدعوة إلى كل خير وفيه الدعوة إلى مكارم الأخـــلاق، ومحاسن الأعمال، والإنصاف، والعدالة، والبعد عن كل خلق ذميم.

قال تعالى: " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "[1]

و قال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـــعُوبًا وَقَبَائِـــلَ لِتَعَـــارَفُوا إِنَّ أَكْـــرَمَكُمْ عِنـــدَ اللَّـــهِ أَتْقَـــاكُمْ إِنَّ اللَّـــهَ عَلِـــيمٌ خَبِيـــرٌ" [2]

والخلاصة: إن الواجب على الداعية الإسلامي أن يدعو إلى الإسلام كله، ولا يفرق بين الناس، وأن لا يكون متعصباً لمذهب دون مـــذهب أو لقبيلـــة دون قبيلـــة، أو لشيخه، أو رئيسه، أو غير ذلك، بل الواجب أن يكون هدفه إثبات الحق وإيضاحه، واستقامة الناس عليه وإن خالف رأيه الآخرين ، ولما نشأ في الناس من يتعصب

([1]) سورة النحل الآية 90

([2]) سورة الحجرات الآية-13

للمذاهب ويقول: إن مذهب فلان أولى من مذهب فلان، جاءت الفرقة والاختلاف حتى آل ببعض الناس هذا الأمر إلى أن لا يصلي مع من هو على غير مذهبه فلا يصلي الشافعي خلف الحنفي، ولا الحنفي خلف المالكي، ولا خلف الحنبلي، وهكذا وقع من بعض المتطرفين المتعصبين، وهذا من البلاء ومن إتباع خطوات الشيطان..فالأئمة أئمة هدى، الشافعي ومالك، وأحمد، وأبو حنيفة ، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وأشباههم كلهم أئمة هدى ودعاة حق دعوا الناس إلى دين الله وأرشدوهم إلى الحق، ووقع هناك مسائل بينهم اختلفوا فيها لخفاء الدليل على بعضهم فهم بين مجتهد مصيب له أجران، وبين مجتهد أخطأ الحق فله أجر واحد،وعلي المسلمين أن يعرفوا لهم قدرهم وفضلهم وأن يترحموا عليهم وأن يعرفوا أنهم أئمة الإسلام ودعاة الهدى . وأهل العلم والإيمان والهدى.

الفهم الصحيح للإسلام أمر في غاية الأهمية بالنسبة لأفراد المجتمع الإسلامي وهذه أسس لابد منها في هذا الجانب.

"لأن في نظام الإسلام وشريعة الإسلام , سعد الناس بمساواة قانونية واجتماعية قل أن عرف التاريخ لها مثيلاً . فقد أعلن الإسلام المساواة بين البشر جميعاً , فهم عبيد لرب واحد , وأبناء لأب واحد تساووا في المبدأ , وتساووا في المصير , فلا مجال لبغي ولا فخر ولا تمييز "[1]

هذه سماحة الإسلام عاش عليها المجتمع ردحا من الزمن في سعادة أبدية كل يخاف الله في نفسه و في مجتمعه، و في المجتمع غير المسلم وأن غير المسلمين شهدوا للإسلام سماحته وعدالته،وفتح مجالات الحريات ،والتعبير عما يرغبون فيه فلا حجر ولا ظلم ولا اضطهاد والتاريخ خير شاهد " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ " [2]

"أبطل الإسلام كل الفوارق التي تميز بين الناس : من الجنس واللون , واللغة , والنسب , والأرض والطبقة , والمال والجاه , وربط هذه المساواة بشعائره

([1]) د/ يوسف القرضاوى – شريعة الإسلام مصدر سابق ص 54

([2]) سورة ق –الآية-37

اليومية والأسبوعية والسنوية , ليتأكد للناس أنهم سواسية كأسنان المشط , لا فضل بين لأبيض علي أسود ولا لأسود علي أبيض إلا بالتقوى . ولهذا لم يعرف المجتمع الإسلامي التمييز العنصري أو اللوني أو الطبقي الذي عرف في مجتمعات أخرى شرقية وغربية " [1]

الإسلام دين الله في الأرض قال تعالى: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَم" [2] "والمعنى شهادة ألا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله .وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه ، ولا يقبل غيره، ولا يجزى إلا به "[3] لأن دين الإسلام هو الناسخ لما قبله من الأديان ومهيمنا عليه وجاء حاملا ثمرات الأديان السابقة وخلاصتها وذلك يتمثل في صلاح الدين في كل زمان ومكان .

وبذلك ما دام الإنسان مخلوقا لله بأن أعطاه الحرية والخيار بأ ن يعبده أو لا يعبده قال تعالى : "وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُر " [4] ومن ثم عليه أن يحدد اتجاهه وأن تتضح له غايته في حياة الدنيا قال تعالي: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ " [5] ويعرف إن المقصد هو الله " وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى" [6] وأن الطموح والاجتهاد والبذل والتضحية إنما هو لنيل رضوان الله: " وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى [7] "تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا" [8] ويندرج تحت ربانية الإسلام الفهم والإيمان بكمال الإسلام "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا " [9] فلا بحث إذن عن مناهج أرضية ،ولا مذاهب بشرية، إذ هذا الكمال يغني عن ذلك ويبرز للإسلام مزية لا ولن تكون في غيره ، إذ النقص مقطوع به في مذاهب البشر، ونحل أهل الهوى، والتحريف في الرسالات السابقة مقطوع به:

([1]) د/ يوسف القرضاوى – شريعة الإسلام مصدر سابق -ص 54
([2]) سورة آل عمران الآية - 19
([3]) أبو محمد الحسين بن مسعود-معالم التنزيل _ط-دار الكتب العلمية –ج-1-ت-الطبع -1414هـ 1993م ص-221
([4]) سورة الكهف الآية -29
([5]) سورة الداريات الآية - 56
([6]) سورة النجم الآية - 41
([7]) سورة طه الآية -82
([8]) سورة الفتح الآية - 92
([9]) سورة المائدة – الآية 4

قال تعالى : " مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ " [1] "

والتحريف هو الإمالة والإزالة إما إزالته عن موضعه التي وضعه الله من التورية كتحريفهم –ربعة – في نعت النبي – صلى الله عليه وسلم – ووضعه مكانه طوال . وكتحريفهم – الرجم – ووضع الحد موضعه . وإما صرفه عن المعنى الذي أنزله الله تعالى فيه إلى ما لا صحة له بالتأويلات الفاسدة ومن مكرهم يقولون سمعنا وعصينا أي سمعنا قولك وعصينا أمرك أو سمعنا جهرا وعصينا سرا وقيل يحرفون كلم النبي – صلى الله عليه وسلم – عن مواضعه والمتاجرة بدين الله ثابتة والوقائع به ناطقة[2] وتكفير إتباع هذا التحريف لا يمكن الاختلاف عليه ولا الاجتهاد فيه لأنه واضح وبين . قال تعالى : " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ " [3] وهذا إغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال الكفار من اليهود والنصارى لمقالتهم هذه المقالة الشنيعة والفرية على الله تعالى .

مما لاشك فيه إن لهذه الربانية فوائد عظيمة في الدنيا كالاطمئنان والقناعة وآثارا جمة في الفرد نفسه والمجتمع كله يجنى ثمارها الإنسان في هذه الدنيا فضلا عن ثمراتها في الآخرة وهي ثمار في غاية الأهمية .

يسير على هدى من ربه وبينة من أمره واستبانه لمصيره بعد أن عرف الله وأقر له بالوحدانية فقد اتضحت وجهته الربانية ، وعرف من أين جاء ولما جاء وإلى من فراره وأين قراره إن حسبه ان يقرأ من كتاب ربه ما رد به خليل الرحمن على عبدة الأوثان

فقال: "فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ *وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَّغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ " [4]

---

(1) سورة النساء الآية - 45
(2) د-عمر بن علي باد حد ح -مقومات الداعية الناجح-مطبعة دار الأندلس الخضراء –جدة- -د-ط- ص-130
(3) سورة التوبة الآية - 30
(4) سورة الشعراء الآيات – 77-82

ومن ثمرات هذه الربانية وفوائدها ، أن يهدي الإنسان إلي فطرته التي فطره الله عليها ، والتي تطلب الإيمان بالله تعالى : – ولا يعوضها شيء غيره– يقول تعالى: " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ" (1)

"وإن في فطرة الإنسان فراغا لا يملؤه علم ،ولا ثقافة، ولا فلسفة،إنما يملؤه الإيمان بالله عز وجل " (2) . وبهذا كانت مهمة رسل الله توجيه الناس كافة إلي عبادة الخالق الذي أوجدهم من العدم ، وكان نداؤهم الأول إلي قومهم " أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ "(3)

أما وجود الله تعالى فكان أمرا مسلما به، في كل الأزمنة، والعصور ولم يجادل فيه إلا قلة مسحوقة لا يقام لها وزن (4) ولهذا لم يشغل رسل الله أنفسهم بإثبات وجود الله وإقامة الأدلة عليه بل بإثبات وحدانيته في ربوبيته وألوهيته واستحقاقه ،وأن يفرد بالعبادة دون غيره . (5)

و بذا تسمو نفس المؤمن وتستريح من أوهام الخرافات وعندئذ يعيش مطمئنا في الدنيا راجيا رحمة ربه في الآخرة. وفي هذا يقول القرآن : "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ "(6) والمعنى دينكم واحد وربكم واحد فلم تختلفون والمعنى الآخر وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السموات والأرض تصلح العبادة له سواي فاعبدوني : يقول فأخلصوا لي العبادة وافردوا لي الإلوهية ومن ثمرات الربانية سلامة النفس من التمزق والصراع الداخلي، والتوزيع والانقسام بين مختلف الغايات ، وشتى الاتجاهات لقد اختصر الإسلام غاية الإنسان في إرضاء الله وركز همومه في هم واحد هو العمل على ما يرضي الله .

---

(1) سورة الروم الآية 29-
(2) د- يوسف القرضاوى – الخصائص العامة للإسلام _ بتصرف - مصدر سابق –ص-120
(3) سورة النحل الآية - 36
(4) د-يوسف القرضاوى –الخصائص العامة للإسلام - مصدر سابق- ص-122 بتصرف
(5) د-يوسف القرضاوى-الإيمان والحياة –مطبعة وهبة- بيروت- -1404هـ1984م ص-94
(6) سورة الأنبياء الآية - 25

فالمسلم : يرضى بالله وحده ربا، وعليه يتوكل، وإليه وفى فضله يطمع ، ومن قوتـــه يستمد ، وله يتودد، وإليه يحتكم.

قال تعالى:" وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " [1]

ويوسف عليه السلام في ذلك المكان الذي تكرهه النفس وتفـــر منــــه الـــنفس الأبية ذات المكان النبيلة وهو يقول : لرفيقه في سجن عزيز مصر، وقد كان قومهما ممن يعبدون مع الله آلهة أخرى :" ياصَاحِبَيْ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُـــونَ خَيْـــرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِه إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَـــا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ "[2]

ومن ثمرات هذه الربانية حين تستقر في أعماق النفس – تحرر الإنسان من العبودية لأنانيته . وشهوات نفسه ولذات حسه ومن الخضوع والاستـــسلام لمطالبـــه المادية، ورغباته الشخصية ، وذلك أن الإنسان –الرباني – يوقفه إيمانه بالله وباليوم الآخر موقف الموازنة بين رغبات نفسه ومتطلبات دينه بين ما تدفعه إليـــه شـــهواته وما يأمره به ربه ، بين ما يمليه عليه الهوى وما يمليه عليه الواجب بين متعة اليوم وحساب الغد أو بين لذة عاجلة في دنياه وحساب عسير ينتظره فـــي أخـــراه وهـــذه الموازنة والمساءلة جديرة أن تخلع عنه نير العبودية للهوى والشهوات وأن ترتفـــع به إلي أفق أوسع بعيداً من الأنانية والبهيمية أفق الإنسانية المتحررة التي تتـــصرف بوعيها وإرادتها لا بوحي بطنها وفرجها وغريزتها الحيوانيـــة() . لـــيس عجبـــا أن يتورط الإنسان في معصية الله ، وتقلبه شهوته وهواه، فقديما عصى آدم أبو البـــشر ربه وغرهالشيطان حتى ارتكب ما نهاه الله عنه من الأكل من الشجرة ولكنه ما أسرع بأن تاب وأناب وقرع باب ربه بالاعتراف والاستغفار[3]

قال تعالي: قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِـــرِين َ " [4] " فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ "[5] ولقد عصى آدم

([1]) سورة آل عمران الآية - 101
([2]) سورة يوسف الآيات – 39,40
([3]) د- يوسف القرضاوي – الخصائص العامة - مصدر سابق-بتصرف - ص- 135
([4]) سورة الأعراف الآية - 22
([5]) سورة البقرة الآية - 36

وعصى إبليس فغفر لآدم ولم يغفر لإبليس لأن معـصية آدم كـان سـببها الـضعف والنسيان "وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا "[1] ثم أعقبتها توبـة نصوح يمحو أثر الذنوب ، كما يمحو إشراق الصبح ظلمة الليل " ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى " [2] أ ما معصية إبليس فكان سببها الكبر والتمرد على أمر الله : " قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ " [3] ولـم يعقبهـا إلا الإصـرار علـى الضلال والإضلال : " ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَـنْ أَيْمَـانِهِمْ وَعَـنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ " [4] إن الفرد المسلم قد تتاح له الشهوة الحـرام، تعرض عليه بلا رقيب ولا حسيب من البشر فيدعها حياء من الله وحرصـا علـى أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .فيقول ما قاله يوسف الصديق حينمـا راودتـه امرأة العزيز عن نفسه : معاذ الله وكذا تتاح له الأموال والجاه، والسلطة عن طريق غير شرعي فيرفض ذلك راضياً بالقليل قانعا بالحلال موقنا أن كل لحم نبت من حرام فإن النار أولى به فهو لا يحب أن يشتري جهنم بشيء ولـو كـان ملـك المـشرق والمغرب حسبه أن يتلو قوله تعالى : "قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُـوا هُـوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُون " [5]

و من المقومات التي تميز بها الإسلام عن غيره من جميع الأديان والفلـسفات والمذاهب . إنه شمول يستوعب الزمن كله والحياة كلها وكيـان الإنـسان كلـه وأن رسالة الإسلام ليست رسالة موقوتة بعصر معين أو زمن مخصوص ينتهـي أثرهـا بانتهائه كما كان الشأن في رسالات الأنبياء السابقين على محمد – صـلى الله عليـه وسلم –كل نبي يبعث لمرحلة زمنية محدودة حتى إذ ما انقضت بعث الله نبيا آخر أما محمد – صلى الله عليه وسلم –فهو خاتم النبيين ورسالته هي رسالة الخلـود التـي قدر الله بقاءها إلي أن تقوم الساعة ويطوى بساط هذا العالم فهي تتضمن هداية الله الأخيرة للبشرية فليس بعد الإسلام شريعة ولا بعد القرآن كتاب ولا بعد محمد – صلى الله عليه وسلم –نبي ولم يسبق قبل محمد – صلى الله عليه وسلم –مـن أعلـن أن

(1) سورة طه الآية - 112
(2) سورة طه الآية - 119
(3) سورة الأعراف الآية - 11
(4) سورة الأعراف الآية 16
(5) سورة يونس الآية - 58

رسالته هي الخاتمة وأن لا نبي بعده بل بشر التوراة بمن يأتي بعد موسى وبشر الإنجيل بمن يأتي بعد المسيح عيسى) كما جاء في القرآن .[(1)] " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ[(2)] " إنها رسالة المستقبل المديد، ورسالة الماضي البعيد، في جوهرها وأصولها الاعتيادية والأخلاقية ،رسالة كل نبي أرسل، وكل كتاب أنزل، فالأنبياء جميعا جاءوا بالإسلام ونادوا بالتوحيد واجتناب الطاغوت. وهذا ما يقرره القرآن في وضوح وتأكيد " وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ "[(3)]

روى عن ابن عباس- رضي الله عنه- أن الله أرسل نبيه محمدا – صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم فأما مؤمنهم فإن الله هدا ه به ,وأدخله بالأمان به والعمل بما جاء من عند الله الجنة ,وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء ,الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها قبله .والاختلاف دائر بين العلماء . هل الرحمة خاصة بالمؤمنين أم تشمل الكفار ؟ ويبدو الراجح الرحمة شاملة " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت "[(4)]

وإذا كانت هذه الرسالة غير محدودة بعصر ولا جيل فهي كذلك غير محدودة بمكان ولا بأمة ولا بشعب ولا بطبقة أنها الرسالة الشاملة تخاطب كل الأمم وكل الأجناس وكل الشعوب وكل الطبقات منذ نزول القرآن المكي إلى آخر التشريعات الربانية , وقد زعم بعض المستشرقين أن محمدا – صلى الله عليه وسلم –لم يكن يعلن في أول مرة أنه مبعوث إلي الناس كافة إنما فعل ذلك بعد ما أتيح له الانتصار على قومه من العرب . ولكن القرآن قد سبق ووضح هذا الأمر في قوله تعالى :" قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا " [(5)]. وقوله :" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً

([1]) د- يوسف القرضاوي – الخصائص العامة - مصدر سابق-بتصرف - ص- 165

([2]) سورة الصف الآية - 6

([3]) سورة الأنبياء الآية - 25

([4]) سورة النحل الآية - 36

([5]) سورة الأعراف الآية - 157

لِّلْعَالَمِينَ " [1]وقال تعالي :" تَبَـارَكَ الَّذِي نَـزَّلَ الْفُرْقَـانَ عَلَـى عَبـْدِهِ لِيَـكُونَ لِلْعَـالَمِينَ نـَذِيرًا[2] .

إنها رسالة الإنسان روحه وعقله، وجسمه، وضميره، وإرادته ووجدانه ، إن الإسلام لم يشطر الإنسان شطرين كما فعلت أديان أخرى مثل النـصرانية واليهوديـة شطرا روحيا يوجهه الدين ويتجه به للمعبد وهذا الشطر من اختصاص أهل الـدين . وشطراً آخراً ماديا لا سلطان للدين ولا لرجاله عليه ولا مكان لله فيه إنه شطر الحياة للدنيا، للسياسة، للمجتمع للدولة وهذا في الواقع هو الجزء الأكبر من حياة الإنـسان وذم ذلك التشطير القرآن الكريم , قال تعالى:" ضَرَبَ اللهُ مَـثَلاً رَّجُـلاً فِيـهِ شُـرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُـونَ " [3] التوحيد : هو المغذي الأول للمجتمع المسلم بما أنه هو الحقيقة الأساسية في العقيدة الإسلامية والتوحيد هو قاعدة كل ديانة جاء بها من عند الله رسـول الله . والقـرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة ويؤكدها ويكررها في قصة كل رسول كما يقررهـا إجمـالا على وجه القطع واليقين فهي عقيدة تبني ولا تهدم تجمع ولا تفرق ، لأنها تقوم على الإيمان برسل الله جميعا.

قال تعالى : " لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْـكَ الْمَصِيرُ " [4] فهذا الكون بأرضه وسمائه، بجماد ه ونباته، حيوانه وإنـسانه، وجنـه وملائكته ... هذا الكون لم يخلق من غير شيء ولم يخلق نفسه ، فلا بد له من خالق عليم قدير عزيز حكيم منفرد في ربو بيته وألوهيته وأسمائه وصفاته . هـو الخـالق الأعلى له الأسماء الحسنى، والصفات العلا " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلـد ولـم يولد ولم يكن له كفوا أحد " [5] "هُوَ الأوَّلُ وَالآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " [6]" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير "[7]

([1]) سورة الأنبياء الآية - 106
([2]) سورة الفرقان الآية - 1
([3]) سورة الزمر الآية - 28
([4]) سورة البقرة الآية - 284
([5]) سورة الإخلاص الآية – 1-2-3
([6]) سورة الحديد الآية - 3
([7]) سورة الشورى الآية - 9

إن الأخلاق في الإسلام لم تدع جانبا من جوانب الحياة الإنسانية: روحية أو جسمية ،دينية أو دنيوية ، عقلية أو عاطفية ، فردية أو اجتماعية _ إلا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع في تناسق وتكامل وزادت عليه .ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بالفرد في كافة نواحيه ، مظهرا وجوهرا، يمثل ذلك قوله تعالى : "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (1)

وفي ما يخصُّ عقله ومواهبه وآفاقه يقول القرآن الكريم : "قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُون "(2)

" قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" (3) ونفس لها مشاعرها ودوافعها وأشواقها:" قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا" (4)

ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بالأسرة .كالعلاقة بين الزوجين :" وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خيرا كثيرا" (5) . وكالعلاقة بين الأبوين والأولاد " وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا" (6) وقال تعالى :" وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا " (7) والعلاقة بين الأقارب والأرحام قال:-تعالى: "إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " (8)

وقال تعالى : "وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا " (9)

ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بالمجتمع في آدابه، ومجاملاته. كما جاء في نزول الآية الكريمة. إن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله إ ني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها، والد ولا ولد , وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال.

---

(1) سورة الأعراف الآية - 29
(2) سورة يونس الآية - 101
(3) سورة سبأ الآية - 46
(4) سورة الشمس الآية - 9
(5) سورة النساء الآية - 19
(6) سورة الأحقاف الآية - 14
(7) سورة الإسراء الآية - 31
(8) سورة النحل الآية - 90
(9) سورة الإسراء الآية - 26

قال :فنزلت الآية : قوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" [1]

وفي المعاملات الاقتصادية قال تعالي:" وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يستوفون وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُون " [2] وقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ " [3]

وفي أمر السياسة الشرعية والحكم الراشد " إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا[4]

ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بغير العقلاء من الحيوانات والطير والرفق بهم . ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بالكون الكبير من حيث أنه مجال التأمل والاعتبار والنظر والتفكر والاستدلال بما فيه من إبداع وإتقان وعجائب الأمور .

"الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" [5]

ومن حيث أنه مجال للانتفاع والاستمتاع لقوله تعالى : " أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِير" [6]

وقبل ذلك كله وفوق ذلك كله ما يتعلق بحق الخالق الذي منه كل النعم وله كل الحمد والثناء الجميل الذي أوجد كل الكائنات للإنسان .

كقوله تعالى : " الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ " [7]

([1]) سورة النور الآية - 27
([2]) سورة المطففين الآية – 1
([3]) سورة البقرة الآية - 281
([4]) سورة النساء الآية - 58
([5]) سورة آل عمران الآية - 191
([6]) سورة لقمان الآية - 19
([7]) سورة الفاتحة الآيات – 5-1

إن تشريع الإسلام يشمل التشريع للفرد في تعبده وصلته بربه ، وهــذا مــا يفصله قسم العبادات في الفقه الإسلامي . ويشمل التشريع، للفرد في سلوكه الخاص والعام، وهذا يشمل الحلال والحرام ، والحظر والإباحة،وكذا ما يتعلق بأحوال الأسرة ،من زواج وطلاق، ونفقات و رضاعة،وميراث وولاية، علي النفس والمال ونحوها.

قال تعالى: " الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" [1].ويشمل التشريع المجتمع في علاقاتــه المدنية والتجارية وما يتعلق بتبادل الأموال والمنافع بعوض أو بغيــر عــوض مــن البيوع والإيجارات والقروض والديات الخ . ويشمل التشريع مــا يتعلــق بــالجرائم وعقوباتها المقدرة شرعا في الحدود والمتروكة لتقدير أهل الشأن كالتعازير . بل من التشريع ما يتعلق بواجب الحكومة نحو المحكومين وواجب المحكومين نحو الحكــام .ومن هنا لا توجد ناحية من نواحي الحياة إلا دخل فيها التشريع الإسلامي آمــرا أو ناهيا أو مخبراً . ولا يجوز في نظر الإسلام كذلك الاهتمام بالجانب الأخلاقي ،وإغفال الجانب التعبدي وإنما خلق الله الناس ليعرفوا الله ويعبدوه " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ " [2]

إنما يعبد الله تعالى : بما شرع وفرض من شعائر وفرائض اعتبرها –رســوله صلى الله عليه وسلم _ الأركان التي بني عليها الإسلام وأول خلق يجب أن يتحلى به المسلم هو الوفاء بعهد الله وشكر نعمته ، وأداء أمانته ، وذلك بــأداء حقــه، الــذي افترضه على عباده، من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج [3]قال تعالى :" وَمَن كَفَرَ فَــإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ "[4]

المعني بالتوسط التوازن بأن لا يأخذ أحد الطرفين بأكثر من حقه ويطغي علــى مقابله ويحيف عليه ، مثال ذلك – الروح والمادة الفرد والجماعة ليأخذ كل ذي حــق حقه[5] ، كما أشار إلي ذلك القرآن الكريم ." وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ " [6] عجز الإنسان عن إنشاء نظام متوازن . وهذا أكبر من ان يقدر عليه الإنسان بعقله المحدود وعلمــه القاصــر

([1]) سورة الفاتحة الآيات – 1-5
([2]) سورة الداريات الآية -56
([3]) د-يوسف القرضاوى – الخصائص العامة للإسلام مصدر سابق-125
([4]) سورة آل عمران الآية -97
([5]) المصدر –نفسه ص-126
([6]) سورة الرحمن الآية-5-6-7

فضلا عن تأثير ميوله ونزعاته الشخصية والأسرية والحزبية والإقليميـــة . وهــذا لا يخلو منهج أو نظام يضعه بشر – فرد – أو جماعة – من الإفراط أو التفــريط كمـــا يدل على ذلك استقراء الواقع وقراءة التاريخ وإن القادر على إعطاء كل شيء فـــي الوجود حقه بحساب هو الله قال تعالى:"وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا " [1]قال تعالى: "لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا " [2]

من حكمة الله أن اختار الوسطية لأمة الإسلام وختم بها الرسالة . مـــن العـــدل الذي هو ضرورة لقبول شهادة الشاهد فما لم يكن عدلا فإن شـــهادته مرفوضـــة أمـــا الشاهد العدل والحاكم العدل فهو المرضى بين كافة النـــاس . [3] اســـتطاعة المـــنهج والبعد عن الميل والانحراف فالمنهج المستقيم – وبتعبير القـــرآن " اهْـــدِنَا الـــصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ " [4]

ومن ثمرات الوسطية : القوة : فالوسط هو مركز القوة ألا ترى الشباب الـــذي يمثـــل مرحلة القوة وسط بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة ، والـــشمس فـــي وســـط النهار أقوى منها في أول النهار و آخره. فالإسلام وسط في الاعتقاد والتصور وســـط في التعبد والنسك، وسط في الأخلاق والآداب،وسط في التشريع والنظـــام[5] وكـــذلك وسط في القوة الجسمية في حين القوة تتضاعف العبادات ويطلب من المسلم كثير من فضائل الأعمال وفي حالة الضعف يجد الرخص .قال تعالى: " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُـم مِّـــن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَـــا يَـــشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ " [6] تعنى مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعه ، ووجـــود مشاهد ، ولكنه يدل على حقيقة اكبر منه ووجود اسبق وأبقى مـــن وجـــوده ، وهـــو وجود الواجب لذاته وهو وجود الله [7]"وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا" [8] والإسلام في توجيهاته الأخلاقية والفكرية والتعليمية والقانونية وواقع الكون وواقع الحياة وواقـــع هذا الإنسان بكـــل ظروفـــه وملابـــساته . لأن الـــذي يـــشرع للإنـــسان ويوجهـــه

([1]) سورة الفرقان الآية- 2

([2]) سورة الجن الآية-28

([3]) د-يوسف القرضاوى –الخصائص العامة للإسلام –مصدر سابق –ص-125

([4]) سورة الفاتحة الآية-5

([5])المصدر نفسه ص-125

([6]) سورة الروم الآية -54

([7]) د-يوسف القرضاوى –الخصائص العامة للإسلام –مصدر سابق – ص-165

([8]) سورة الفرقان الآية-2

ويعلمه هو الذي خلق الكون ، و الحياة ، وهو الذي حلق الإنسان ، فهو اعلـــم بمـــا يصلحه وما يفسده ، وما يرقى به إلي درجة الملاك وما يهبط به إلي درجة البهـــائم : [1] **"أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير ُ"** [2] **إذن واقعة مثالية ، فقد سلمت من إفراط الغلاة المثاليين ومن تفريط الواقعيين من البشر ونجد التناسق والانسجام بين الفـــرد والمجتمع بين حياة الفرد وحياة الجماعة فالإسلام يؤكد وجود الكيان الفردي والكيـــان الجماعي والجميع مسئولون أمام الله . قال تعالي : " وقفوهم إنهم مسئولون "**[3] **وقال تعالي : "فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ "**[4] **ثم هو يضمن الحقوق الأساسية كحق الحياة قال تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"** [5]**وحق الحرية قال تعالي : " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَـــدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"**[6]

وحق التعليم قال تعالى: أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُـــو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ "[7] **وحق المساواة قال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَـــاكُمْ شُـــعُوبًا وَقَبَائِـــلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "** [8] **وحق الكرامة . قال تعالي : يَـــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَـــانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ "** [9] **فهذه حقوق أساسية لكل إنسان فالإسلام لا يبيح لأي كائن من كان أن يعبث بمثل هذه القيم مظاهر الوضوح في الإسلام أن أصـــوله ودعائمـــه الكبرى واضحة بينة لا لزعمائه وقادة الفكر والدعوة إليه فقط ولا لخاصة المثقفـــين مـــن أتباعه وأنصاره فحسب بل لجمهرة المؤمنين به أيا كانوا يـــستوي فـــي ذلـــك الأصـــول الاعتقادية والشعائر التعبدية ، وأمهات الفضائل الخلقية والأحكام التشريعية.**[10]**ومما ذكـــر**

([1])د- يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام –مصدر سابق – ص-165
([2]) سورة الملك الآية-15
([3]) سورة الصافات الآية-24
([4]) سورة الأعراف الآية -6
([5]) سورة البقرة الآية -179
([6]) سورة البقرة الآية -254
([7]) سورة الزمر الآية -9
([8]) سورة الحجرات الآية -14
([9]) سورة الحجرات الآية -10
([10]) د-يوسف القرضاوى –الخصائص العامة للإسلام –مصدر سابق – ص-126

أن الإسلام شامل لإصلاح المجتمع الإسلامي سواء كان فردا أوجما عات أو مسلمين خلص أو مسلمين وغيرهم سوا ء كانت لهم الغلبة أوهم قلة فالمهم هو الإصلاح فلم يترك الإسلام المسلمين وحدهم في الميدان كصفوة . وتجب تسمية من يعتقد ويفهم الإسلام بهذه المفاهيم أن يسمى المجتمع المثالي .وكان مفهوم المجتمع المثالي الأول للإسلام بمثل هذه المفـــاهيم الراقية والشاملة للإسلام من غيره حصره في مسجد أوفي جماعة صـــفوية أو جماعـــات هيلمانية. وقد رسم الإسلام للمجتمع المثالي خطوطا عريضة تتفرع عنها أخـــرى دقيقـــة توضح إجمالا وتفصيلا طبيعة العلاقات بين الناس وأساليب التعامل فيما بينهم وذلك في كل مناحي الحاية بحيث لا تدع مجالا لنشوء خلاف أو إثارة نزاع أو إساءة ظن بينهم أونمـــو الشكوك والأوهام في طريقهم وفوق ذلك جعل لكل نفس مؤمنة حارسا يقظا.

الفصل الثالث

التشريعات التي صاحبت الحديبية في العبادات

(وبه أربعة مباحث)

المبحث الأول: صلح الحديبية وشروطه

المبحث الثاني: وجوب طاعة النبي - صلي الله عليه وسلم-

المبحث الثالث: تبيين حكم العمرة والإحصار

المبحث الرابع: تبيين حكم صلاة الخوف

الفصل الثالث
المبحث الأول
صلح الحديبية وشروطه

كانت قريش قد آلت على نفسها منذ هاجر الرسول- صلى الله عليه وسلم - والمسلمون معه إلى المدينة ؛أن يصدوهم عن المسجد الحرام ،وأن يحولوا بينهم وبين سائر العرب ،وقد كاد العام السادس الهجري أن ينتهي ،ولم ير المهاجرون فيه مكة.

وكان رسول الله – صلى الله عليه و سلم – قد رأى في المنام أنه وأصحابه سيدخلون المسجد الحرام – إن شاء الله- آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، لا يخافون، وذلك في غير تحديد للزمان ، وتعيين للشهر والعام.كما جاء في التنزيل.

قال تعالى :" لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (1)

فأخبر الرسول- صلى الله علي وسلم - أصحابه بذلك وهو بالمدينة فاستبشروا به وزاد شوقهم لزيارة البيت، واعتقدوا أن هذه الرؤيا فحوى تحقيقها هذا العام، وفضل النبي- صلى الله عليه وسلم –الذهاب في ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم حتى لا تتوجس قريش وتصده عن مكة

وخرج- صلى الله عليه وسلم - في السنة السادسة في ذي القعدة معتمرا واستنفر المهاجرين والأنصار والأعراب الذين حول المدينة فأبطأ عنه أكثرهم كما حكي القرآن: سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ

---

(1) سورة الفتح الآية - 27

وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا([1])

وخرج النبي- صلى الله عليه وسلم- بمن معه من المهاجرين والأنصار ،ومن اتبعه من العرب، وجميعهم نحو ألف وأربعمائة وقيل : ألف وخمسمائة

كما جاء مروي عن البراء – رضي الله عنه قال :اعتمر النبي-صلى الله عليه وسلم- في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله- صلى الله عليه وسلم -فقالوا لا نقر بها فلو نعلم أنك رسول الله، ما منعناك لكن أنت محمد بن عبد الله قال – أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله – ثم قال لعلي – امح رسول الله – قال لا والله لا أمحوك أبدا؛ فأخذ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الكتاب فكتب – هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله- لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع أحدا من أصحابه أراد أن يقيم بها . فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل فخرج النبي- صلى الله عليه وسلم-فتبعتهم ابنة حمزة يا عم يا عم فتناولها علي فأخذها بيدها وقال لفاطمة -رضي الله عنها- دونك ابنة عمك احملها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر فقال علي أنا أحق بها وهي ابنة عمي،وقال جعفر ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد ابنة أخي فقضى بها النبي- صلى الله عليه وسلم- لخالتها وقال الخالة بمنزلة الأم وقال لعلي – أنت مني وأنا منك – . وقال لجعفر -أشبهت خلقي وخلقي -وقال لزيد- أنت أخونا ومولانا-([2]) هذه دراسة حالة اجتماعية قل أن يتميز بها أحد فكانت بردا وسلاما على مسامعهم إرضاء لهم وتطييبا لخاطرهم.

وفي رواية خرج الرسول- صلى الله عليه وسلم – من المدينة في ذي القعدة من السنة السادسة معتمراً لا يريد حرباً إلى الحديبية وكان عدد المسلمين ألفا و

([1]) سورة الفتح الآية – 11-12

(2) البخاري: ج- 2- مصدر سابق (باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته)- حديث رقم :2552

أربعمائة علي أرجح الروايات خرجوا في ثياب الإحرام البيض وساقوا معهم الهـدي وأحرموا بالعمرة ليعلم الناس انه خرج زائرا للبيت معظماً له و حتى لا تفكر قـريش في صده عن مكة وكانوا عزلا من السلاح إلا ما يحمله كل مسافر وهو سـيف فـي قرابة. وركب الرسول- صلى الله عليه وسلم - ناقته القصواء و أصحابه من خلفه فلما بلغوا ذي الحليفة ميقات أهل المدينة قلد الرسول- صـلى الله عليـه وسـلم - الهدي بأن علق في عنقه شيئا وهو نعل ليعلم انه هدي و أشـعره أي لطخـه بالـدم وأحرم الجميع ودوى صوتهم بالتلبية إعلانا عن عمرتهم. [1] وكان ذلك حقا لهم فـإن زيارة البيت من حق العرب جميعاً وليس لقريش بحكم العرف العام أن تصدعنه أحـدا ولو كان عدوا متى رعى حرمه البيت ؛ ولكن قريشا بمجـرد علمهـا أن المـسلمين يقصدون مكة أخذت في الاستعداد للحرب ولم يصدقوا أن هدف الرسول- صـلى الله عليه وسلم- الحج وعقدوا النية علي صد النبي - صلى الله عليه وسلم- عن مكـة مهما كلفهم الأمر وهكذا كان هذا الموقف من قريش دليلا علـي عنادهـا وصـلفها وتماديها في الاعتداء على المسلمين ومصادرة حرياتهم و انتهـاك حقـوقهم وعـدم الاعتراف بالآخرين.

ومضي ركب الرسول- صلى الله عليه وسلم- في طريق مكة حتى بلغ عـسفان - علي بعد يومين من مكة- ، وهناك لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال :" يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا

فقال رسول الله- صلى الله عليه و سلم- : يا ويح قريش لقد أكلتهم الحـرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب؛ فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا ،وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام و آفرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قـوة فمـا تظن قريش فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أوتنفـرد هذه السالفة [2]

وبلغ الرسول- صلى الله عليه و سلم-أن خالد بن الوليد خرج في خيـل لقـريش بلغت مائتي فارس طليعة لجيش قريش. ولكي يتجنب الرسـول الأعظـم الاصـطدام

---

(1) أبو داؤد : ج- مصدر سابق (كتاب المناسك – باب في الإشعار) رقم الحديث : 1754-ص- 546

(2) أحمد بن حنبل :المسند – ج – 4- مصدر سابق (حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم رضي الله عنه)حديث رقم: 18927-ص322

بقريش ومضياً مع الرغبة عن القتال قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم – من رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التي هم بها؟ فسلك بها رجل من أسلم طريقا وعراً غير الطريق المعهود حتى وصل إلى الحديبية علي طرف حدود أراضي مكة، وهناك بركت ناقته فقال: الناس خلأت الناقة فقال النبي – صلى الله عليه و سلم– ما خلأت؟ وما هو لها بخلق؛ ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة. لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ثم قال للناس انزلوا فقيل له يا رسول الله: ما بالطريق ماء ننزل عليه فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل به في قليب فغرزه في جوفه فجاش بالرواء فمازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه [1] أي رجعوا رواء بعد ورودهم وهذه من معجزات رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ولو وظفها في هلاك القوم لاستجاب الله له ولكنه رحمة مهداة لعالمين .

وعلم الجيش القرشي بنزول النبي بالحديبية فأسرع إلى مكة لحمايتها وليحولوا بين المسلمين وبين دخولها وعسكرت قريش بقواتها علي جميع مدا خلها ؛ليمنعوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورغم عدوان قريش وكبريائها وعنادها ظل النبي – صلى الله عليه وسلم – حريصا على بقائهم وطامعا في أن تشملهم هدا ية الله متحسرا على تعنتهم .

قال تعالى: لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ" [2]

وبالاستقراء لسيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – يجعل لكل موقف حده.عند الشدة شديدا، وعند اللين لينا ؛فعندما تنتهك حرمات الله أشد تمسكا برأيه ومما يدل على ذلك عندما عرضوا عليه – صلى الله عليه وسلم – الرئاسة والمال وغيره من متاع الدنيا رفض بأسلوب رصين ولكن عند عرضهم عليه مساومة التوحيد كان الرد من فوق سبع سموات .

([1]) ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد – صحيح ابن حبان -ج- 11- تحقيق : شعيب الأرنؤوط -مؤسسة الرسالة –بيروت –الطبعة 1414هـ - 1993م (باب الموادعة والمهادنة – ذكر مايستحب للإمام استعمال المهادنة بينه وبين أعداء الإسلام إذا رأى المسلمين ضعفا يعجزون عنهم) رقم الحديث : 4872

([2]) سورة التوبة الآية -128

قال تعالى: " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ"[1]

وعند ما جاءت زعامة قريش إلى أبي طالب تهدد بقتل النبي – صلى الله عليه وسلم – بعث أبو طالب إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال له : يا ابن أخي ! إن قومك جاءوني وقالوا : كذا وكذا فأبق علي، وعلى نفسك ولا تحملني ما لا أطيق أنا ولا أنت ؛ فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك فقال:- صلى الله عليه وسلم : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه فقال : امض على أمرك

فوا لله لا أسلمك أبد.[2]

ودعا أبو طالب أقاربه إلى نصرته فأجابه بنو هاشم وبنو المطلب غير أبي لهب ويقال أن أبا طالب قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة	وابشر وقر بذلك منك عيونا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه	من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة	لوجدتني سمحا بذاك مبين

والحق ما شهد به الأعداء قبل الأصدقاء

السفارات بين الطرفين:

ولما كانت قريش تعرف حرج موقفها إن نشب قتال جديد فحجتها فيه أمام نفسها وأمام أحلافها داحضة وقد ينتهي القتال بكارثة تؤدي بكيانهما كله ولهذا سيرت الوسطاء يفاوضون محمداً علهم ينتهون معه إلى مخرج مما هم فيه نسبة للخلافات التي حصلت بينهم .

وكان أول من جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة فكلموه وسألوه عن سبب مجيئه فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا و إنما جاء زائرا للبيت

([1]) سورة الكافرون الآية – 1-6

([2]) الأصبهاني : إسماعيل بن محمد بن الفضل – دلائل النبوة –تحقيق: محمد محمد الحداد –دار طيبة –الرياض- د-ت-ط – ص : 197

ومعظما لحرمته ومن ثم اقتنعوا بأحقيته في زيارة البيت وتعظيمه فرجعوا إلى قريش فقالوا يا معشر قريش إنكم تعجلون علي محمد إن محمداً لم يأت لقتال وإنمـــا جـــاء زائراً هذا البيت ، ولكن قريشا أصرت كعهدها وقالوا وإن كان جاء لا يريد قتالا فـــوا لله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تتحدث ذلك عنا العرب

ثم تكررت الوفود بينهما فبعثت قريش رسولا أخر هو مكرز بن حفص فعاد بما عاد به بديل الخزاعي

وبعثوا للرسول أيضا الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش فلمـــا رآه الرسول– صلى الله عليه وسلم – قال:" إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي فـــي وجهه حتى يراه ، فلما رأي الهدي يسيل عليه من عرض الوادي –جانبه– رجع إلى قريش دون أن يصل إلى الرسول إعظاما لما رأي فقال لهم يا معشر قريش ، قد رأيت مالا يحل صده ،الهدي في قلائده قد أكل أو باره من طول الحبس عن محله " (1)

فقالوا له : أجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال : يا معشر قريش والله ما علي هذا حالفناكم ولا علي هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء لـــه أو لأ نفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له : مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به (2)

ثم بعثوا إلى رسول الله رسولا رابعاً هو عروة بن مسعود الثقفي ســـيد أهـــل الطـــائف فكلمه الرسول بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً وإنما يريـــد أن يزور البيت كما يزوره غيره فلا يلقي صاداً ولا راداً

فقام من عند الرسول وقد رأي ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضـــوءه ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شئ إلا أخذوه

فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش إني قد جئت كسري في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ولقـــد

([1]) ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع – الطبقات الكبرى – ج- 2- دار صادر –بيروت –د-ت-ط- (غزوة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الحديبية) ص-96.(كاتب الواقدي ومصنف الطبقات الكبرى والصغرى، ولد سنة 160هـ، وطلب العلم في الصغر، وسمع من ابن عيينة ووكيع وغيرهم، ووصف أنه من أوعية العلم) سير أعلام النبلاء جـ 10، ص664.

([2]) البغوي : تفسير البغوي ـ جـ 4 ـ تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ د ـ ت ـ ط ـ ص 201.

رأيت قوماً لا يسلمونه لشئ أبداً فروا رأيكم. [1] واصح رواية رواها البخاري رحمه الله . "خرج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- زمن الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق قال النبي- صلى الله عليه وسلم- إن خالدا بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين ؛فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي - صلى الله عليه وسلم- ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل- . ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكى إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوا لله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه

"قال ابن إسحاق فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم إن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ناجية بن جندب سائق بدن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال ابن إسحاق وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول أنا الذي نزلت بسهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم -فالله أعلم أي ذلك كان ثم استدل ابن إسحاق للأول إن جارية من الأنصار جاءت البئر وناجية أسفله يميح فقالت:

يا أيها المائح دلوي دونكا.. إني رأيت الناس يحمدونكا ... يثنون خيرا ويمجدو نكا.

فأجابها فقال:

قد علمت جارية يمانيه ... أني أنا المائح واسمي ناجيه
وطعنة ذات رشاش واهية ... طعنتها عند صدور العادية"[2]

([1]) أحمد بن حنبل :المسند – ج – 4- مصدر سابق (حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم رضي الله عنه) ص- 323

(2)ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير – البداية والنهاية – ج-1- مكتبة المعارف – بيروت -ب– د - ت-ط- -ص- 167

فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ [1]المطا فيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - إنـا لـم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهـم فـإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيمـا دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقـاتلنهم علـى أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينقذن الله أمره([2])   فقال بديل سأبلغهم ما تقول: قـال فانطلق حتى أتى قريشا، قال إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قـولا؛ فـإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال :سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم ،هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول: كذا وكذا؛ فحدثهم بما قـال النبي - صلى الله عليه وسلم- فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم ألستم بالوالـد ؟ قالوا بلى؟قال أو لست بالولد ؟ قالوا بلى؟ قال فهل تتهمونني ؟ قالوا لا: قـال ألـستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا بلى؟ قال فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتيه، قـالوا ائتـه فأتاه فجعل يكلم النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل . فقال عروة عند ذلك أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هـل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك وإن تكن الأخرى فـإني والله لأرى وجوهـا وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر امصص ببظـر اللات أنحن نفر عنه وندعه ؟ فقال من ذا ؟ قالوا أبو بكر قال أما والذي نفسي بيـده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبـي صـلى الله عليـه وسلم فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليـه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي- صـلى الله عليه وسلم- ضرب يده بنعل السيف وقال له أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله

([1]) يريد النساء والأطفال

(2) البخاري :ج – 2-مصدر سابق-(كتاب الشروط : باب الشروط والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط – رقم الحديث : 2581-ص- 974

عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا ؟ قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء .. فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما أشرف على النبي -صلى الله عليه وسلم -وأصحابه قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- -هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له-فبعثت له واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال :سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم -بعينه، قال فوا لله ما تنخم رسول الله -صلى الله عليه وسلم -نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ؛فدلك بها وجهه وجلده ،وإذا أمرهم ابتدروا أمره ،وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له؛ فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدا والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له وإنه قد عرض البيت فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز ابن حفص فقال دعوني آتيه فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم - هذا مكرز وهو رجل فاجر- فجعل يكلم النبي - صلى الله عليه وسلم- فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو.قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم - لقد سهل لكم من أمركم - وطالت المحادثات علي نحو ما قدم فرأى رسول الله- صلى الله عليه و سلم- أن يبعث هو إلى قريش رسولا من عنده يوضح موقفه تمشيا مع حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم - وتأكيدا لحلمه الذي بلغ غايته ودعا رسول الله - صلى الله عليه و سلم- خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله علي بعير له ليبلغ

أشراف مكة ما أمره به الرسول فعقروا به جمـل الرسـول و أرادوا قتلـه فمنعتـه الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله -صلى الله عليه و سلم -[1]

وتمادت قريش في عنادها وأرسلت أربعين رجـلا مـنهم أو خمـسين رجـلا وأمروهم أن يطوفوا بعسكر رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ليصيبوا لهـم مـن أصحابه أحداً فأمسك المسلمون بهم جميعاً وأتي بهم إلى رسول الله فعفا عنهم ،وخلى سبيلهم ،وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله بالحجارة والنبل .

وفي فظاظة قريش وسماحة المسلمين وحلم الرسول نزل قوله عزوجل.

" إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُـلِّ شَـيْءٍ عَلِيماً"[2]

وكره الرسول- صلى الله عليه وسلم -أن تجري الأمور علي هذا النحو وأن يتصاعد الموقف نحو القتال فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً علي نفسي وليس بمكة مـن عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عدواني إياها و غلظتي عليها ولكن أدلك علي رجل اعز بها مني عثمان بن عفان

فدعا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان و أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه إنما جاء زائرا للبيت معظمـاً لحرمته ودخل عثمان مكة في جوار أبان بن سعيد بن العاص الأموي فأنطلق عثمـان حتى أتي أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ما أرسله به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله إن شئت أن تطوف بالبيت فطف؛ فقال ما كنت لأفعـل حتى يطوف به رسول الله - صلى الله عليه و سلم- وقال عثمان حين رجع- وقـال له المسلمون : اشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت فرد عثمان- رضي الله عنه -بئس ما ظننتم بي والذي نفسي بيده لو مكثت بها سنة ورسول الله- صلى الله عليه و سلم- مقيم بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله- صلى الله عليـه و

([1]) البخاري : ج-2-مصدر سابق (كتاب الشروط ، باب الشرط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط رقم الحديث :2581-ص - 974

([2]) سورة الفتح الآية -26

سلم- و دعتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت [1] وبعد رجوع عثمان -رضـــي الله عنه - استقر رأي النبي - صلى الله عليه وسلم -على المهادنة وتعظيم حرمات الله .

مبدأ تعظيم حرمات الله: إن من واجبات الدولة الإسلامية مراعاة تعظيم حرمات الله في جميع مراحلها في حالتي الاستضعاف والاستخلاف كحرمة الأديان والأنفس والعقول والأعراض والأموال ومراعاة ترتيبها وفق سلم الكليات الخمس.

قال تعالى: "ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ" -[2] ولتعظيم الحرمـــات ارتضى النبي الأعظم - صلى الله عليه وسلم -الصلح

آثار صلح الحديبية :

لقد دلت الحوادث التي وقعت بعد صلح الحديبية على أن صلح الحديبية كـــان انتصارا بالنسبة للإسلام والمسلمين وأن الرسول - صلى الله عليـــه و ســـلم- كـــان ينظر بنور الله وهو يقبل كل شرط من هذه الشروط وقد استطاع أن يكتشف من خلال كل شرط المكاسب، والمغانم التي ستعود على المسلمين ، وأنه لم يكـــن مـــن حـــق المسلمين أن يعترضوا؛ أو يدخلهم ريب فيما قام به الرسول لهم؛ ولكن الأمر كما قال أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- يوماً :ـــ ما كان فتح في الإسلام أعظم من صـــلح الحديبية ، ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين رسول الله وبـــين ربـــه ، والعبـــاد يعجلون ، والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد

" عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم أنه سئل عن الرهان التي كانت بين قريش حين سار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى خيبر فقال كان حويطب بن عبـــد العزى يقول انصرفت من صلح الحديبية وأنا مستيقن أن محمدا - صـــلى الله عليـــه وسلم - سيظهر على الخلق وتأبى حمية الشيطان إلا لزوم ديني "[3]

حقاً لقد تعجل الصحابة وقت الصلح، ونظروا إلى الشروط نظرة آنية محدودة ،ولكن الأيام كشفت لهم استعجالهم ،ووضحت لهم المكاسب ،والمغانم التي تحققت لهم

([1]) البيهقي : سنن البيهقي الكبرى – ج -9 – مصدر سابق – باب ما جاء في مدة الهدنة – رقم الحديث :18588- ص- 221

([2]) سورة الحج لآية -30

([3]) ابن حجر : أحمد بن علي – الإصابة في تمييز الصحابة –ج – 2- تحقيق : علي محمد البجاوي – دار الجبل – بيروت – الطبعة الأولى :1412هـ (الحاء بعدها الواو) ص- 144

بعد ذلك، وهذه بعض الأضواء على أهم المكاسب التي تحققت للمسلمين من خلال شروط هذا الصلح المبارك .

أولا : كان إبرام الصلح في حد ذاته مكسباً للمسلمين ، فهو اعتراف من قريش بمكانة المسلمين، التي أصبحوا عليها ، وأنهم أهل لأن تبرم معهم معاهدات ، وأن محمدا لم يعد في نظر قريش مجرد ثائر خارج عن التقاليد والأوضاع؛ وفى هذا اعتراف بالدولة الإسلامية ، وزعامة الرسول – صلى الله عليه وسلم – السياسية والاقتصادية ،والاجتماعية والعسكرية والفكرية ؛ لأن المعاهدة والصلح لا يكون إلا بين الندين .

وكذلك اقتناع قريش بعدم جدوى مقاتلة المسلمين بعد ما شاهدت وفودهم حب الصحابة للنبي – صلى الله عليه وسلم – وقد أبلغهم عروة ما رأى بأم عينيه وإصرارهم لمقابلة الموقف بعزيمة ولعل الرسول – صلى الله عليه وسلم –هو وحده الذي كان يميل إلى المهادنة ،واستشف ذلك عروة حيث قال : أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم - محمدا والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ؛ فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ،وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها" [(1)]

وبهذا صحح فهمه الخاطئ مسبقا حين قال : "أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوها وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك" [(2)]

وهذا في رأيه وارد ؛ لأن العصبية القبلية كانت متأصلة في أفئدة المجتمع .وقد فات عليه أن حبل الإسلام أقوى شكيمة من حبل القربى .

قال تعالى:" لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ

([1]) البخاري : ج-2-مصدر سابق (كتاب الشروط باب الشرط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط) رقم الحديث :2581-ص - 974

([2]) البخاري : ج-2-مصدر سابق (كتاب الشروط ، باب الشرط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط) رقم الحديث :2581-ص - 974

وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " [1]

ثانيا : بالنسبة للشرط الأول وهو وقف القتال عشر سنوات فإن هذا الشرط قد أتاح للمسلمين هدنة استراحوا فيها من الحروب ؛التي شغلتهم واستهلكت قواهم وذلك أن الكفار في الجزيرة العربية كانوا يعتبرون قريشا هي رأس الكفر، وحاملة لواء التمرد، والتحدي للدين الجديد ، وعندما شاع نبأ تعاهدها مع المسلمين ،انفرط عقد الكفار في الجزيرة ووهنت الرابطة التي كانت تجمعهم وتؤلبهم على الإسلام، ومن ثم خمدت فتن المنافقين الذين يعملون لحساب كفار قريش، ويعتمدون على معونتهم ومساعدتهم .

كما روى أبو وائل قال كنا بصفين فقام سهل بن حنيف فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم فإنا كنا مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم –يوم الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ فقال – بلى – . فقال أليس قتلانا- في الجنة وقتلاهم في النار قال: بلى . قال فعلام نعطي الدنية في ديننا أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا– . فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي – صلى الله عليه وسلم– فقال إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله – صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها فقال عمر يا رسول الله أو فتح هو قال نعم [2]

كذلك استطاع الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يغتنم هذه الهدنة ؛ ليقوم بدعوة ملوك العالم، كقيصر وكسرى، والمقوقس والنجاشي ، وأمراء العرب إلى الإسلام، وتبليغ دين الله إلى كل مكان تمشياً مع عالمية الدعوة ووجوب تبليغها إلى كل مكان من أرض الله .

كذلك أتاح هذا الصلح الفرصة للمسلمين والمشركين ؛أن يختلطوا بعضهم ببعض؛ فيطلع المشركون عن قرب على حقيقة الإسلام ومحاسنه ،وكيف أنه جاء

([1]) سورة المجادلة الآية - 22

([2]) البخاري :ج – 3- مصدر سابق –(كتاب الجهاد والسير ، باب الجنة تحت بارقة السيوف)- حديث رقم 3011- ص- 1037

لإصلاح الفرد والمجتمع، بعد أن كان المشركون يتخذون منه موقفا معاديا ،عـصبية منهم وحمية؛ دون أن يعمقوا العقل والضمير؛ فجاءت هذه الهدنة؛ لتتيح للكفار جـوا من التأمل الحصيف، والتفكير الرشيد، ومن ثم لم يمض على هذا الصلح عام كامـل حتى دخل في الإسلام من العرب أكثر من الذين دخلوا فيه خلال خمس عـشرة سـنة قبله.[1]

" فلما أمن الناس وتفاوضوا لم يكلم أحد بالإسلام إلا دخل فيه ولقد دخـل فـي تينك السنتين في الإسلام أكثر مما كان فيه قبل ذلك وكـان صـلح الحديبيـة فتحـا عظيما"[2]

ولعل هذا أكبر رد على هؤلاء الذين يفترون على الإسلام ويدعون أنه انتشر بالسيف، إن الحقيقة هي أن الإسلام انتصر على الـسيف؛ومما يـدل علـى ذلـك أن الإسلام لم يجعل للإنتصارات الحربية عيدا ولكن جعل الانتصار على النفس وإصلاحها هو الهدف الحقيقي وأسمى آيات الكمال .كما لا عجب فالإسلام هو دين العقل، وديـن الإصلاح والخير للإنسانية، في دنياها وأخراها.

ثالثا : وبالنسبة للشرط الخاص من أتى محمدا من قريش بغيـر إذن وليـه رده ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه. فإن هذا الشرط أيضا كـان فـي مصلحة المسلمين لأنة سد باب التجسس.

أما قريش التي كان من الممكن أن ترسل نفرا يتظاهرون بالإسـلام، ويعيـشون فـي المدينة، ويكونون بمثابة جواسيس لقريش يدلونها على أحوال المـسلمين وينقلـون إليها أسرارهم.وصدق الله العظيم إذ يقول : "إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ" [3]

أما بالنسبة للمسلمين حقاً الذين يرغبون في الذهاب إلى المدينة فإن ردهم إلى مكـة كما اقتضى شرط الصلح قد جعل منهم طائفة قوية في مكة ازداد عددها مـع الأيـام كيف لا و أن أحد هؤلاء الفارين إلى المدينة وهو أبو بصير – الذي رده حـسب مـا قضى به شرط الصلح قد أفلت في الطريق وهرب إلى ساحل البحر في طريق الـشام

([1]) الطبري : ج- 11- مصدر سابق –ص- 366

([2]) البيهقي : سنن البيهقي الكبرى – ج- 9- مصدر سابق – باب نزول سورة الفتح على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مرجعه من الحديبية – حديث رقم : 18594-ص- 223

([3]) سورة الحجر الآية : 95

وفى أيام انضم إليه عدد كبير من هؤلاء المسلمين المضطهدين على رأسهم أبو جندل كونوا فريقاً جعل مهمته التصدي لقريش في رجالها وتجارتها وقد بلغ من خطرهم على قريش أن أرسلت إلى الرسول تسأله أن يلحقهم به في المدينة وتناشده الله والرحم أن يتنازل عن هذا الشرط الذي وضعته قريش تعسفاً منها وصلفاً وتألم منه المسلمون وقتها إحساساً منهم بأنه دليل على الضعف والهوان والاستسلام "[1] قال تعالى: " وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"[2] وقال تعالى: "اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا " [3].وأما في جانب النساء فقد اهتم النبي – صلى الله عليه وسلم – بأمرهن فقيد في الاتفاقية بلفظ الرجال والمعنيون هم الرجال "و حرمت المسلمات على المشركين تخصيصا لعموم ما وقع به الصلح عام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته علينا فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن" [4]

وأما بالنسبة للجزء الثاني من الشرط وهو من جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه أن الصحابة كانوا يرون إجحافا عظيما في هذا البند حتى قال عمر – رضي الله عنه – فيما ورد في تفسير ابن كثير

وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى وألسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ألزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألست برسول الله ؟ قال : بلى قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله

([1]) أبو الحسن : محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي – التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع – تحقيق :محمد زاهد بن الحسن الكوثري – المكتبة الأزهرية للتراث –القاهرة – الطبعة الثانية – 1977م ص-10

([2]) سورة الأنفال الآية - 30

([3]) سورة فاطر الآية - 43

([4]) ابن كثير : البداية والنهاية – ج-مصدر سلبق : ص- 180

ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني قال : فكان عمر يقــول : مــا زلــت أتــصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت بــه حتــى رجوت أن يكون خيرا([1])

ولكن الطاعة عند الصحابة خير من المعصية .

فإن المصلحة واضحة في ذلك كل الوضوح فالذي يرتد لا حاجة للمسلمين به بــل إن في وجودهــ اكبر الضرر للأمة الإسلامية .

قال تعالى:" وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُــوَ كَــافِرٌ فَأُوْلَئِــكَ حَبِطَــتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (2)

على أنه لم يكن منتظرا بمنطق العقل أن يرتد أحد بعد أن ذاق حلاوة الإيمان

"عن أنس عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: ثلاث من كن فيه وجد حــلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبــه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد كما يكره أن يقذف قي النار ([3])

فإن الواقع كان يؤكد للرسول- صلى الله عليه وسلم - أن الإيمــان حــين يخــالط بشاشته شغاف القلب يجعل الإنسان يزداد مع كل يوم ثباتا ويقينا

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " من جاءهم منا فأبعده الله ومن جاءنا منهم رددناه إليهم يعلم الله الإسلام من نفسه يجعل الله له مخرجا" (4)

وقد قال :- صلى الله عليه وسلم - يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القــوم صــلحا فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهدا وإنا لن نغدر بهم" (5)

رابعا : وبالنسبة للشرط الخاص بأن "من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش و عهدهم دخل فيه " (6)فإنه شرط خدم المــسلمين

([1]) الطبري : محمد بن جرير الطبري –تأريخ الأمم والملوك – ج- 2- دار الكتب العلمية –بيروت – الطبعة الأولى: 1407هـ ص-122

([2]) سورة البقرة الآية - 217

([3]) البخاري : ج- 1- مصدر سابق (كتاب الإيمان : باب حلاوة الإيمان) رقم الحديث : 16 –ص- 14

([4]) ابن أبي شيبة : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة – المصنف في الأحاديث والآثار – ج- 7- تحقيق : كمال يوسف الحوت – مكتبة الرشد –الرياض – الطبعة الأولى : 1409هـ غزوة الحديبية – حديث رقم : 36851- ص- 287

([5]) ابن أبي شيبة : ج-7- مصدر سابق -غزوة الحديبية – حديث رقم : 36851- ص- 287

([6]) المصدر نفسه- ص- 287

أكثر من القرشيين فقد شجع القبائل المترددة على الدخول في الإسلام كما أنه حـــدد موقف القبائل العربية من المسلمين تحديدا عرفوا منه العدو من الصديق .

خامسا : أما بالنسبة للشرط الخاص برجوع المسلمين في عامهم هذا ومجيئهم فـــي العام الذي يليه .

فإن هذا الشرط قد أظهر قريشا بمظهر المعتدين الذين يصدون الناس عن ســبيل الله وعن المسجد الحرام وفى هذا خروج على تقاليد العرب وأعرافهم كما أنه أبان عـــن وجه الإسلام المشرق في السماحة والصفح والسلم والتحمل والصبر عند الغضب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال :" لـــيس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب. [(1)]

لكل هذه المكاسب التي تحققت للمسلمين من خلال " صلح الحديبية ، يقول الإمام ابن شهاب الزهري "فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعــضهم بعــضا والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ولقد دخل في تلك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر "[(2)]

قال ابن هشام :- " والدليل على قول الزهري أن رســول الله- صـــلى الله عليه و سلم- قد خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله ثم خرج في عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف " لكل هذا نزلت سورة الفتح في طريق عودة المسلمين إلى المدينة وسمى الله هذا الصلح فتحا [(3)] لأنه كان فيـــه جانب الانتصار على النفس وإصلاحها أكبر عامل ولذا عندما اشتد الأمر على عمـــر ذهب إلى أبى بكر ولكن رده إنه رسول الله فتجب طاعته .

هكذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – حريصا على المحافظة على الـــنفس وبقائها وإصلاحها جوهرا ومظهرا لأن ذلك من مقاصد الشريعة الإســـلامية الـــسمحة وليبقى العنصر الإنساني أحب إليه من هلاكه سواء يدين بدين الحق أو غيره كما جاء

([1]) البخاري : ج- 5- مصدر سابق (كتاب الأدب : باب الحذر من الغضب) رقم الحديث : 5763-ص-2267

([2]) البيهقي : سنن البيهقي الكبرى – ج- 9- مصدر سابق – باب نزول سورة الفتح على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مرجعه من الحديبية – حديث رقم : 18594-ص- 223

([3]) البيهقي : سنن البيهقي الكبرى – ج- 9- مصدر سابق (باب نزول سورة الفتح على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مرجعه من الحديبية) حديث رقم : 18594-ص- 223

في قصة أهل الطائف"عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثته أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة إني عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت وانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا أنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فإذا فيها جبريل فناداني أن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني أمرك بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئا([1]

طلقاء فتح مكة كما روى ابن عبد البر" ثم دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم- مكة وطاف بها ثم خطب خطبة محفوظة أسقط فيها كل دم ومأثرة ونهى عن تعظيم الآباء والتفاخر بهم وقال:كلكم بنو آدم وآدم من تراب ثم قال: يا معشر قريش ! ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا خير أخ كريم وبن أخ كريم قال :- اذهبوا فأنتم الطلقاء - ثم جلس حينا في المسجد فقضى أمورا ي [2] مذكورة في السير ما حصل في صلح الحديبية ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها " [3]ولما رجع إلى المدينة جاءه نساء مؤمنات منهن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط فجاء أهلها يسألونها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالشرط الذي كان بينهم فلم يرجعها إليهم ونهاه الله عز وجل عن ذلك فقيل : هذا نسخ للشرط في النساء وقيل : تخصيص للسنة بالقرآن وهو عزيز جدا، وقيل : لم يقع الشرط إلا على الرجال خاصة وأراد المشركون أن يعمموه في الصنفين فأبى الله

([1]) الأصبهاني : إسماعيل بن محمد بن الفضل – دلائل النبوة – تحقيق : محمد محمد الحداد – دار طيبة : الرياض – الطبعة الأولى : 1409هـ ص- 108

([2]) ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله – الاستذكار –ج-5- تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى : 1420هـ ص- 152

([3]) البخاري : ج- 2-مصدر سابق – (كتاب الشروط – باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط) رقم الحديث : 2581- ص- 974

امتثالا لقوله تعالى :[1] "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "[2]ومما يجد ر ذكره أن النبي – صلى الله عليه وسلم –ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما " وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير النبي– صلى الله عليه وسلم – بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله " [3]

فالإصلاح يشمل في نظر القائد الأعظم إبقاء البشرية على الحياة وعدم الزج بها في معارك قد لا تجدي مقارنة مع إقرار السلام ونشر الدين لأن الدين الإسلامي مبني على الإقناع

قال تعالى: " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" [4]

و قال تعالى: "وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ" [5]

هذه الآيات وغيرها تأمر المسلمين أن يسلكوا منهج الدعوة والإقناع وعرض الآيات الكونية على المعارضين و بذلك يحصل الصلاح والإصلاح للأمة قاطبة .وليست الحدة والشدة وإعمال العنف والضيق من لوازم القوة وليست المهادنة والملاطفة والمسامحة وإعمال العقل والتأني من مؤشرات الضعف والهوان والمواقف تختلف حسب المؤشرات والفائز الناجح من يوظف ويوقت المناخ المناسب لمصلحة دعوته والمتأمل لهديه – صلى الله عليه وسلم – في(الحديبية) يجد أنها محققة للغرض وإن

([1]) ابن القيم الجوزية : زاد الميعاد في هدي خير العباد – ج-3-– ص- 126أبو عبد الله محمد بن أيوب سعد الزرعي ثم الدمشقي الأصولي المفسر النحوي المولود :691هـ قال عنه القاضي :برهان الدين ما تحت أديم السماء أوسع علما منه المتوفى :751هـ

([2]) سورة الممتحنة الآية -10

([3]) البخاري : ج- 6-مصدر سابق – (كتاب الحدود – باب إقامة الحدود ، باب الحدود والانتقام لحرمات الله) رقم الحديث : 6404-ص- 2491

([4]) سورة البقرة الآية -256

([5]) سورة يونس الآية -99

غلب عليها طابع التسامح .وإذا استعرض المرء دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – يجد فيها مكارم الأخلاق سجيتها كما ذكر ابن القيم في كتابه زاد الميعاد .

ولما دعا– صلى الله عليه وسلم– إلى الله عز وجل استجاب له عباد الله من كل قبيلة فكان حائز قصب سبقهم صديق الأمة وأسبقها إلى الإسلام أبو بكر رضي الله عنه فآزره في دين الله ودعا معه إلى الله على بصيرة فاستجاب لأبي بكر : عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وبادر إلى الاستجابة له صلى الله عليه وسلم صديقة النساء : خديجة بنت خويلد وقامت بأعباء الصد يقية وقال لها – لقد خشيت على نفسي – فقالت له : أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا ثم استدلت بما فيه من الصفات الفاضلة والأخلاق والشيم على أن من كان كذلك لا يخزى أبدا فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده وإحسانه ولا تناسب الخزي والخذلان وإنما يناسبه أضدادها فمن ركبه الله على أحسن الصفات وأحسن الأخلاق والأعمال إنما يليق به كرامته وإتمام نعمته عليه ومن ركبه على أقبح الصفات وأسوأ الأخلاق والأعمال إنما يليق به ما يناسبها وبهذا العقل والصد يقية استحقت أن يرسل إليها ربها بالسلام منه مع رسوليه جبريل ومحمد– صلى الله عليه وسلم–" وأخلاق النبي الكريم تأبي أن تنالها استفزازات قريش فكان تثويبه نحو الهدف الراشد وهو إيقاف الاقتتال والمواجهة ليس خوفا من قريش ولكن تحقيقا لأهداف سامية وهي تحييد بعض المجموعات والتفرغ لبعضها وإتاحة سبل الإقناع للبعض الآخر ؛لأنه –صلى الله عليه وسلم –يمتاز بالأخلاق الفاضلة كالصبر والشجاعة والعدل والمروءة والعفة والصيانة والجود والحلم والعفو والصفح والاحتمال والإيثار وعزة النفس والتواضع والقناعة والصدق والأخلاق والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل [1] ومن هنا أتى صلح الحديبية وشروطه كأدب جديد أرساه الرسول – عليه السلام–إبرازا للمثل والقيم الحضارية ،ودعوة للحق والصبر على مجاهدة النفس ؛ لملا قات العدو في غير مواقع القتال والدماء ، وكان نتاج ذلك المزيد من التدريب والتحمل ، وإفشاء القيم السمحة ، والقدوة الحسنة ؛ لتهيئة المسلمين لمسارح الدعوة الإسلامية المتعددة .

([1]) ابن القيم الجوزية : الفوائد –دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية – 1393هـ 1973م –ص-144

المبحث الثاني

1. وجوب طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم –

الواجب على المسلم أن يعرف بعض حقوق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وما يعود عليه من خيراتها، وإتباع رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وطاعته من ألزم الأمور وأوجب الواجبات وذلك لإصلاح الفرد والمجتمع لأن:

طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – طاعة الله.

قال الله تعالى: "مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (1) وقال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا " (2) طاعة الرسول هي طاعة لله عزَّ وجل ومعصيته معصية لله، لأن أوامره ما هي إلا وحي من الله وعمل بكتابه الكريم، فقد أرسل تعالى الرسل وأيَّدهم بوحيه لتكتمل مقوِّمات وجوب طاعتهم على الناس، فإذا قضى الرسول قضاءً بإذن الله فلا مناص من تنفيذه والإذعان له لأنه من أمر الله.قال تعالى: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا" (3)

طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم -من الإيمان

قال تعالى: "فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا"(4) فلا يكتمل إيمان المؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله وبصدر رحب . و من دلائل الإيمان السليم، أن يُحَكِّم المسلمُ

---

(1)سورة النسا ء الآية -80

(2)سورة النسا ء الآية - 64

(3) سورة الأحزاب -36

(4)سورة النسا ء الآية - 65

الشرعَ الإسلامي القويم فيما يعرض له من أمور، ثمَّ يقبل بحكمه ولا يجد في نفسه حرجاً أو ضيقاً من الالتزام به.

طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – سبب للهداية

قال تعالى: "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" ([1]) فأغلى شيء في خزائن الله الهداية ولا تكتمل الهداية إلا بطاعة رسول –صلى الله عليه وسلم –

طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – سبب للرحمة

قال تعالى: " وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ([2]) والرحمة سببها طاعة الله وطاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – والعبادات المصاحبة كما قال تعالى: " وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" ([3]) وقال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" ([4])على المؤمنين أن يبقَوْا تحت لواء رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في جميع الملمَّات والطوارئ، وألا يفارقوه دون استئذان، فالمؤمن الَّذي يشعر بارتباطه الكامل مع المجموعة المؤمنة لا يتخلَّى عنها، إلا إذا عرض له أمر قاهر؛ ومع ذلك فهو لا يترك الرسول– صلى الله عليه وسلم– دون استئذان، تأدُّباً معه واحتراماً لمجلسه.

طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – فيها الخير

([1]) سورة النور الآية -54
([2]) سورة آل عمران الآية -132
([3]) سورة النور الآية -56
([4]) سورة النور الآية -62

" يأيُّها الَّذين آمَنُوا أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسولَ وأُولي الأمرِ منكُم فإن تنازعتُم في شيءٍ فرُدُّوه إلى الله والرَّسولِ إن كنتم تؤمنونَ بالله واليــومِ الآخــرِ ذلــك خيــرٌ وأحسنُ تأويلاً" ([1])

تؤكِّد هذه الآيات حتمية طاعة المؤمنين لله عزَّ وجل ولرسوله الكريم ولأولــي الأمر منهم، وفَرْضِيَّة ردِّ الخلافات الَّتي تنشأ بينهم إلى الله ورسوله، لحلِّها في ضوء القواعد الإيمانية.وأولو الأمر هم أولو العلم والفقه وطاعة الرسول هي ا تباع الكتاب والسنة ([2])

طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – سبب للنعمة الكبرى

قال تعالى::" مَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا . ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا" ([3])

إن المطيع لله ورسوله، يتبوَّأ منزلته في علِّيِّين،

مع الأنبياء والصدِّيقين والشهداء والصالحين، فــي ظــلال عــرش الــرحمن، وحَسُنَ أولئك رفيقا ًوهذه أكبر نعمة ينالها المطيع لله والمطيع لرسوله – صــلى الله عليه وسلم وذلك فضل الله يؤ تيه من يشاء .

طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم- سبب الفوز ودخول الجنة

قال تعالى: " تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْــرِي مِــن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" ([4]) وقال تعــالى: "وَمَــن يُطِــعِ اللَّـــهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ " ([5]).إذَا تَأَمَّل العبدُ النَّفْع الْحَاصِل لَـــهُ مِنْ جِهَةِ الرَّسُول– صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –الَّذِي أَخْرَجَهُ الله به مِنْ ظُلُمَات الْكُفْر إِلَـــى

([1]) سورة النساء الآية -59

(1)الدار مي : عبد الله بن عبد الرحمن – سنن الدار مي ج-1- تحقيق : فواز أحمد رملولي ، خالد السبع دا ر الكتاب العربي – بيروت –الطبعة الأولى : 1407هـ (باب الاقتداء بالعلماء) رقم الحديث :219-ص- 83

([3]) سورة النساء الآية -69

([4]) سورة النساء الآية -13

([5]) سورة النور الآية -52

نُور الْإِيمَان ، عَلِمَ أَنَّهُ سَبَب بَقَاء نَفْسه الْبَقَاء الأَبَدِيّ فِي النَّعِيم السَّرْمَدِيّ , وَعَلِـمَ أَنَّ نَفْعه بِذَلِكَ أَعْظَم مِنْ جَمِيع وُجُوه الانتفاع , فَاسْتَحَقَّ لِذَلِكَ أَنْ يَكُون حَظّه مِنْ مَحَبَّتـه أَوْفَر مِنْ غَيْره , وَلَكِنَّ النَّاس يَتَفَاوَتُونَ فِي ذَلِكَ بِحَسَبِ اِسْتِحْضَار ذَلِكَ وَالْغَفْلَة عَنْهُ ، وكلّ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ- صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إِيمَانًا صَحِيحًا لا يَخْلُو عَنْ وِجْدَان شَيْء مِنْ تِلْكَ الْمَحَبَّة الرَّاجِحَة , غَيْر أَنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ . فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَة بِالْحَظِّ الأَوْفَى , وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْهَا بِالْحَظِّ الْأَدْنَى,

طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم- سبب في حب الله لعبده

قال تعالى:" قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " (1)

يتجلَّى حُبُّ المؤمن لربِّه ولنبيِّه بصور مختلفة وعلامات شتَّى، وإنَّ من أوضح هذه العلامات وأظهرها، أن يكون المؤمن مؤْثِراً لأوامر الله تعالى على سائر محبوباته، ظاهراً وباطناً، فيلزم الطاعة، ويجتنب التردُّد والتَّهاون وإتباع الهوى، ويكون هواه تبعاً لما جاء به رسول الله– صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا المعنى قال أحد المحبِّين الصادقين:

وأَتْـركُ مـا أهـوى لـما قـد هَـويْتَـه * فأرضى بما ترضى وإن سَخِطَتْ نفسي

بينما أنكر محبٌّ آخر ادِّعاء محبَّة الله مع ارتكاب معصيته فقال:

تعصي الإله وأنت تظهر حبَّه * هـذا لَعَمْري في القيـاس بديـع

لو كان حبُّك صادقاً لأطـعته * إن المحـبَّ لمـن يحـبُّ مطيـع (2)

---

(1) سورة آل عمران الآية -31

(2) البيهقي : أبوبكر الصديق أحمد بن الحسين – شعب الإيمان – ج- 1- تحقيق : محمد السعيد سيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى : 1410ه – ص-386

فإتباع الرسول-صلى الله عليه وسلم- في الأقوال والأعمال والأخلاق، يعني الدخول في دائرة طاعة الله، الَّتي تعني امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه، وإتباع سنن رسوله ممَّا ورد عنه من قول أو فعل أو تقرير.

طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم- سبب في مغفرة الذنوب

قال تعالى: "يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" ([1]) وصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب تتحقق بطاعة الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –

طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم- سبب في الهداية

قال تعالى :" قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" ([2])

ووردت أحاديث كثيرة في ضرورة ولزوم الاعتصام بالكتاب والسنة، حتى أفرد علماء الحديث في مؤلفاتهم بهذا العنوان كتبا، كما بينت الأحاديث وجوب الطاعة والتأسي وهلاك من لا يلتزم بذلك، ومما ورد في هذا الشأن

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: يا رسول الله ومن يأبي؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" ([3]) فدخول الجنة مرتهن بطاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن أبي موسى عن النبي –صلى الله عليه وسلم – قال: إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأد لجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق" ([4])

([1])سورة الأحزاب– الآية 71

([2])سورة الأعراف الآية -158

(3) البخاري :– ج- 6- مصدر سابق –باب الاقتداء بسنن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –حديث رقم -6851-ص 2655

(4) البخاري :–ج-5-مصدر سابق – (كتاب الرفق ، باب الانتهاء عن المعاصي- حديث رقم :6854-ص- 2378

ويضرب النبي الكريم المثل لتقريب المعنى فإذا هذا القائل وفي عالم المـــشاهدات ينذر ولم يطاع فيصل الهلاك فعالم الغيب يبدأ من هذه الدنيا بطاعـــة النبـــي الكـــريم وتوجد مساحة للاستعداد .

عن عر باض بن سارية قال : صلى لنا رسول الله- صلى الله عليه وســـلم- صلاة الفجر ثم وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلـــوب فقـــال قائل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال أوصـــيكم بتقـــوى الله والـــسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم والمحدثات فإن كل محدثة بدعة([1])

فالنبي الكريم حديثه كله في غاية الأهمية ولكن عند ما يتحدث عن الطاعـــة له خصوصية خاصة لأنه يمكن أن يقوم بالطاعة أضعف مخلوق في نظـــر المجتمـــع؛ لأن بالطاعة يتحقق إصلاح المجتمع وأفراده .وقـــال رســـول الله- صـــلى الله عليـــه وسلم-: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" ([2]) وفي هذا الحديث إشـــارة على أن أي عمل يقوم به الإنسان إذا لم يكن مطابق لطاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم –يكون مردودا غير مقبول ."وعن عائشة رضي الله عنها قالت :صنع النبـــي- صلى الله عليه وسلم- شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبـــي- صـــلى الله عليه وسلم –فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوا لله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية" ([3])

كذلك من تنزه عن شيء فعله النبي – صلى الله عليه وســـلم- قـــد ضـــل الصواب ،لأن إصلاح النفس البشرية مرهونة بمتابعته .فـــالمؤمن مطالـــب بطاعـــة الرسول –صلى الله عليه وسلم-لاعن هوى نفسه ولكن عن الإتباع بما أمـــر بـــه الله قولا وفعلا ؛لأن الطاعة موقوفة على الكتاب والسنة .

---

(1) الدار مي :عبد الله بن عبدا لرحمن –سنن الدار مي –ج-1- تحقيق –فواز أحمد وخالد السبع العلمي –دار الكتاب العربي –بيروت –باب إتباع السنة – حديث رقم:95-ص- 57

(2) البخاري :–ج-2-مصدر سابق –(كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جـــور فالصلح مردود) رقم الحديث : 2550 –ص- 753

(3) البخاري :–ج-5-مصدر سابق –(كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب رقم الحديث - 5750–ص- 2263

عن أنس قال مر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على جواري من بني النجار وهن يضربن بالدف ويقلن

نحن جواري من بني النجار * يا حبذا محمد من جار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بارك فيهن ([1]) بحسب متابعة الرسول-صلى الله عليه وسلم ـ تكون العزة ، والكفاية، والنصرة. كما أن بحسب متابعته تكون الهداية ، والفلاح والصلاح، والإصلاح ، والنجاة؛فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته ، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته؛ فلأتباعه الهدى والأمن، والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء، في الدنيا والآخرة. وقد أقسم_ صلى الله عليه وسلم _ بأن " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"([2])

والنصر الذي حصل للصحابة - رضوان الله عليهم - في الحديبية إنما كان بطاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – ولذا عند ما رأى عروة أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم - بعينه قال فوا لله ما تنخم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - محمدا والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له ([3])

---

(1) المقدسي : عبد الغني بن عبد الواحد بن علي – أحاديث الشعر – تحقيق : إحسان عبد المنان الجبالي – المكتبة الإسلامية – عمان الأردن – الطبعة الأولى : 1410هـ ص- 75

(2) أبوبكر عبد الرزاق بن همام - مصنف عبد الرزاق - ج 11-تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي المكتب الإسلامي – بيروت- الطبعة الثانية ،1403هـ باب المرء مع من أحب –رقم الحديث -**20321** ص200

(3) البخاري : ج-2-مصدر سابق (كتاب الوضوء ، باب استعمال فضل وضوء الناس) رقم الحديث :2581-ص - 974

والحق ما شهد به الأعداء وذلك أن من أسباب النصر طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – كما شهد بذلك عروة وهو عدو النبي– صلى الله عليه وسلم –آن ذك الوقت."بل يتبركون بآثاره– صلى الله عليه وسلم– فقد كانوا يتبركون ببصاقه– صلى الله عليه وسلم– ونخامته ويدلكون بذلك وجوههم وشرب بعضهم بوله وبعضهم دمه وغير ذلك مما هو معروف من عظيم اعتنائهم بآثاره – صلى الله عليه وسلم – التي يخالفه فيها غيره" ([1]) فبطاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – يحصل الصلاح والإصلاح للفرد والمجتمع .وبقدر معصيته تكون النكبات والأهوال والويلات كما حصل يوم أحد. قال تعالى: "إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" ([2]) وهذا بسبب مخالفة من غير قصد أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – الرماة ألا يبرحوا مكانهم في حالتي النصر والهزيمة ولكن عندما رأوا انتصار المسلمين وانهزام الكفار أبت نفس بعضهم إلا أن يهبطوا إلى صفوف إخوانهم المسلين لجمع الغنائم وذكرهم أميرهم بتوجيهات رسول الله لهم فحسبوا أن المكوث حتى تنجلي المعركة فخالفوا فكان أصابهم ما أصابهم .

وقال تعالى:" فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" ([3]) فلا يتم الصلاح والإصلاح إلا بطاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – ومما يدل على صلاح الرعيل الأول وإصلاحهم تقديم طاعة الولاء على النفس والولد والمال والوطن للحبيب–– صلى الله عليه وسلم – عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال :والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده" ([4])وعن أنس قال قال النبي– صلى الله عليه وسلم–" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" ([5]) فالطاعة مقدمة على كل شيء تحقيقا لإقامة دولة الإسلام الراشدة .

---

(1)المباركفوري :محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم –تحفة الأحوذي بشرح الترمذي –ج-5-دار الكتب العلمية بيروت –ص-474

(2) سورة آل عمران الآية -153

(3) سورة النور الآية-63

(4) البخاري : ج- 1- مصدر سابق –(كتاب الإيمان ، باب حب الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الإيمان) رقم الحديث : 14-ص- 14

(5) البخاري : ج- 1- مصدر سابق –(كتاب الإيمان ، باب حب الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الإيمان) رقم الحديث : 15-ص- 14

المبحث الثالث
أحكام العمرة و الاحصار

تعريف العمرة:

العمرة – اسم من الاعتمار – وهي في اللغة القصد والزيارة و اعتمره زاره واعتمر في الحج واعتمر تعمم بالعمامة وقوله تعالى "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ "([1])أي جعلكم عمارها و عمره الله تعميرا طول عمره و عمار البيوت سكانها من الجن و العمران أبو بكر وعمر رضي الله عنهما([2]) وقيل القصد إلى مكان عامر ، وسميت بذلك ؛لأنها تفعل في العمر كله ([3]) وفي الاصطلاح الشرعي :" قصد بيت الله الحرام لأداء نسك مكون من الإحرام والطواف والسعي والحلق أو التقصير" ([4])

أحكام العمرة :

فحكمها سنة لمن استطاع إليها سبيلا .

أركانها: الإحرام والطواف والسعي بين الصفا والمروة ([5])

ميقاتها : لها ميقات زماني وميقات مكاني فأما الزماني فهو كل السنة فيصح إنشاء الإحرام للعمرة من غير كراهة في كل أوقات السنة إلا في أحوال مفصلة في المذاهب"([6])

ومكاني : ذو الحليفة والجحفة ويلملم وقرن المنازل وذات عرق فهي لأهلها ومن مر بها([7]) و عمرات الرسول فأربع هن:

الأولى : عمرة الحديبية : وكانت سنة ست من الهجرة ولم تتم ، لأن مشركي قريش صدوه ، والحكم فيها حكم الاحصار الذي كان بسببها.

([1]) سورة هود الآية -61

(2) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر – مختار الصحاح – تحقيق : محمود خاطر – مكتبة لبنان ناشرون – بيروت - 1425هـ 1995م – باب العين - مادة ع م ر –ص - 190

(3) د- وهبة الزحيلي : الفقه الإسلامي وأدلته – ج- 3-دار الفكر المعاصر –دمشق –الطبعة الرابعة -1418هـ 1997م ص- 2347

([4]) د- وهبة الزحيلي : الفقه الإسلامي وأدلته – ج- 3- مصدر سابق – ص- 2065

([5])عبد الرحمن الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة –ج-1 مصدر سابق -ص- 1076

([6])عبد الرحمن الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة –ج-1 مصدر سابق -ص- 1078

([7])المصدر نفسه - -ص- 1078

"ومن طريق أسباط عن السدي لما اعتمر النبي عمرة الحديبية في ذي القعـدة سـنة ست من مها جره صده المشركون ثم صالحوه على أن يخلوا له مكة من عـام قابـل ثلاثة أيام فأتاهم بعد فتح خيبر في السنة السابعة"(1)

الثانية: عمرة القضاء: كما اعتمر في السنة السابعة حسب الاتفاق المبـرم بينـه – صلى الله عليه وسلم – وبين قريش.

الثالثة : عمرة الجِعْرَانة : وكانت بعد فتح مكة وغزوة حنين سنة ثمان مـن الهجرة، ونزل الجعرانة بعد حنين والطائف ، وكان نزوله بها لخمس ليال خلون مـن ذي القعدة ، وأقام بها ثلاث عشرة ليلة ، وإحرام رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من الجعرانة كان ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ، وأدى العمرة ثم عاد إلى الجعرانة ، وأصبح كبا ئت بها ، وفي صباح يوم الأربعاء الثـامن عـشر من ذي القعدة غادر الجعرانـة هـو وصـحبه عائـدين إلـى المدينـة المنـور (2)

الرابعة : عمرته مع حجته : حجة الوداع . وكل عمرا ته– صـلى الله عليـه وسلم– كانت في شهر ذي القعدة إلا عمرته الأخيرة ، فقد بدأ بها فيه ، وأتمها فـي ذي الحجة . " عن قتادة سألت أنسا – رضي الله عنه– كم اعتمر النبـي صـلى الله عليه وسلم ؟ قال أربعا عمرة الحديبية في ذي القعدة حيث صده المشركون وعمـرة من العام المقبل في ذي القعدة حيث صالحهم وعمرة الجعرانة إذ قسم غنيمة – حنين . قلت كم حج ؟ قال واحدة" (3)

فضل العمرة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " (4) والكفارة : إمحاء الذنوب وزوالها بسبب العمل الصالح :" إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ " (5)

وقال عليه –الصلاة والسلام – " هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا

---

(1)ابن الحجر العسقلاني :شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي –العجاب في بيان الأسباب – ج-1- تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيس –دار ابن الجوزي : الدمام الطبعة الأولى : 1997م ص- 470

(2)البخاري : ج-2- مصدر سابق – (كتاب الحج ، باب كم اعتمر النبي – صلى الله عليه وسلم -) حديث رقم 1687 – ص- 630

(3)البخاري : ج- 1- مصدر سابق – (كتاب الحج ، باب كم اعتمر النبي – صلى الله عليه وسلم -)رقم الحديث- 1687-ص- 630

(4) البخاري : ج-2- مصدر سابق (باب وجوب العمرة وفضلها) رقم الحديث : 1683-ص- 629

(5) سورة هود الآية -114

البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنـــة ، وإن رده رده بأجر وغنيمة" [1] **وقال صلى الله عليه وسلم : " النفقة في الحج كالنفقة فـــي سبيل الله ،الدرهم بسبعمائة ضعف "** [2]

الاحصار

أما الإحصار : فهو الحبس والمنع ، مصدر أحصره ، إذا حبسه حـــابس مـــا ، والمقصود به هنا منع المحرم من إتمام نسكه ، كأن يمنـــع مـــن دخـــول مكـــة ، أو الوقوف بعرفة ، فلا يختص الإحصار بعرفة كما هو في الفوات ، ويمكن أن يكون في الحج والعمرة ، بخلاف الفوات فلا يكون إلا في الحج . المحصر اســم مفعــول مــن الإحصار من أحصره إذا حبسه وهو الذي حبس عن إتمام الحج والعمـــرة بعـــذر أو مرض أو نحو ذلك "[3] **"حصر حصرتهم حصرا حبستهم والله حاصـــر الأرواح فـــي الأجسام وأحصر الحاج إذا حبس عن المضي بمرض أو خوف أو غيرهمـــا – فَـــإِنْ أُحْصِرْتُمْ–وحصر الرجل وأحصر اعتقل بطنه وبه حصر ، وحاصرهم العـــدو حـــصارا وبقينا في الحصار أياما أي في المحاصرة أو في مكانها ، وحـــصر صـــدره وحـــصر لسانه وحصر في كلامه وفي خطبته عي ورجل حصور لا يرغب في النـــساء . وقـــد حصر على قومه وفي قلبه ولسانه ويديه حصر أي ضيق وعي وبخل وهـــو حـــصر** بالأسرار **لا يفشيها قال جرير**

ولقد تسقطني الوشاة فصادفوا * حصرا بسرك يا أميم ضنينا "[4]

ولـــلإحصا ر صو ر :

الصورة الأولى : أن يشترط المحرم عند إحرامه ، أنَّ له أن يتحلل من إحرامـــه إذا حبسه حابس ما ، فهذا له أن يحلَّ متى ما وُجد ذلك الحابس والمانع ، ولا شـــيء

---

(1) المنذري: عبد العظيم بن عبد القوي : الترغيب والترهيب –ج-1-تحقيق : إبراهيم شمس الدين – دار الكتب العلمية –بيروت –(كتاب الحج – الترغيب في الحج والعمرة وما جاء فيمن خرج يقصدهما فمات)رقم الحديث : 1713-ص-112

(2) أحمد بن حنبل : ج- 5- مصدر سابق –(حديث بريدة الأسلمي) رقم الحديث : 23050-ص- 354

(3) الإمام مالك بن أنس – موطأ مالك رواية محمد بن الحسن – ج-2- تحقيق : د- تقي الدين الندوي –دار القلم-دمشق -1413هـ 1991م (باب المحصر) رقم الحديث : 507-ص- 397

(4) الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر-أساس البلاغة – دار الفكر –بيروت- 1399هـ -1979م –ص-128

عليه ؛ لا هدي ولا قضاء ، ولا غيرهما ، لأن للشرط عنها أنها قالت لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– :" إني أريد الحج، وأنا شاكية، فقال لها : حجي واشترطي: أن محلِّي حيث حبستني" ([1]) لكن إذا كان إحرامه لحج الفريضة فلا يسقط الواجب عنه ، بل يبقى في ذمته حتى يؤديه .

الصورة الثانية : أن يكون الإحصار بسبب عدو أو قاطع طريق ونحو ذلك ، فيُمنع المحرم من الوصول إلى مكة ، ففي هذه الحالة ، يحلُّ للمحرم أن يتحلل من إحرامه ، ويلزمه دم يذبحه حيث أحصر سواء كان في الحرم أو غيره ، ثم يحلق أو يقصر .لقوله تعالى :" فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ " ([2]) ولأن النبي – صلى الله عليه وسلم– أمر أصحابه يوم الحديبية – حين منعته قريش من دخول مكة– أن ينحروا ويحلقوا ويحلِّوا ، ولا فرق بين الحصر العام في حق الحجاج كلهم وبين الحصر الخاص بالفرد .وأما إن تمكن المحصر من الوصول إلى البيت من طريق أخرى ، تعين عليه ذلك ، ولزمه سلوكها سواء بعدت أم قربت ، ولم يُبَح له التحلل .وسواء أحصر المحرم عن البيت قبل الوقوف أو بعده ، فله التحلل في أحد قولي العلماء ، وأما إن كان ما أحصر عنه ليس من أركان الحج ، كالمبيت بمزدلفة ومنى ، ورمي الجمار ، وطواف الوداع ، فليس له أن يتحلل لأن صحة الحج لا تتوقف عليه ، ويجب عليه دم لتركه الواجب وقيل لا يجب لأن الواجب سقط عنه بالعجز . فإن عدم المُحْصَر الهدي ففي انتقاله إلى البدل خلاف بين أهل العلم .

الصورة الثالثة : أن يُمنع المحرم من الوصول إلى الحرم ، لعذر غير العدو ، كمرض ، أو فَقْدِ نفقة ، أو ضياع الطريق أو غير ذلك من العوائق ، فهذه الصورة محل خلاف بين أهل العلم : فمنهم من رأى أن الإحصار خاص بالعدو ، وعليه فليس للمحرم التحلل بالمرض ونحوه ، حتى يطوف بالبيت ويسعى أي يتحلل بعمرة لأن قوله تعالى في آية الإحصار : " فَإِذَا أَمِنتُمْ "([3]) يدل على أن المراد بالإحصار ما كان من العدو خاصة ، ولأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه إنما تحللوا

---

(1) مسلم : ج- 2- مصدر سابق (كتاب الحج ، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه) رقم الحديث 1207-ص - 867

(2) سورة البقرة الآية :196

(3) سورة البقرة الآية :196

حين أحصروا من العدو ومنهم من رأى أن الإحصار يتحقق بجميع العوائق المانعة من الوصول إلى الحرم من عدو أو مرض أو ضياع نفقة أو حبس أو كسر ونحو ذلك لعموم قوله تعالى :" فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ "([1]) ولحديث الحجاج بن عمرو أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال : "من كُسر أو عرج فقد حلَّ "([2])

هذه هي صور الفوات والإحصار ، وبقي التنبيه على مسألة وهي : أن من نوى التحلل لغير عذر فإنه لا يحل بنيته تلك ، ولا يبطل إحرامه ، ولا يخرج عن أحكامه بنية الخروج ، لأن رفض الإحرام لغو ، بل يلزمه أن يمضي فيه ويتمه لقوله جل وعلا : " وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ "([3]) "لما خرج رسول الله من حصر العدو دخل فى حصر النصر فعبثت أيدى سراياه بالنصر فى الأطراف فطار ذكره فى الآفاق فصار الخلق معه ثلاثة أقسام مؤمن به ومسالم له وخائف منه "([4])

وبذا تتجلى عظمة النبي – صلى الله عليه وسلم – وللمحافظة على النفس البشرية وإصلاحها يسلك بها كل مسلك يؤدي للمحافظة عليها وإن كان للنفس البشرية في النفس منه شيئا مادام لا يتعارض مع كليات الإسلام وعقيدتها فليمتثل ؛ فإن أحصر المسلم عن أداء مناسك الحج أ والعمرة فعليه أن يسلم بقضاء الله وقدره ويتذكر قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم–
"أخبرني محمد بن إبراهيم التيممي أنه سمع علقمة بن وقاص ألليثي يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: سمعت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– يقول: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"([5])

ومما يدل على حرص رسول الله – صلى الله عليه وسلم –على إصلاح الفرد والمجتمع أنه استجاب لصوت العقل بتأخير منا سك العمرة لعام قادم تؤدى فيه المناسك باطمئنان ويتفرغ فيه وأصحابه لما تبقى

([1]) سورة البقرة الآية :196
([2]) أبو داؤد :ج- 1-مصدر سابق (كتاب المناسك .باب الحصار) رقم الحديث : 1862-ص- 575
([3]) سورة البقرة الآية -196
(4) محمد بن أبي بكر أيوب – الفوائد –دار الكتب العلمية –بيروت – الطبعة الثانية -1393هـ 1973م -ص95
(5)البخاري : ج- 1- مصدر سابق- (بدأ الوحي ،باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم رقم الحديث :-1-ص-2

المبحث الرابع
تبيين حكم صلاة الخوف

تشرع صلاة الخوف في كل قتال مباح، كقتال الكفار والبغاة والمحاربين، لقوله تعالى : " إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا " [1]

وقيس عليه الباقي ممن يجوز قتاله، ولا تجوز صلاة الخوف في قتال محرم.لأنه معصية والمعصية لن تنال رضى الله . والدليل على مشروعية صلاة الخوف الكتاب والسنة والإجماع: قال الله تعالى : "وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ " [2]

قال الإمام أحمد رحمه الله: "صحت صلاة الخوف عن النبي صلى الله عليه وسلم – من خمسة أوجه أو ستة كلها جائزة " [3]فهي مشروعة في زمنه – عليه الصلاة والسلام– وتستمر مشروعيتها إلى آخر الدهر، وأجمع على ذلك الصحابة وسائر الأئمة ما عدا خلافاً قليلاً لا يعتد به .[4]

وتقام صلاة الخوف عند الحاجة إليها سفراً وحضراً، إذا خيف هجوم العدو على المسلمين؛لأن المبيح لها هو الخوف لا السفر؛ لكن صلاة الخوف في الحضر لا يقصر فيها عدد الركعات، وإنما تقصر فيها صفة الصلاة، وصلاة الخوف في السفر التي يقصر فيها عدد الركعات إذا كانت رباعية، وتقصر فيها الصفة .وتشرع صلاة الخوف بشرطين : الشرط الأول: أن يكون العدو يحل قتاله .

الشرط الثاني: أن يُخاف هجومه على المسلمين حال الصلاة؛ لقوله تعالى : "إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ " [5]وقوله : " وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً " [6] وبمناسبة الحديث عن صلاة الضارب في

---

(1) سورة النساء الآية -101
(2) سورة النساء الآية -102
(3) ابراهيم بن محمد بن سالم – منار السبيل – ج- 1- مصدر سابق (فصل في صلاة الخوف) ص-100
(4) المصدر نفسه- ص-100
(5) سورة النساء الآية - 101
(6) سورة النساء الآية - -103102

الأرض الخائف من فتنة الذين كفروا يجيء حكم صلاة الخوف في أرض المعركـــة ; وتحتشد جنبات هذا الحكم الفقهي بلمسات إصلاحية نفسية وتربوية شتى . قال تعالى :" وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَـــإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَــكَ وَلْيَأْخُــذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَـــيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَـــى أَن تَـــضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَـــى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (1)

إن المتأمل في أسرار هذا القرآن ; وفي أســـرار مـــنهج الإصـــلاح الربـــاني للتربية، المتمثل فيه يطلع على عجب من اللفتات الإصلاحية النفـــسية النافـــذة إلـــى أعماق الروح البشرية ؛ومنها هذه اللفتة في ساحة المعركة إلى الصلاة، إن الـــسياق القرآني لا يجيء بهذا النص لمجرد بيان الحكم الفقهي في صفة صلاة الخوف ولكنه يحشد هذا النص في حملة الإصلاح التربوي، والتوجيه والتعليم، والإعـــداد للـــصف المسلم، وللجماعة المسلمة.

وأول ما يلفت النظر هو الحرص على الصلاة في ساحة المعركة ؛ولكن هـــذا طبيعي ؛ بل بديهي في الاعتبار الإصلاحي الإيماني ، إن هذه الصلاة سلاح من أسلحة المعركة ؛ بل أنها السلاح فلا بد من تنظيم استخدام هذا السلاح بما يتناسب مع طبيعة المعركة ،وجو المعركة ،ولقد كان أولئك الرجال الذين تربوا بـــالقرآن وفـــق مـــنهج الإصلاح الرباني ، يلقون عدوهم بهذا السلاح ؛الذي يتفوقون فيه قبل أي سلاح لقـــد كانوا متفوقين في إيمانهم؛ بإله واحد يعرفونه حق المعرفة .

ويشعرون أنه معهم في المعركة متفوقين كذلك في إيمانهم بهدف يقاتلون مـــن أجله ; ويشعرون أنه أرفع الأهداف جميعا متفوقين أيضا في تصورهم للكون والحياة, ولغاية وجودهم الإنساني تفوقهم في تنظيمهم الاجتمـــاعي, الناشـــئ ء مـــن تفـــوق

---

(1) سورة النساء الآية - 103

منهجهم الإصلاحي الرباني ،وكانت الصلاة رمزا لهذا كله، وتذكيرا بهذا كله ،ومن ثم كانت سلاحا في المعركة؛ بل كانت هي السلاح.

والأمر الثاني الذي يلفت النظر في هذا النص هو هـذه التعبئـة الروحيـة الكاملة تجاه العدو ،وهذا الحذر الذي يوصى المؤمنون به تجاه عدوهم، الذي يتربص بهم لحظة غفلة واحدة عن أسلحتهم وأمتعتهم؛ ليميل عليهم ميلة واحدة، ومـع هـذا التحذير والتخويف،توجد في ثنايا الآيات التطمين والتثبيت ; إذ يخبـرهم أنهـم إنمـا يواجهون قوما كتب الله عليهم الهوان . " إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا " ([1])

وهذا التقابل بين التحذير والتطمين ; وهذا التوازن بين استثارة حاسة الحـذر وسكب فيض الثقة ; هو طابع منهج الإصلاح في تربية النفس المؤمنـة ، والـصف المسلم في مواجهة العدو الماكر العنيد اللئيم ؛أما كيفية صلاة الخوف ; فتختلف فيها آراء الفقهاء أخذا من هذا النص ولكن يمكن الاكتفاء بالصفة العامة دون دخول فـي تفصيل الكيفيات المتنوعة.

قال تعالى : وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ([2])

والمعنى إذا كنت فيهم؛ فأممتهم في الصلاة؛ فلتقم طائفة منهم تـصلي معـك الركعة الأولى؛ على حين تقف طائفة أخرى بأسلحتها من ورائكم لحمايتكم ؛فإذا أتمت الطائفة الأولى الركعة الأولى رجعت فأخذت مكان الحراسة؛ وجـاءت الطائفـة التـي كانت في الحراسة ولم تصل؛ فلتصل معك ركعة كذلك؛ وهنا يسلم الإمام؛ إذ يكون قـد أتم صلاته ركعتين ؛عندئذ تجيء الطائفة الأولى؛ فتقضي الركعة الثانية التي فاتتها مع الإمام وتسلم؛ بينما تحرسها الطائفة الثانية؛ ثم تجيء الثانية فتقضي الركعة الأولـى التي فاتتها وتسلم: بينما تحرسها الطائفة الأولى ؛وبذلك تكون الطائفتان قـد صـلتا

---

(1) سورة النساء الآية - 102

(2) سورة النساء الآية - 102

بإمامة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وكــذلك مــع خلفائــه وأمرائــه وأمــراء المسلمين منهم في كل معركة.

كما جاء "عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا ســئل عــن صلاة الخوف قال يتقدم الإمام وطائفة من الناس فيصلي بهم الإمــام ركعــة وتكــون طائفة منهم بينهم وبين العدو لم يصلوا فإذا صلى الذين معه ركعة استأ خروا مكان الذين لم يصلوا ولا يسلمون ويتقدم الذين لم يصلوا فيــصلون معــه ركعة ثم ينصرف الإمام وقد صلى ركعتين فيقوم كل واحد مــن الطــائفتين فيــصلون لأنفسهم ركعة بعد أن ينصرف الإمام فيكون كل واحد من الطائفتين قد صلى ركعتــين فإن كان خوف هو أشد من ذلك صلوا رجالا وقياما على أقدامهم أو ركبانا مــستقبلي القبلة أو غير مستقبليها قال مالك قال نافع لا أرى عبد الله بن عمر ذكر ذلك إلا عــن رسول الله– صلى الله عليه وسلم–" (1)

ومن صفات صلاة الخوف الواردة عن النبي -صلى الله عليه وسلم - في حديث سهل بن أبي حثمة الأنصاري – رضي الله عنه – وقد اختار الإمام أحمد العمل بها؛ لأنها أشبه بالصفة المذكورة في القرآن، وفيها احتياط للصلاة واحتياط للحرب، وفيها نكاية بالعدو، وقد فعل عليه–الصلاة والسلام– هذه الصلاة في غــزوة ذات الرقــاع، وصفتها كما رواها سهل هي: "أن طائفة صفت مع النبي – صلى الله عليه وســلم – وطائفة وجاه العدو، فصلى بالتي معه ركعة، ثم ثبت قائمــاً وأتمــوا لأنفــسهم، ثــم انصرفوا وصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى، فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم، ثم سلم بهم " (2)

ومن صفات صلاة الخوف ما روى جابر قال:" شهدت مع رسول الله–صــلى الله عليه وسلم – صلاة الخوف، فصففنا صفين ــ والعدو بيننا وبين القبلــة، فكبــر رسول الله فكبرنا، ثم ركع فركعنا جميعاً، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً، ثم انحدر بالسجود، وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم، ثم ركع فركعنا

(1) البخاري : ج- 4-مصدر سابق (كتاب التفسير، باب فإذا أمنتم فرجالا وركبانا فإذا أمنتم فاذروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون – رقم الحديث : 4261ص- 1649

(2) مسلم : ج- 1- مصدر سابق (باب : صلاة الخوف)– رقم الحديث : 842- ص- 575

جميعاً، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وكان مؤخراً في الركعة الأولى، وقام الصف المؤخر في نحر العدو، فلما قضى صلى الله عليه وسلم –السجود، وقام الصف الذي يليه؛ انحدر الصف المؤخر بالسجود، فسجدوا ثم سلم –صلى الله عليه وسلم – وسلمنا جميعاً " (1)

ومن صفات صلاة الخوف ما رواه ابن عمر قال :صلى النبي – صلى الله عليه وسلم – صلاة الخوف بإحدى الطائفتين ركعة وسجدتين والأخرى مواجهة العدو، ثم انصرفوا وقاموا في مقام أصحابهم مقبلين على العدو، وجاء أولئك فصلى بهم ركعة ثم سلم، ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة "(2)

"عن الحسن عن أبي بكرة قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم في خوف الظهر فصف بعضهم خلفه وبعضهم بإزاء العدو فصلى بهم ركعتين ثم سلم فانطلق الذين صلوا معه فوقفوا موقف أصحابهم ثم جاء أولئك فصلوا خلفه فصلى بهم ركعتين ثم سلم فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربعا ولأصحابه ركعتين ركعتين "(3)

ومن صفات صلاة الخوف ما روا ه جابر قال: "أبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بذات الرقاع قال كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بشجرة فأخذ سيف نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخترطه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتخافني قال لا قال فمن يمنعك مني قال الله عز وجل يمنعني منك قال فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغمد السيف وعلقه فنودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين وتأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين فكانت لرسول الله– صلى الله عليه وسلم– أربع ركعات وللقوم ركعتان"(4)

---

(1) مسلم : ج- 1- مصدر سابق (باب : صلاة الخوف)رقم الحديث : 839- ص- 574

(2) مسلم : ج- 1- مصدر سابق (باب : صلاة الخوف) رقم الحديث : 839- ص- 574

(3) أبوداؤد: ج-1- مصدر سابق –(باب من قال يصلي بكل طائفة ركعتين وتكون للإمام أربعا) رقم الحديث :1248-ص- 400

(4) أحمد بن حنبل : ج-3-مصدر سابق رقم الحديث :14970-ص-364

وهذه الصفات تفعل إذا لم يشتد الخوف، فإذا اشتد الخوف؛ بأن تواصل الطعن والضرب والكر والفر، ولم يمكن تفريق القوم وصلاتهم على ما ذكر، وحـان وقـت الصلاة؛ صلوا على حسب حالهم، رجالاً وركباناً للقبلة وغيرهـا يومئـون بـالركوع والسجود حسب طاقاتهم، ولا يؤخرون الصلاة؛ لقوله تعالى :" "فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَـالاً أَوْ رُكْبَانًا " (1)

فصلوا رجالاً أو ركباناً، والرجال :جمع راجل، وهو الكائن على رجليه ماشياً أو واقفا، والركبان: جمع راكب ، قال تعالى : وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً (2)

وهي رغبة في نفوس الكفار؛ تجاه المؤمنين دائمة والسنون تتوالى والقـرون تمر؛ فتؤكد هذه الحقيقة التي وضعها الله في قلوب المجموعة المؤمنة الأولى ؛ وهو يضع لها الخطط العامة للمعركة ؛كما يضع لها الخطة الحركية أحيانا على هذا النحـو الذي في صلاة الخوف؛ على أن هذا الحذر؛ وهذه التعبئة الإصلاحية النفسية ،وهـذا الاستعداد بالسلاح المستمر؛ ليس من شأنه أن يوقع المـسلمين فـي المـشقة فهـم يأخذون منه بقدر الطاقة. قال تعالى : وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَـرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (3)

فحمل السلاح في هذه الحالة يشق ولا يفيد ويكفي أخذ الحذر ; وتوقع عـون الله ونصره وتأييده ومراقبته وكذا عدم الإهمال ومراقبة العدو واجبة ؛ لأن العـدو لا يهدأ له بال ولا يستقيم له الأمر حتى يرى المؤمنين في غفلة وعندئذ يجد بغيته . قال تعالى : وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (4)

ولعل هذا الاحتياط، وهذه اليقظة وهذا الحذر ، يكون أداة ووسـيلة؛ لتحقيـق العذاب المهين ، الذي أعده الله للكافرين؛ فيكون المؤمنون هم سبب لقدرتـه ; وأداة مشيئته وهي الطمأنينة مع ذلك الحذر ; والثقة في النصر على قوم أعد الله لهم عذابا مهينا.

---

(1) سورة البقرة الآية :239
(2) سورة النساء الآية - 102
(3) سورة النساء الآية - 102
(4) سورة النساء الآية - 102

قال تعالى : فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ([1])

وهكذا يوجههم إلى الاتصال بالله في كل حال ،وفي كل وضـع إلـى جانـب الصلاة فهذه هي العدة الكبرى؛ وهذا هو السلاح الذي لا يبلى ؛فأما حين الاطمئنـان فأقيموا الصلاة أقيموها كاملة تامة؛ بلا قصر، قصر الخوف الذي ذكر .فهي فريـضة ذات وقت محدد لأدائها ؛ومتى زالت أسباب الرخصة في صفة من صفاتها عادت إلـى صفتها المفروضة الدائمة. وهي قوله تعالى :" إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ([2]) .يأخذ الظاهرية رأيهم في عدم قضاء الفائتة من الصلاة لأنها لا تجزي ولا تصح لأن الصلاة لا تصح إلا في ميقاتها المعين فمتى فات الميقات فلا سبيل لإقامـة الصلاة والجمهور على صحة قضاء الفوائـت وعلـى تحـسين التبكيـر فـي الأداء والكراهية في التأخير .

وأن الصلاة قد اشتملت على جل أنواع العبادة من الاعتقاد بالقلـب والانقيـاد والإخلاص والمحبة والخشوع والخضوع والمشاهدة والمراقبة والإقبال على الله عـز وجل وإسلام الوجه له والصمود إليه والوقوف بين يديـه وعلـى أقـوال اللـسان وأعماله من الشهادتين وتلاوة القران والتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد والتهليل والتكبير والأدعية والتعوذ والاستغفار والاستغاثة والاستعانة والافتقار إلى الله تعـالى والثناء عليه والاعتذار من الذنب إليه والإقرار بالنعم له وسائر أنواع الـذكر وعلـى عمل الجوارح من الركوع والسجود والقيام والاعتدال والخفض والرفع وغير ذلك هذا مع ما تضمنته من الشرائط والفضائل منها الطهارة الحسية من الأحداث والأنجـاس الحسية والمعنوية من الإشراك والفحشاء والمنكر وسائر الأرجاس وإسباغ الوضـوء علي المكاره ونقل الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة وغير ذلك مما لم يجتمع في غيرها من العبادات ([3])

([1]) سورة النساء الآية -103

([2]) سورة النساء الآية -103

(3) حافظ بن أحمد حكمي : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول – ج-2- تحقيق : عمر بن محمود دار ابن القيم – الدمام –الطبعة الأولى : 1410هـ 1990م –ص- 622

ولهذا قال النبي– صلى الله عليه وسلم–"..... وجعلت قرة عيني في الصلاة "([1])
ولاشتمالها على معاني الإيمان سماها الله إيمانا في قوله عز وجل" وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ " ([2])

والمحافظة على الصلوات في كل الأحوال من دأب النبي – صلى الله عليه وسلم – لأنها عنده قاضية الحاجات وإذا أهمه أمر فزع إل الصلاة ولإصلاح المجتمع الإسلامي فرضت الصلاة ولم يتركها النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحضر ولا في السفر ولافي ساحات الوغاء مما يدل على أهميتها للفرد والجماعة .والتشريعات التي صاحبت الحديبية في العبادات جاءت في غاية الدقة لتشمل صلاح النفس في المجالات الروحية والقلبية والوجدانية والمنهجية فالإصلاح الأول يتمثل في وجوب طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – وبطاعته تحقق الإصلاحات الدينية والدنيوية ومن ثم تبيين أحكام العمرة ليخلو الفرد بنفسه لحظات صفاء لزيارة الأماكن المقدسة ليتأسى بمن خدم الدين وعاش له وكذلك الحياة لا تخلو من الكدر فبيان صلاة الخوف من المكمل لإصلاح النفس الإنسانية .فهذا الفصل يبين إصلاح الفرد والمجتمع في حالتي الرخاء والشدة ففي الرخاء طاعة القائد الأعظم وزيارة المقدسات الإسلامية وأخذ العبر وفي حال الشدة الاستمساك بهذا الدين القويم .كما جاء في صلاة الخوف في صلح الحديبية ، وغيرها مما يستدعي الاستعداد للتضحية والفداء للدين القويم مما يكسب النفس الإنسانية القوى والتحمل ومجابهة الصعاب .

---

(1) النسائي : أحمد بن شعيب – سنن النسائي – ج- 7- تحقيق : عبد الفتاح أبوغدة – مكتب المطبوعات الإسلامية 0 – حلب – الطبعة الثانية : 1406هـ 1986م (كتاب عشرة النسائي– باب حب النساء) رقم الحديث : 3940ص- 61

(2) سورة البقرة الآية – 143

الفصل الرابع

التشريعات التي صاحبت الحديبية في المعاملات

المبحث الأول : تأكيد الشورى

المبحث الثاني : تثبيت البيعة

المبحث الثالث : حكم الوفاء بالعهد والميثاق

الفصل الرابع

المبحث الأول : تأكيد الشورى

الشورى :

تعريفها اللغوي :

الشورى اسم من المشاورة . وتشاور أي استخرج ما عنده من رأي.وقال: حسان بن ثابت ــ رضي الله عنه ــ

إذ كل نابتة شوك بلا ثمر * وكل طائرة شور بلا عسل [(1)]

والشورى : الأمر الذي يتشاور فيه"ويجوز أن يكون المشورة مأخوذة من شرت الدابة إذا أجريتها لتعرف أمرها " [(2)]

"والشَّورَةُ والشَّارَةُ والشَّوْرُ والشِّيَارُ والشَّوَارُ : الحُسْنُ والجَمالُ والهَيْئَةُ واللِّباسُ والسِّمَنُ والزِّينَةُ واسْتَشارَتِ الا بِلُ وأخذَتْ مِشْوارَها ومَشارَتَها : سَمِنَتْ وحَسُنَتْ . والخَيْلُ شِيارٌ : سِمانٌ حِسانٌ . وَشَارَها شَوْراً وشِوَاراً وشَوَّرَها وأشَارَها راضَها أو رَكِبَها عند العَرْضِ على مُشْتَرِيها أو بَلاهَا يَنْظُرُ ما عندَها أو قَلَّبَها وكذا الأَمَةُ "[(3)] ويقولون:" المشورة مباركة فيبنونها على مفعلة ، والصواب أن يقال فيها مشورة على وزن مثوبة ومعونة كما قال بشار :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن * برأي لبيب أو نصيحة حازم

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة * فإن الخوافي قوة القوادم" [(4)]

تعريفها الاصطلاحي : إنّ تعريفات السلف للشورى تكاد تكون متوافقة وإن

([1]) أبو الحسن علي بن بسام – الذخيرة في محاسن الجزيرة –ج-3- د- تحقيق- إحسان عباس –دار الثقافة –بيروت -1417هـ 1997م ص-433

([2]) ابن منظور : لسان العرب – ج-4- دار صادر –بيروت – ب –ت- ط – - ص- 436

([3]) فيروز آبادي-: القاموس المحيط –ج1- مصدر سابق ص-539

([4]) القرطبي :الجامع لأحكام القرآن – ج-16-مصدر سابق –ص-34

اختلفت تعبيراتهم فقد عرفها الأصفهاني بأنها : " استخراج الرأي لمراجعة البعض للبعض " [1]

وقيل هي "استخراج الرأي "[2]

ومن ثم يمكن أن تعرف الشورى:بأنها استطلاع رأي الأمة ، أو من ينوب عنها في الأمور المتعلقة بها.وقيل هي :استطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق " [3]

وقد تعرض هذا التعريف للنقد على أساس أنه يصدق على نوعية خاصة في الشورى وهي الشورى الفنية الخاصة باستشارة أهل الرأي والخبرة في المسائل الفنية , ولكن الشورى كنظام للحكم أعم من هذا التعريف ؛ فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الراشدون من بعده كانوا يستشيرون عامة الناس في الأمور المتعلقة بهم , كما كانوا يستشيرون أهل الرأي والخبرة في بعض المسائل الخاصة ، كما كانوا يستشيرون كبار القوم الذين يمثلون جماعاتهم في أمور أخرى. وهذا الاعتراض لا مبرر له ، و لا يقوم على دليل ؛ فلم يثبت عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا الخلفاء من بعده أنهم قسموا المسلمين إلى فئات معينة وحددوا اختصاص كل فئة فيما تستشار فيه ."ويروى عن عمر بن الخطاب – رضي اللّه عنه – أنه قال : الرجالُ ثلاثة : رجلٌ ذو عقلٍ ورأيٍ ، ورجلٌ إذا حَزَبه أمر أتى ذا رأيٍ فاستشاره ، ورجل حائر بائر لا يأتمر رَشَدًا ولا يطيع مُرْشِدًا" [4]

وعلماء السلف والخلف عندما تكلموا عن رجال الشورى قالوا إنهم أهل الحل والعقد , وإنهم الذين يعرفون في الأمة بكمال الاختصاص والأوصاف والتجارب ... إلى غير ذلك. ويمكن أن يستنبط من التعريفات المتعددة للشورى بأنها : النظر في الأمور من أرباب الاختصاص والتخصص ؛ لاستجلاء المصلحة المفقودة شرعاً وإقرارها عرفا .

([1]) الألوسي: روح المعاني –ج-25-مصدر سابق –ص-46

([2]) أبو السعود:روح المعاني – ج-1مصدر سابق- ص- 231

([3]) د-عارف خليل – نظام الحكم في الإسلام – دار النفا ئث للنشر والتوزيع –-1416هـ 1996م – ص- 236

([4]) النيسا بوري –أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني –مجمع الأمثال –ج-1-تحقيق – محمد محي الين عبد الحميد- دار المعرفة –بيروت –ب-ت-ط-ص-52

وهذا الاستنباط يعم وينسحب على كل أمر تجري بشأنه مشاورة ، سواء على مستوى الأسرة , أو الدولة , أو المنظمات الداخلية , أو المنظمات الدولية التي نبراسها العام نظام الشورى، مثل منظمة المؤتمر الإسلامي , وجامعة الدول العربية , وجامعة الشعوب الإسلامية إلى غير ذلك، وينسجم من باب أولي على سلطة التشريع والرقابة "وإن كانت للباطل نزوة ، ولأهل الحق جولة يعفو لها الأثر وتموت السنن ــ فألزموا المساجد، واستشيروا القرآن، وليكن الإبرام بعد التشاور والصفقة بعد التناظر"[1]

حجية الشورى :

يقصد بحجية الشورى هو مدى ثبوت النص عليها في الشريعة الإسلامية، ولذلك يجب عند البحث عن أدلة الحجية الرجوع إلى المصادر الأصلية للتشريع الإسلامي وهما مصدران : القرآن الكريم، والسنة الشريفة ، وأدلة حجية الشورى في هذين المصدرين .حجية الشورى في القرآن الكريم :

القرآن الكريم حجة ويجب العمل بما ورد فيه من أحكام، ويجمع المسلمون على أنه قانون واجب الإتباع؛ والدليل على ذلك أنه نزل من عند الله تعالى، وأنه قد نقل إليهم من عند ربهم بطريق قطعي الثبوت لاشك في صحته . فبالبحث عن أدلة حجية الشورى في القرآن الكريم ، أي عن الآيات التي نصت على الشورى ــ يوجد مثل هذا النص في موضعين وآيتين شهيرتين، وان كان القرآن الكريم قد أشار إلى الشورى في بعض آيات أخرى .

أولاً : النص على الشورى في القرآن :ورد النص على الشورى في أربع آيات من سو القرآن الكريم :

الأولى البقرة (...وتشاور فلا...ا)والثانية :في سورة آل عمران والثالثة في سورة الشورى: والرابعة في سورة الطلاق(...وأتمروا بينكم...)وسأكتفي بما في سورتي آل عمران والشورى لنصهما صراحة على الشورى في الحكم .

يوجد النص على الشورى في هذه السورة: قال تعالى: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي

([1]) أحمد بن علي القلقشندي-صبح الأعشى في صناعة الإنشا –ج-1-تحقيق –د-يوسف علي طويل –دار الفكر – دمشق-1978م ص-257

الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين " [1] فقد أمر الله تعالى رسوله– عليه الصلاة والسلام –أن يشاور قومه في الأمر. وفي المشاورة فائدتان

الأولى : تأليف قلوبهم وإشاعة المودة بينهم نتيجة للمشاورة .

الثانية : تعويد المسلمين على هذا النهج في معالجة الأمور؛ لأن الرسول – عليه الصلاة والسلام – الأسوة الحسنة لهم , فإذا كان يلجأ إلى المشاورة فهم أولى أن يأخذوا بها ؛ولذا ذكر كثير من العلماء أهمية الشورى فقال :" ما كان يحتاج إليهم ولكن أحب أن يستن به من بعده قال أبو حاتم رضي الله عنه ــ المستشار مؤتمن وليس بضامن والمستشير متحصن من السقط متخير للرأي " [2]

وقال رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – " إن الله ورسوله غنيان عنها ولكن جعلها رحمة لأمتي فمن شاور منهم لم يعدم رشدا ومن ترك المشورة لم يعدم غبنا " [3]

"والمشورة من الحاجة لا من الغنى أمر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يستعين بمن ليس هو مثله وأن تبقى سنته سنة لمن هو بعده " [4]

في سورة الشورى :وفي هذه السورة دليل ثان على حجية الشورى ، والسورة نفسها حملت اسم (الشورى) إذ ورد ذكر الشورى في هذه الآية منها وهي قوله تعالى :"وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ " [5]

وفي هذه الآية يبين الله تعالى أن الشورى هي إحدى الدعائم الهامة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي وما حملت السورة هذا الاسم إلا لبيان العناية بالشورى والتنبيه إلى عظيم أهميتها .

([1]) سورة آل عمران الآية 159

([2]) ابن حبان - محمد بن حبان –روضة العقلاء –تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد –دار الكتب العلمية – بيروت- 1397هـ 1977م ص-191

([3]) أبو عبد الرحمن السلمي – آداب الصحبة –تحقيق مجدي فتحي السيد –دار الصحابة التراث –مدينة النشر - طنطا- مصر –1410هـ 1990م الطبعة الأولى –ص-71

([4]) أبو عبد الله حارث بن أسد المحاسبي –آداب النفوس –تحقيق – عبد القادر أحمد عطا –دار الجبل –بيروت – لبنان- 1984م ص-173

([5]) سورة الشورى الآية -38

وكذلك يوجد من يقول إن سورة (الشورى) إنما سميت بهـذا الاسـم ؛ لأنها السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي قررت الشورى عنـصراً مـن عناصـر الشخصية الإيمانية الحقة للمجتمع المسلم.

وقال تعالى:" وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُـورَى بَيْـنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ "[(1)] أي يتشاورون في الأمور، و كانت الأنصار قبل قدوم النبي – صلى الله عليه وسلم – إليهم إذا أرادوا أمرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به أي إنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم متفقون ، لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم ، قال الحسن : ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم ، وقال الضحاك : هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وورود النقباء إليهم حتى اجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به ، والنصرة له، وقيل : تشاورهم فيما يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم بخبر دون بعض ، وقال ابن العربي : الشورى ألفة للجماعة ، ومسبار للعقول ، وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم قط إلا هدوا . [(2)]

ولكل شيء مادة ومادة العقل التجربة والمشورة ، وقد أحسن الشاعر في قوله :

خليلي ليس الرأي في صدر واحـد * أشـيرا علي اليـوم ما تـريـان [(3)]

وقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ " نعم الموازرة المشاورة ، وبـئس الاستعداد الاستبداد ، الأحمق من قطعه العجب عن الاستـشارة ، والاسـتبداد عـن الاستخارة ، من شاور الأودّاء أمن من الأعداء، نصف رأيك مع أخيك فاستشره "([4])

مدح الله المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك؛ وقد كـان – النبي صلى الله عليه وسلم – يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب وذلك في الآراء الكثيرة ، ولم يكن يشاورهم في الأحكام ؛ لأنها منزلة من عند الله على جميـع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام من الكتـاب والـسنة ."والـذين

([1]) سورة الشورى الآية -38

([2]) ابن العربي : محمد بن أحمد بن أبي بكر- الجامع لأحكام القرآن _ تحقيق:محمد عبد القادر عطا - دار الفكر للطباعة - لبنان - د - ت - ط- ص- -24

([3]) أبوعلي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي –الأمالي في لغة العرب –ج-12-دار الكتب العلمية –بيروت –سنة النشر -1398هـ 1978م –ص-291

([4]) الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل –محاضرات الأدباء- ج-1- تحقيق -عمر الطباع –دار القلم –بيروت -1420هـ 1999م -ص-44

استجابوا لربهم" نزلت هذه الآية في الأنصار الذين دعاهم الله عز وجل للإيمان بـــه وطاعته ــ فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه وأقاموا الصلاة ، وأتموا الصلوات

الخمس ، وكانوا قبل الإسلام ، وقبل مقدم رسول الله – صلى لله عليه وسلم– إلى المدينة ــ إذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا، فأثنى الله عليهم، أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه، وعن الحسن قال: ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم ، ومعنى قوله: " وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ " أي ذوو شورى، وكذلك قولهم ترك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة شورى[1] وإذا كان النص على الشورى قد جاء بصيغة الأمر في سورة (آل عمران) في قوله تعالى : " وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ " ــ فإن النص عليها بالصيغة الخبرية أو الوصفية في سورة (الشورى) لا يمنع من ثبوت الدليل عليها ، وإنما جاء اختلاف صيغة النص عليها تبعاً للخصائص التي تميز السور المكية في القرآن الكريم عن سوره المدنية .

فسورة(الشورى) مكية النزول فيما عدا أربع آيات منها نزلت بالمدينة ، ليس من بينها هذه الآية التي تنص على الشورى، ويلاحظ أن ما نزل من آيات القرآن بمكة لم يتميز بطابع الأسلوب التشريعي ، ووضع الأحكام المحددة وذلك هو طابع الآيات المدنية , أما الآيات المكية فليس فيها شيء من التشريع التفصيلي ؛ بل معظم ما جاء فيها يرجع إلى المقصد الأول من الدين، وهو توحيد الله ــ سبحانه وتعالى ــ وإقامة البراهين على وجوده ،وذلك يؤدي إلى تربية القلب والوجدان، وأن الإيمان يسبق العمل ،ويؤدي إليه؛ ولهذا لا يستغرب إذا جاء النص على الشورى في هذه الآية كإحدى الصفات المميزة للمؤمنين , ومذكورة بين صفات أخرى يمتازون بها ، وواجبة فيهم؛ ثم إن ذكر الشورى جاء تالياً مباشرة لذكر الصلاة ، فإن من صفات

([1]) الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر – الكشاف – ج- 4 تحقيق عبد الرازق المهدي –دار إحياء التراث – بيروت –د-ط-ت-ص-233

المؤمنين أنهم ذوو شورى لا ينفردون برأي ، حتى يتشاوروا ،ويجتمعوا عليه ، وكانوا قبل الهجرة وبعدها إذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا .

ومما يذكر في ذلك الصدد ــ أيضاً ــ أن المؤمنين كانوا لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم ــ متفقون ولا يختلفون؛ فمدحوا باتفاق كلمتهم ... وأنه ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم ، وإن الشورى ــ كما قال ابن العربي ــ :"ألفة للجماعة ، ومسبار للعقول ، وسبب إلى الصواب ؛ فمدح الله المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين يتمثلون ذلك ويطبقون الشورى في سلوكهم " [1]

ثانياً: آيات عن الشورى في الرسالات السابقة :

ما يثبت حجية الشورى في القران الكريم ورد في آيتين نصتا على الشورى ، في سورتي (آل عمران) و(الشورى) وقد ورد ذكر الشورى في سورتين أخريتين بالنسبة للشرائع السابقة على الإسلام فيما ذكره الله تعالى:

في سورة (طه) : توجد إشارة إلى الشورى في قوله تعالى على لسان سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ :"وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًاإِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا [2]

وقد اُستشهد بهذا النص القرآني كدليل على أهمية المشاورة ــ فذُكر أن الله تعالى قد حكي عن نبيه موسى ــ عليه السلام ــ هذا القول بهذه الآيات ، ويفهم منه أنه إذا جاز ذلك في النبوة ــ كان في الإمامة من باب أولى .

وقد ورد في كتاب النسائي عن القاسم بن محمد : سمعت عمتي تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من ولى منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً أن نسى ذكره وإن ذكر أعانه [3] ومن هذا المعنى قوله: – عليه الصلاة والسلام – " ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه فالمعصوم من

([1]) ابن العربي : -الجامع لأحكام القرآن – مصدر سابق- ج-16- 24بتصرف

([2]) سورة طه الآية -29-35

([3]) النسائي – أحمد بن شعيب – المجتبي من السنن – تحقيق – عبد الفتاح أبو غدة – ج- 7- مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – الطبعة الثانية -1406هـ 1986م – ص-159

عصمه الله " [1]وقد سأل موسى ربه عز وجل أن يجعل له وزيرا يشاركه في الأمـــر وفي النبوة أيضاً .

في سورة(النمل) :

أورد القرآن الكريم في سورة (النمل)إشارة إلى صورة من صور الـــشورى في قصة ملكة سبأ في قوله تعالى : "قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْــرِي مَــا كُنــتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ " [2]

يقول تعالى ذكره : قالت ملكة سبأ لأشراف قومها" قَالَتْ يَــا أَيُّهَــا المَلَــأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي " تقول : أشيروا علي في أمري الذي قد حضرني من أمر صــاحب هذا الكتاب الذي ألقي إلي فجعلت المشورة فتيا ، وقو له: " قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون" ، تقول : ما كنت قاضية أمرا فــي ذلــك حتى تشهدون فأشاوركم فيه "[3]

وقد ذهب العلماء في تفسير هذا الآية إلى أن الملكة – بلقيس- ملكــة ســبأ طلبت من قومها أن يشيروا عليها في الأمر الذي نزل بما عندهم من الرأي فما كــان لها أن تمضي حكماً حتى يحضروا ويكونوا شاهدين.

حجية الشورى في السنة :

إذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي بلا خلاف ، فــإن الحديث الشريف أو السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن، وهي التي جاءت مفسرة ومتممة ومخصصة له.

فللسنة حجة على جميع المسلمين، وأصل من أصول تــشريعهم ودليــل مــن الأدلة الشرعية التي يجب الأخذ بها ، والعمل بمقتضاها، وهي بمعناها المعروف مــا أثر عن الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ من قول أو فعل أو تقرير، وتشتمل على نوعين من الأحكام : الأول : الأحكام البيانية المبينة لما ورد في القــرآن ، والثــاني الأحكام المؤسسة التي وردت فيما لم ينزل به نص قرآني .

وبالنسبة لمبدأ الشورى فإن السنة الشريفة ليست مقررة أو مؤسسة له ابتداء بــل جــاءت مثبتــة ومؤكــدة لمــا ورد عنــه بــالقرآن الكــريم .

([1]) البخاري: صحيح البخاري –شرح فتح الباري - ج- 11 –مصدر سابق- -ص-610

([2]) سورة النمل الآية 32

([3]) الطبري- -جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج- 9- مصدر سابق-ص -514

و ما يثبت حجية الشورى من السنة الشريفة يأتي ابتداءً كذكر السنة الفعلية ثم يعقب ذلك السنة القولية

1. السنة الفعلية :

حفلت السنة الفعلية بما يثبت أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – شاور أصحابه في عدة أمور وفي جملة المواقف ، وتوجد الكثير من الأمثلة على ذلك في كتب التاريخ، والتفسير، والحديث، وقد عبر عن ذلك أبو هريرة – رضي الله عنه – بقوله " لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم – .فكان يستشيرهم في الحرب وفي السلم، بل وفي خاصة أمره فقد روى عنه في حادثة الإفك قوله– عليه الصلاة و السلام :"أشيروا عليّ يا معشر المسلمين في قوم أبنوا أهلي (اتهموا بفعلة سوء) ورموهم "[(1)] واستشار علياً وأسامة بن زيد في فراق عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهذه بعض الأمثلة على أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام بالشورى[(2)]

1 . غزوة بدر :

كان عدد الذين خرجوا مع الرسول ـ عليه السلام ـ في بدر ثلاثة عشر ومئة رجلاً ، منهم سبعة و مئتين من الأنصار، وستة ومئة من المهاجرين ، وقد استشار الرسول – عليه الصلاة و السلام– أصحابه في ثلاثة مواقف بغزوة بدر : الأول قبل أن تبدأ المعركة ، والثاني أثنائها، والثالث بعد انتهائها – فلم يصدر إليهم الأمر بالحرب دون مشاورتهم، ولو فعل لوجد منهم الطاعة والإذعان، ولكنه استشارهم قبل الإقدام على القتال، وقد استشار المهاجرين، فقام أبو بكر الصديق فأحسن، ثم قام عمر فأحسن ، ولم يفته استشارة الأنصار أيضاً ؛ لأنهم كانوا قد تعاهدوا معه على الدفاع عنه ، وحمايته في المدينة فحسب ولذلك حرص على ألا يورطهم في حرب قد لا يريدونها ، وعندما طلب الرأي ـ قال سعد بن معاذ(سيد الأوس) ، بل سيد الأنصار (وكان فيهم كالصديق في المهاجرين) :"كأنك تريدنا ،

([1]) البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل- صحيح البخاري –شرح فتح الباري-مصدر سابق-ج-7-ص-539

([2]) ابن تيمية –أحمد بن عبد السلام –الصارم المسلول على شاتم الرسول –ج-1-تحقيق-محمد عبدا لله عمر الحلواني –ومحمد كبير أحمد شودري –دار ابن القيم –بيروت –الطبعة الأولى -1417هـ ص-54(وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله له مصنفات مفيدة وبالجملة كان سيدا علامة وعلما فهامة حافظ عصره بالاتفاق ومحدث إقليمه بلا شقاق توفي ليلة الاربعاء رابع عشر ربيع الآخر سنة **1147** وهو ابن أربعة أو ثلاثة وسبعين كذا قال قبل موته بأحد عشر يوما) -نيل الابتهاج -

والله يا رسول الله ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أشيروا عليَّ . فقال المقداد بن عمرو : إنا لا نقول لك كما قال أصحاب موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن ا ذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون

فقال رسول الله : أشيروا عليَّ . فلما رأى سعد بن معاذ كثرة استشارة النبي أصحابه فيشيرون فيرجع إلى المشورة ، ظن سعد أنه يستنطق الأنصار شفقا أن لا يستحوذوا معه على ما يريد من أمره ، فقال سعد بن معاذ : لعلك يا رسول الله ، تخشى ألا تكون الأنصار يريدون مواساتك ، ولا يرونها حقا عليهم إلا بأن يروا عدوا في بيوتهم وأولادهم ونسائهم ، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم : يا رسول الله ، فاظعن حيث شئت وخذ من أموالنا ما شئت ثم أعطنا ما شئت وما أخذته منا أحب إلينا مما تركت ، وما ائتمرت من أمر فأمرنا بأمرك فيه تبع فوالله لو سرت حتى تبلغ البركة من ذي يمن لسرنا معك. لما قال سعد ذلك ،قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سيروا على اسم الله فإني قد رأيت مصارع القوم فعمد لبدر " (1)

ثم أعلن تأييد الأنصار ومبايعتهم على القتال، وعند المعركة وعلى أرضها برزت صورة أخرى للشورى ؛إذ تقدم المنذر بن الحباب يعرض مشورته على الرسول ــ عليه الصلاة و السلام ــ فيما يتعلق باختيار المكان المناسب للنزول فيه وقد أقره الرسول على مشورته وعمل المسلمون برأيه .

"إن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما نزل دون بدر وأتاه خبر قريش استشار الناس ، فأشار عليه أصحابه ، ثم قال الحباب بن المنذر يا نبي الله ، أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه أم هو الحرب والمكيدة ؟ فقال : بل هو الحرب والمكيدة . قال: فإن هذا ليس لك بمنزل فانهض حتى نأتي أدنى قليب الى القوم فننزله ثم نغور. "(2)

"ومضى يبادر قريشا إلى الماء ، إذا جاء أدنى من ماء بدر نزل به ، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح ــ أحد بني سلمه ــ يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولانتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الحرب والرأي والمكيدة. قال: فإن هذا ليس بمنزل فانهض حتى نأتي أدنى قليب

---

(1) السيوطي :ــالدر المنثور ــج-4-مصدر سابق ــص-20

(2) ابن حبان : الثقات لابن حبان ــج-1-مصدر سابق ص-161

القوم فننزله ثم نغور ما سواه من القلب ثم نبنى حوضا فنملأه ثم نقاتل فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : قد أشرت بالرأي، ثم نهض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل وبني حوضا على القليب وقذفوا فيه الآنية ثم أمر بالقليب فغورت" (1)

وبعد انتصار المسلمين في بدر وحصولهم على الأنفال والأسرى من الكفار ــ احتاجوا إلى المشورة مرة ثالثة وقد استشار الرسول ــ عليه السلام ــ أبا بكر وعمر، فأشار أبو بكر بقبول الفداء من الأسرى، ووافق ذلك رأى الرسول ــ عليه السلام ــ أيضاً وخالفهما فيه عمر "،. أما علي بن أبي طالب فلم يعلن رأيه في هذا الأمر مع أنه أحد الثلاثة المستشارين ؛ ولعله آثر التريث حين رأى هذا الخلاف . وقد نزل بعد ذلك الوحي بعدم أخذ الفداء .

وعن أنس بن مالك قال قال: عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ : وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله ، هذا مقام إبراهيم لو اتخذناه مصلى ــ فأنزل الله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وقلت يا رسول الله ، لو حجبت نساءك فإنه يدخل عليك البر والفاجر ــ فأنزل الله آية الحجاب " وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب" ، وقلت في أساري بدر اضرب أعناقهم ؛ فاستشار أصحابه ــ فأشاروا عليه بأخذ الفداء ــ فأنزل الله " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ(2)

وهذا يدل على ممارسة الشورى في كثير من القضايا التي تعرض لهم في شئون حياتهم .

2. في غزوة أحد :

حين علم الرسول ــ عليه الصلاة و السلام- بقدوم قريش للقتال استشار أصحابه فيما يفعل، فأشار قوم منهم بلقاء قريش خارج المدينة ، وكان هذا رأي الشباب ، ومن لم يشهد بدراً وهم أكثر أهل المدينة ، وعلى رأس هذا الفريق حمزة بن عبد المطلب -عم النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وسعد بن عبادة ، والنعمان

---

(1) ابن حبان : الثقات لابن حبان - مصدر سابق -ص-162

(1) الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب -المعجم الصغير -ج-2-تحقيق: محمد شكور محمود الحاج – المكتب -الإسلامي -دار عمار -بيروت -الطبعة الأولي-1405هـ 1985م ص-11

بن مالك ــ رضي الله عنهم. أما الرسول- صلى الله عليه وسلم - فكان رأيه البقاء في المدينة ؛ وذلك لحصانتها الطبيعية ومناعتها وسهولة الإحاطة بالأعداء المهاجمين في أزقتها والانتفاع بمساعدة النساء والصبيان؛ وقد رأى البقاء بالمدينة ، كذلك أكابر المهاجرين والأنصار، وأرسل الرسول عليه -الصلاة و السلام -إلى عبد الله بن أبي بن سلول يستشيره ولم يكن استشاره من قبل ذلك؛ فكان رأيه أيضاً هو البقاء بالمدينة وانتظار قدوم قريش إليهم .واستشارة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لهذا المنافق دليل على استماع الرأي حتى من المخالفين لا للأخذ برأيهم ولكن لتشمل الشورى أكبر قدر من أفراد المجتمع . وقد حدث أن قَبِلَ الرسول عليه -الصلاة السلام- الرأي الأول ــ رأي الكثرة من الشباب، والمتحمسين للاستشهاد في المعركة ، وفي سبيل الله ، وقرر الخروج من المدينة وكانت موقعة (أُحُد) حيث فات المسلمون الأنصار، ومع ذلك فإن الله تعالى أمر الرسول عليه -الصلاة والسلام - في عقبها بأن يعفو عن المسلمين ، وأن يستغفر لهم وأن يشاورهم في الأمر حتى لا تكون هزيمة (أُحُد) سبباً مؤثراً في إغفال الشورى بعد ذلك.

و كانت سادا ت العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله نبيه أن يشاور أصحابه إكراما لهم فيكون أطيب لأنفسهم [1] "قال الحسن أن كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لغنيا عن مشورتهم ، وإنما أراد أن يستن بذلك الحكام بعده ، وقد شاور النبي ــ صلى الله علي وسلم ــ أصحابه في أسرى(بدر) وفي مصالحة الكفار يوم(الخندق) وشاور ابو بكرــ رضي الله عنه ــ الناس في ميراث الجدة ، وعمر في دية الجنين وشاور في حد الخمر ، وروي أن عمر كان عنده جماعة من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ منهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف ــ فإذا نزل به الأمر شاورهم فيه ، ولا مخالف في استحباب ذلك؛ قال أحمد : لما ولي سعد بن إبراهيم قضاء المدينة ــ كان يجلس بين القاسم وسالم ويشاورهما. وولي محارب بن دثار قضاء الكوفة فكان يجلس بين الحكم و حماد يشاورهما. ما أحسن هذا لو كان الحكام يفعلونه يشاورون وينتظرون؛ لأنه يتنبه بالمشاورة ويتذكر ما نسيه بالمذاكرة ؛ ولأن الإحاطة بجميع العلوم متعذرة

---

(1) ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أبي الفضل أحمد – العجاب في بيان الأسباب –ج-2-تحقيق عبد الكريم محمد الأنيس –دار ابن الجوزي –الدمام –الطبعة الأولى – 1997م –ص- 775

، وقد يتنبه لإصابة الحق ومعرفة الحادثة من هو دون القاضي فكيف بمن يساويه ؟ وقد روي أن أبا بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ جاءته الجدتان فورث أم الأم، واسقط أم الأب؛ فقال عبد الرحمن بن سهل: يا خليفة رسول الله ، لقد أسقطت التي لو ماتت ورثها ، وورّثت التي لو ماتت لم يرثها ، فرجع أبو بكر فأشرك بينهما ، وإذا ثبت هذا فإنه يُشاور أهل العلم والأمانة ؛ لأن من ليس كذلك لا قول له في الحادثة ولا يسكن إلى قوله؛ قال سفيان: وليكن أهل مشورتك أهل التقوى وأهل الأمانة، ويشاور الموافقين والمخالفين ، ويسألهم عن حججهم، ليبين له الحق والمشاورة ههنا لاستخراج الأدلة و يعرف الحق بالاجتهاد" (1)

3. صلح الحديبية : كذلك شاور الرسول عليه –الصلاة و السلام– يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين ويقتلهم ؛ فقال له أبو بكر الصديق : أنا لم نجيء لقتال أحد ، وإنما جئنا معتمرين ؛ فوافقه الرسول عليه –الصلاة و السلام– على رأيه هذا وعدل عما كان يراه .

2. السنة القولية :روى عن الرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عدة أحاديث يأمر بالشورى ، ويحث المسلمين على الأخذ بها ومن تلك الأحاديث ما يأتي :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها (2)

" والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب هذا ما لا خلاف فيه وقد مدح الله المؤمنين بقوله : " وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ " (3) قال أعرابي : ما غبنت قط حتى يغبن قومي قيل : وكيف ذلك ؟ قال لا أفعل شيئا حتى أشاورهم وقال ابن خويز منداد : واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وفيما أشكل عليهم من أمور الدين ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب

---

(1) ابن قدامة : أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي – المغني – ج- 10- دار الفكر بيروت – الطبعة الأولى : 1405هـ ص- 100الفقيه الزاهد شيخ الإسلام وأحد الأعلام المولود : في شعبان 541هـ بجماعيل المتوفى :620هـ بدمش له مؤلفات عديدة.

(2) أبو داؤود : ج-4- مصدرسابق –(كتاب الفتن عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باب – 78) رقم الحديث : 2266-ص- 529

(3) سورة الشورى الآية -38

ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها وكان يقال : ما ندم من استشار وكان يقال : من أعجب برأيه ضل.

الثالثة : قوله تعالى : " وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ " ([1]) يدل على جواز الاجتهاد في الأمور والأخذ بالظنون مع إمكان الوحي فإن الله أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أمر الله نبيه عليه السلام أن يشاور فيه أصحابه فقالت طائفة : ذلك في مكائد الحروب وعند لقاء العدو وتطييبا لنفوسهم ورفعا لأقدارهم وتألفا على دينهم وإن كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه روي هذا عن قتادة و الربيع و ابن إسحاق و الشافعي قال الشافعي : هو كقوله : والبكر تستأمر تطيبا لقلبها لا أنه واجب وقال مقاتل و قتادة و الربيع : كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يشاورهم في الأمر : فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم وأطيب لنفوسهم فإذا شاورهم عرفوا إكرامه لهم وقال آخرون : ذلك فيما لم يأته فيه وحي روي ذلك عن الحسن البصري و الضحاك قالا : ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل ولتقتدي به أمته من بعده وفي قراءة ابن عباس : – وشاورهم في بعض الأمر([2])

كذلك جاءت السنة الشريفة من حيث الحجية – مؤكدة ومقررة لما ورد عن الشورى في القرآن الكريم ، والأمر المهم أن السنة الشريفة ليست في اصطلاح الفقهاء من الأدلة الشرعية ، بل هي حكم من الأحكام الشرعية تقابل الفرض والواجب ؛ فهي صفة شرعية للفعل كالفريضة والوجوب ، والنصوص التي وردت عن الشورى سواء في القرآن الكريم ، أو في السنة الشريفة هي نصوص قطعية الدلالة لا تحتمل تأويلاً ؛ لأنها نصوص دلت على معنى يتعين فهمه منها ولا مجال لفهم معنى أخر منها . وإذا انعقد الإجماع على أن القرآن الكريم حجة واجبة العمل بما ورد فيه من أحكام وأنه قانون واجب الأتباع ــ فإن السنة هي أيضاً حجة على

---

(1) سورة آل عمران الآية -159

(2) سورة آل عمران الآية -159

جميع المسلين ، وأصل من أصول تشريعهم وهي المصدر الثاني المتفق عليـه بعـد القرآن الكريم .

وقد أحسن من قال:

شـاور سواك إذا نابتك نائبة * يوما وإن كنت من أهل المشورات

فالعين تلقى كفاحا من نأى ودنا * ولا تـرى نفسها إلا بمـرآة[1]

"وما استنبط الصواب بمثل المشاورة ولا حصنت النعم بمثل المواسـاة ولا اكتـسبت البغضاء مثل الكبر " [2]

الشورى في صدر الإسلام :

قد لا يكون من العبث أن يترك القرآن ، أحكامه عامة وكلية ، لا تتدخل فـي الجزئيات والتفصيلات إلا فيما ندر من آيات الأحكام ، فلعل في ذلك حكمة ؛ ليـتعلم أولو الأمر من بعد كيف تستنبط الأحكام المعللة بالمـصالح ، وانـه حيثمـا تكـون المصلحة فثم شرع الله ، وان الأحكام تُركت عامة غير مقيدة ؛ لتتمكن في كل زمـان ومكان من استيعاب المشاكل الطارئة والحلول المناسبة لها .فالمطلوب ــ حسب رأي ابن القيم الجوزية ــ أن تكون آية أحكام ، أو إيّ قرارات سياسية موافقـة لأهـداف ومبادئ الشرع ، لا مطابقة لما نص به الشرع فقط ، ونقل ابن القيم الجوزية عـن ابن عقيل مخاطباً لمن قال لا سياسة إلا ما وافق الشرع- "إن أردت لا سياسة إلا مـا نطق به الشرع ــ فغلط وتغليط للصحابة رضي الله عنهم [3]

وسيدنا عمر بن الخطاب أوقف تنفيذ حد السرقة في عام الرمادة ، ولم يعتبـر ذلك ــ يومها ــ مخالفاً مع وجود الحكم الصريح في القرآن القاضي بقطع يد السارق . وأنَّه أخَّر الصَّدقة عام الرَّمادَة فلمَّا أحيا الناسُ بَعَث عامِلَه فقال : اعْقِـل عـنهم عِقَالَيْن فاقْسم فيهم عِقَالاً وأْتِني بالآخر - يُريد صَدقة عامَيْن- [4]

([1]) إسماعيل بن محمد العجلوني –كشف الخفاء ج-2-تحقيق –أحمد القلاش –مؤسسة الرسالة –بيروت -1405هـ الطبعة الرابعة –ص- 242

([2]) أبو إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي –الأ ما لي في لغة العرب –ج-2-دار الكب العلمية –بيروت -1398هـ 1978م –ص-32

([3]) الشاطبي : إبراهيم بن موسى : الموافقات –ج- 3- تحقي : عبد الله دراز – دار الكتب العلمية – بيروت -1398هـ - 1978م- 336

([4]) ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن محمد – النهاية في غريب الحديث والأثر –ج-3- تحقيق- طاهر أحمد أحمد الزاوي – ومحمود محمد الطناحي –المكتبة العلمية بيروت -1399هـ 1979م ص-534

وفي مطلع القرن الماضي أكد رشيد رضا أنه في كل عصر يمكن فهم القرآن بما لم يفهمه به الأولون ، فكلام الله بحر لا ينضب، وعكس ذلك كما يفهم من كلامه هو جعل القرآن قاصراً وجامداً وهذا لا يجوز إطلاقا : ويفهم من هذا إلى أن جل الأحكام القرآنية هي عامة ومنها الشورى - التي هي موضوع البحث ـ فلم تحدد أشكالها ، ولم تصب في قالب ضيق ، إنما تركت للبيئة الملائمة لكل زمان ومكان ، لتحقق ذلك الطابع الشورى في حياة الأمة لا ليكون ذلك في قمة الدولة فحسب بل هي ، أي الشورى ، صبغة شاملة لكل جوانب الحياة العامة والخاصة ولا يشترط فيها الإجماع.

"عقد الإمامة لا يشترط فيه إجماع جميع أهل الحل والعقد في ذلك العصر ولكن إذا حضره من تيسر حضوره من أهل الحل والعقد كفى ذلك" [1] "ويثبتون خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باختيار الصحابة إياه ثم خلافة عمر بعد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ باستخلاف أبي بكر إياه ثم خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ باجتماع أهل الشورى" [2]

وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – ترك الخلافة شورى بين المسلمين ليقرروا بأنفسهم اختيار الخليفة، وبعد المشاورات والآراء المستفيضة تمت مبايعة أبى بكر الصديق من الحاضرين، وتتابع الغائبون بالمبايعة وأرضى من أخذ في نفسه" ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم يعني إلى علي والزبير ومن تخلف، وقال: والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما وليلة قط ، ولا كنت فيها راغبا، ولا سألتها الله في سر ولا علانية ، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمرا عظيما ما لي به طاقة ولا يدان إلا بتقوية الله ، ولوددت أن أقوى الناس مكاني عليها اليوم ، فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به.

وقال علي والزبير ما غضبنا إلا أنا أخرنا عن المشاورة ، وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ، إنه لصاحب الغار وثاني

([1]) أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد ـ الغنية في أصول الدين ـ تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ـمؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية ـبيروت ـ الطبعة الأولى -1978م ص-184

([2]) الإسماعيلي : أبوبكر أحمد بن إبراهيم ـ اعتقاد أئمة الحديث ـ تحقيق- محمد بن عبدا لرحمن الخميس-دار العاصمة ـالرياض- الطبعة الأولى -1412هـ -ص- 71

اثنين ، وإنا لنعرف شرفه وكبره ، ولقد أمره رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالصلاة بالناس وهو حي " [(1)]

استشارة المرأة في الإسلام :

وقد استشار- صلى الله عليه وسلم- أم سلمه في صلح الحديبية وصار دليل استشارة المرأة الفاضلة وكذلك قصة ابنة شعيب في أمر موسى على نبينا وعليه ا الصلاة والسلام.

"هلكت الرجال حين أطاعت النساء : (ضعيف) وقد ورد : لما بلغ النبي - صلى الله عليه وسلم-أن فارسا ملكوا ابنة كسرى قال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة . أخرجه البخاري في صحيحه والحاكم أيضا والحديث ليس معناه صحيحا على إطلاقه فقد ثبت في قصة صلح الحديبية من صحيح البخاري أن أم سلمه- رضي الله عنها أشارت على النبي -صلى الله عليه وسلم- حين امتنع أصحابه من أن ينحروا هديهم أن يخرج- صلى الله عليه وسلم- ولا يكلم أحدا منهم كلمة حتى ينحر بدنه ويحلق ففعل- صلى الله عليه وسلم- فلما رأى الصحابة ذلك ؛ قاموا فنحروا . ففيه أنه - صلى الله عليه وسلم-أطاع أم سلمه فيما أشارت به عليه فدل على أن الحديث ليس على إطلاقه . ومثله الحديث الذي لا أصل له : شاوروهن وخالفوهن " [(2)]

من هم أهل الشورى؟ :

تكلم علماء السلف عن أهل الشورى في سياق حديثهم عن الخلافة والإمامة ، باعتبارهم الهيئة المنوط بها اختيار الخليفة أو الإمام بعد توافر الشروط المعتبرة فيه ، أو عزله إذا أخل بإحداها ، ولم يتكلموا عنهم بصفتهم هيئة تشريعية وقد عبروا عن هذه الهيئة بهذه الصفة المحددة بتعبيرات مختلفة منها :

أهل الحل والعقد كما سماهم الماوردى محدد إياهم بشروطهم لا بفئاتهم . أهل الاجتهاد ، أهل الإجماع أو علماء الأمة القادرين على الاجتهاد والاستنباط

([1]) البيهقي : أحمد بن حسين البيهقي- الاعتقاد والهداية إلي سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث – تحقيق – أحمد عصام الكاتب –دار الآفاق الجديدة –بيروت –الطبعة الأولى -1401هـ ص-138

([2]) الألباني : محمد نصر الدين – السلسلة الضعيفة – ج-1- موضوع :طاعة المرأة ندامة مكتبة المعارف –الرياض – د- ت- ط- ص- 625

وبعض علماء السلف قد حاول تعيين الفئات التي تتكون منها هيئة الاختيــار (أهــل الشورى) ، ففقهاء الحنفية يعتبرونهم الأشراف والأعيان . [1]

ونقل الإمام القرطبي عن ابن عطية أنهم أهل العلم والدين ، ونقل عن ابــن خــويز منداد أنهم العلماء ووجوه الناس ووجوه الكتاب والــوزراء . [2]ويعتبــرهم الإمــام النووي العلماء والرؤساء ووجوه الناس . [3]"ولم يشترطوا في عقدها اجتماع مــن في المدينة من أهل الحل والعقد ، فضلا عن إجماع الأمة من علماء أمصار الإســلام ومجتهــدي جميــع أقطارهــا هــذا كمــا مــضى " [4]ولــم ينكــر علــيهم أحــد

أما فقهاء الإسلام المعاصرين فقد تكلموا عن أهل الشورى باعتبارهم الهيئة التي تنوب عن الأمة في مباشرة سلطات الــسيادة مــن اختيــار وتــشريع ورقابــة ويعرفونهم بتعريفات تتفق في المدلول وتختلف في التفصيل ، فالإمام محمــد عبــده يعرفهم بأنهم : علماء الأمة المجتهدون والأمراء والحكام ورؤســاء الجنــد وســائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم النــاس فــي الحاجــات والمــصالح لعامــة (

ويجب أن يكون في الأمة رجال أهل بصيرة، ورأي في سياســتها ومــصالحها الاجتماعية وقدرة الاستنباط يرد إليهم أمر الأمن والخوف وسائر الأمور الاجتماعيــة والسياسية وهؤلاء هم الذين يسمون في الإسلام أهل الشورى وأهــل الحــل والعقــد الذين يسمون عند الأمم الأخرى بنواب الأمة . وجعل سيدنا عمر ــ رضي الله تعــالى عنه ــ الشورى في ستة ؛ لانحصار الأمر فيهم كما يدل عليه قولــه لهــم : نظــرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم وقد قبض رســول الله ــ صــــــلى الله عليـــــه وســـــلم ــ وهــــو عـــــنكم راض " [5]

ويعرفهم الشيخ شلتوت بأنهم : أهل النظر الذين عرفــوا فــي الأمــة بكمــال الاختصاص في بحث الشئون وإدراك المصالح والغيرة عليهــا كأصــحاب القــضاء ، وقواد الجيش، ورجال المال والاقتصاد والسياسة وغيرهم من الــذين عرفــوا فــي

([1]) د: يحيى إسماعيل – منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم –دار الوفاء –المنصورة –الطبعة الأولى - 1406هـ 1986م ص 14بتصرف

([2]) القرطبي : ج-4 – مصدر سابق –ص- 240

([3]) النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف الدين بن مري النووي – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج –ج-12 دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية – 1393هـ -ص- 77

(3) الإيجي :عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد – المواقف -ج-3- تحقيق : د – عبد الرحمن عميرة –دار الجبل – بيروت –الطبعة الأولى -1997م ص-594

(4) الألوسي : أبو الفضل محمود الألوسي – روح المعاني – ج- 28 –مصدر سابق –ص-24

تخصصهم بنضج الآراء وعظيم الآثار وطول الخبرة والمران ، فهؤلاء هم أولو الأمر في الأمة ، وهم الذين يجب على الأمة أن تعرفهم بآثارهم وتمنحهم ثقتهـا و تنيـبهم عنها في نظمها وتشريعها والهيمنة على حياتها، وهم الوسيلة الدائمـة فـي نظـر الإسلام لمعرفة ما تسوس به الأمة أمورها فيما لم يـرد مـن المـصادر الـسماوية الحاسمة وهم أهل الإجماع الذين يكون اتفاقهم حجة يجب النزول عليها. (1)

وهم الحائزون على ثقة العامة الذين يطمئن إليهم الناس لخبراتهم وتـضحياتهم وقوتهم وهي تشمل العلم و العدل وإخلاصهم ونصحهم وأمانتهم وهـي تتمثـل فـي خشية الله وصدقهم وأهليتهم وتضمن مـشاركتهم فـي حـل قـضا يـا الأمـة . ولو أخذ بهذه الآراء لوجدت أنها أقرب إلـى الـصواب وأكثرهـا تحقيقـا للأهـداف المنشودة والتي ترمي إليها مرونة القواعد الشرعية والنصية والمستنبطة لمواءمـة الأزمان والبيئات ، والآراء التي توسع من دائرة أهل الحل والعقد بحيث تشمل وجوه الاختصاص في كل ناحية من نواحي الحياة المختلفة حتى تأتي هذه الهيئة من خيـار الأمة (2)

الشروط المطلوبة في أهل الشورى :

مما لاشك فيه أن أي مؤسسة من مؤسسات الدولة تستلزم نظمها أن تتوافر في أعضائها شروطاً معينة سواء من ناحية المؤهلات بضرورة اكتسابهم لأوصـاف معينـة أو مـن ناحيـة الكـم بتحديـدهم بعـدد معـين أو نـسب محـددة .

وفقهاء الشريعة الإسلامية لم يهملوا جانب المؤهلات بل ليس هنالك مبالغة لـو قيل إنهم أول من طالب بوجوب توافر شروط معينة في الحاكم الأعلى للدولة أو الوزراء ـ أهل الشورى وأصحاب القضاء والولاء إلى غير ذلك . وهم في ذلك قد أفاضوا القول وأحاطوا بكل الصفات الموضوعية التي لا يتأتي معها قصور أو نقـص ، ولكـنهم فـي جانب الكم جاءت أقوالهم مبهمة في سياق الكلام عن انعقاد الإمامة والعدد الذي تنعقد به مما لا يمكن معه الاستنتاج السليم في التحديد المطلوب لأهل الشورى .

شروط أهل الشورى من حيث المؤهلات : .

---

(1) الآمدي : علي بن محمد الآمدي – الإحكام في أصول الأحكام – ج-4-تحقيق : د- سيد الجميلي –دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى – 1404هـ ص- 244

(2) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم – مجموع الفتاوى – م – 28- مصدر سابق – ص-249

وقد يكون الماوردى هو أول من أوجب توافر شروط معينة في أهل الشورى في سياق حديثه عن اختيار الخليفة أو الإمام ، وهذه الشروط التي استلزمها تعتبـــر إجمالا جامعاً لتفصيل أورده من جاء بعده وذلك حيث يقول : أما أهل الاختيار

فالشروط المعتبرة فيهم ثلاثة ، العدالة الجامعة لـــشروطهم ، العلـــم الـــذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الـــشروط المعتبـــرة فيهـــا ، الـــرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعـــرف. (1)

وبهذه المواصفات تكون طاعتهم واجبة لسببين أولا أنهم ولاة الأمور وثانيـــا منا أي من المسلمين ، بشرط ألا يخالفوا نصوص القـــرآن والـــسنة ، وان يكونـــوا مختارين في آرائهم . وأن يكونوا من أهل العلم والبصر بأمور الدين والدنيا ، ومـــن ذوي الرأي والخبرة في نواحي الحياة المختلفة " ويستفاد منه انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان عارفا بجميع أمور الدنيا بتعليم الله تعالى له وإن لم يباشـــر ذلـــك " (2) ولخص ابن حجر العسقلاني الشروط في شرطين فقط :العلم والقبول عند الناس .

وينبغي أن يتصفوا بالأخلاق الدينية والثقافة العامة – وهذا التلخيص معيـــب خاصة فيما يتعلق بالثقافة العامة ؛ إذ يجب أن تكون التعبيـــرات محـــددة وموضـــحه والمقصود منها . ولقد عاب البعض على السلف إتيانهم بألفاظ مبهمة عند تحديـــدهم لفئات أو أوصاف أهل الشورى مثل – الرؤساء – ووجوه الناس – ويفهم من هذا أن التعميم قد يأتي بما لا يستحق . وهي مشكلة اجتماعية سياسية يتقرر فيهـــا الـــرأي أساس بناء على ما تقتضيه ظروف البيئة الاجتماعية والسياسية في زمان ما ومكان ما . وقد اعترض على هذا الرأي على أساس عدم التـــسليم بـــه علـــى إطلاقـــه لان العنصر الأخلاقي عنصر دائم في الإسلام.وأخيرا من كان رضا في أمر الـــدين فهـــو رضا في أمور الدنيا فيجوز أن يولى القضاء والإمرة علـــى الحـــرب وعلـــى جبايـــة الخراج (3) ولكن الشروط التي قال بها علماء المسلمين من المرونة بحيث تسري في

([1]) الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب – الأحكام السلطانية والولايات الدينية – دار الكتب العلمية – بيروت –د-ت-ط-ص- 6(من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف النافعة ومن أكبر فقهاء الشافعية وكان ذا علاقات مع رجال الدولة العباسية عمل بالتدريس والقضاء المولود :364هـ 975م بالبصرة المتوفى :450هـ) الأحكام السلطانية

([2]) ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي – فتح الباري شرح صحيح البخاري – ج-11-مصدر سابق – ص- 458

([3]) المصدر نفسه – ج-11 –ص-168

كل زمان ومكان إذ أنها تتمثل أساس العدالة التي هي الأخلاق الدينية الفاضلة والعلم بمتطلبات المهمة المنوطة بالعضو والرأي المفضي إلى اتخاذ القرار السليم . ومن ثم فإن لولاة الأمر أن يفصلوا هذه الشروط وان يزيدوا عليها دون أن يمسوا بجوهرها . فلهم اشتراط مؤهل معين أو بلوغ سن معينة أو غير ذلك . وأن علماء الشريعة الإسلامية لم يشترطوا نصاباً معيناً ، واستبعدوا غير المثقف لأنه يكون غير قادر على الاختيار ويرى البعض جواز أن يكون من بين أولي الأمر من هم على غير دين المسلمين خاصة من أهل الكتاب : لأنهم يستطيعون أن يكونوا خبراء أهل تخصص في كثير من فروع الأنشطة المختلفة كغيرهم من المسلمين وأما في الجهاد الاستعانة بالمشرك الموثوق به في أمر الجهاد جائز لأنه ليس كل مشرك عدو للمسلمين وإنما الممنوع المشرك المحارب لأن عينة الخزاعي كان كافرا وكانت خزاعة مع كفرها عيبة نصحه وفيه استحباب مشورة الجيش إما لاستطابة نفوسهم أو استعلام مصلحة [1]

ومع أن هذا الرأي قد استشهد بالقرآن الكريم الذي أحل لنا طعامهم وأباح لنا التزوج منهم ، إلا انه لايني الرأي على ما وصل إليه العصر الحديث من تقرير لحقوق الإنسان التي لا تأتي باختلاف الجنس أو اللغة أو الدين وان جاز أن يجاري هذا الرأي في النتيجة التي يرمي إليها لايؤخذ به على إطلاقه مع الأساس الذي اعتمد عليه لأنه لو سلم بان مبادئ حقوق الإنسان التي وصل إليها العصر الحديث هي التي تجيز لنا هذا الاستثناء لكان معنى ذلك – بمفهوم المخالفة – أن الشريعة الإسلامية لا تجيز هذا وإنما أخذ من غيرها وهذا ما يناقض روح الشريعة الإسلامية وسوابقها العملية فالتسامح الإسلامي الذي يكفل حرية الاعتقاد وحرية إقامة الشعائر والعبادات وإبداء الرأي والمساواة ، وهي جماع الأصول التي قامت عليها الديمقراطيات الحديثة وجاءت المبادئ التي تضمنها إعلان حقوق الإنسان ، قد سبق العمل بها في مراحل الخلافة الإسلامية ويترجح في كل عمل أهل الخبرة به والإجادة فيه وفيما وراء ذلك فالأصل المساواة. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن امرأة دخلت النار في هرة ربطتها فلم

([1]) ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي – فتح الباري شرح صحيح البخاري – ج- 8-مصدر سابق –ص-131

تدعها تصيب من خشاش الأرض ولم تطعمها ولم تسقها حتى ماتت [1] لأنهـا انتهكـت حقوق الحيوان فإذا كانت حقوق الحيوان محفوظة في الإسلام فحقوق الإنسان من بـاب الأولى ." فقد تولى كثير من المسيحيين المناصب الكبرى في العصر العباسي فتولـي أبو إسحاق الصابي منصب الكاتب (الوزير) وكان من أسمى المناصب ، كما كان نـصر بن هارون وزير عضد الدولة مسيحياً ، وتولى الأقباط المصريون فـي ظـل الحكومـة الإسلامية المناصب الكبيرة ومعظم الوظائف الإدارية ، ففي عصر عبد العزيز بن مروان كان هناك كاتبان أحدهما لإدارة مصر العليا أي الوجه القبلـي ، والآخـر لإدارة مـصر السفلى أي الوجه البحري ، كما تولى الأقباط مناصب ولاة الأقاليم فقد ذكر أن مـسيحياً تولى حكم الإسكندرية في عهد الخليفة يزيد [2]

وبذلك يمكن القول بان التسامح الإسلامي وسوابقه العملية التي ساعدت علـى انتـشاره ومكنت لحكمه في فتوحاته الواسعة يجيز أن يكون من بين أهل الشورى من هـم علـى غير ديننا من أهل الكتاب ماداموا مستوفين للشروط الأخرى وذلـك لأسـباب أهمهـا :

1. أنهـم يمثلـون نـسبة مـن المـواطنين لهـم مالنـا وعلـيهم مـا علينـا .
2. أنهم أهل خبرة وتخصص في كثير من نشاطات الحياة المختلفة كغيـرهم مـن المسلمين .
3. أن نسبتهم غالبـاً مـا تكـون ضـئيلة فـلا يخـشى منهـا فـي اتخـاذ قـرار .
4. أن ذلك يقطع ألسنة من يريدون تجريح الإسلام والنيل منه ، ويوصـدون الأبـواب أمام من يلتمسون أسانيدهم بعيدا عن روحه وأصوله

شروط أهل الشورى من حيث العدد :

تكلم علماء السلف عن أهل الشورى عند بحثهم للعدد المطلوب لصحة عقد الإمامـة من أهل الحل والعقد ، أو أهل الاختيار واختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامـة منهم على مذاهب شتى فقالت طائفة لا تنعقد إلا بجمهور أهل الحل والعقد من كل بلد ليكون الرضا به عاماً والتسليم لإمامته إجماعاً وهذا رأى مدفوع ببيعة أبـي بكـر الصديق –رضي الله عنه– على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر قدوم غائـب

([1]) أحمد بن حنبل : أبو عبدا لله الشيباني- مسند الإمام أحمد بن حنبل ج-2- مؤسسة قرطبة – القاهرة- ب-ت-ط- ص-507

([2]) آدم متز –الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري –مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر –القاهرة - 1377هـ - 1957م ص - 161

عنها . وقالت طائفة اقل ما تنعقد به الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقـدها أحدهم برضا الأربعة استدلالا بأمرين ، أحدهما : أن بيعة أبى بكر رضـي الله عنـه انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثم تابعهم الناس فيها وهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، وأسيد بن حضير ، وبشير بن سعد ، وسالم مولى ابن حذيفة .

والثاني : أن عمر رضي الله عنه جعل الشورى في ستة ليعقدها أحدهم برضا خمسة . وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة [1]

و قال آخرون من علماء الكوفة تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضا الاثنـين ليكونـوا حاكماً وشاهدين كما يصح عقد النكاح بولي وشاهدين . وقالت طائفة تنعقد بواحد لأن العباس قال لعلي رضوان الله عليهما امدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسـول الله- صلى الله عليه وسلم- بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان . و لأنـه حكـم وحكـم الواحد نافذ " [2].

وقد ذهب أبو بكر الأصم إلى أن الإمامة لا تنعقد إلا بإجماع الأمة عن بكرة أبيهم .

وهذا أيضا ما نقل عن هشام بن عمر القوطي الذي قال أن الإمامة لا تنعقد في أوقات الفتنة والخلاف . ويظهر مما حكاه ابن خلدون أن هذا كان رأي الصحابة الذين اعترضوا على مبايعة علي -رضي الله عنه - لافتراق باقي الصحابة أهل الحل والعقد بالآفاق ولم يحضر إلا قليل .وعند الشافعية أن اقل عدد يمكن أن تعقد به الإمامة أربعون قياساً على ما تصح به صلاة الجمعة.

ويمكن حصر آراء العلماء في الاتجاهات التالية :

اتجاه يرى أن اختيار الإمام لابد أن يكون بإجماع الأمة عن بكرة أبيها وهو بهذا يشبه الديمقراطية المباشرة .

واتجاه يرى أن الإمامة لا تنعقد إلا باتفاق أهل الحل والعقد من كل بلد وهـذا يـشبه الديمقراطية النيابية الحديثة وطريقة الإدلاء بالأصوات متروكة لحالـة المجتمـع . والاتجاه الثالث هو الذي يحاول تحديد أهل الاختيار بعدد محدد قياسـاً علـى بعـض العقود والأحكام .

([1]) ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر ج-1- تفسير القرآن العظيم- مصدر سابق – ص- 104

([2]) بن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي - لسان الميزان – ج-1-تحقيق : دائرة المعرف النظامية – الهند- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت - الطبعة الثالثة ، 1406هـ – 1986م ص-330

وقد انفرد الإمام مالك باعتبار أهل الحل والعقد هم أهل الحـــرمين مكـــة والمدينـــة . وحــــدهم القلانــــسي بعلمـــــاء الأمــــة الــــذين يحــــضرون موضــــع الإمــــام . وكل هذه الاتجاهات تنصب أساساً على أهل الحل والعقد باعتبارهم هيئة اختيار الإمام أو الخليفة .وتنوع هذه الاتجاهات إنما يدل دلالة قاطعة على ثراء الفقـــه الإســـلامي وشموله واتساعه بحيث تستطيع كل بيئة ويستطيع كل عصر أن يأخذا منه ما يناسب كل منهما خاصة فيما يتعلق بتنصيب الحاكم الأعلى للدولة.

والبيعة تؤخذ للتأكد ما مدى عزيمة الإنسان مما هو مقدم إليه أهو صابر محتـــسب أم ناقم مجبر ففي الأولى يتحقق إصلاح العزيمة وصدق النية

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[1] وقال تعالى: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُـسُّونَهُم بِإِذْنِـــهِ حَتَّـــى إِذَا فَـــشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِـــنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَـــا عَـــنكُمْ وَاللّـــهُ ذُو فَـــضْلٍ عَلَـــى الْمُؤْمِنِينَ " [2]

وفى الثانية يظهر فساد الضمير قال تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُـــمْ لاَ تُفْـــسِدُواْ فِـــي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ "[3] وبذا تصبح الـــشورى عـــاملا مـــن عوامـــل الإصلاح الذاتي باستظهار الرأي السديد لمصلحة الدين وقوام الدنيا .

([1]) البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل – صحيح البخاري –ج-1- تحقيق –د- مصطفى ديب البغا –مصدر سابق ص-2

([2]) سورة آل عمران الآية -152

([3]) سورة البقرة الآية -11

المبحث الثاني
تثبيت البيعة في الحديبية

البيع: إعطاء المثمن وأخذ الثمن، والشراء: إعطاء الثمن وأخذ المثمن، ويقال للبيع: الشراء، وللشراء البيع، وذلك بحسب ما يتصور من الثمن والمثمن. والاشتراء أخذ الشيء الثمن عوضا وهو الابتياع والشراء البيع يمد ويقصر ومنه وشروه بثمن بخس (1) وقال صلى الله عليه وسلم –: "لا يبيع أحدكم على بيع أخيه لا يبــع .... "(2)أي: لا يشتري على شراه.

ووأبعت الشيء: عرضته للبيع ، نحو قول الشاعر:الهمداني

فرضيت آلاء الكميت فمن يبع فرسا فليس جوادنا بمباع (3)

والمبايعة والمشارة تقالان فيهما، قال الله تعالى: " وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا " (4) وقال: " وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ "(5) ، وقال عز وجل: " لاَّ بَيْــعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ " (6) " يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ "(7) وبايع السلطان: إذا تضمن بذل الطاعة له بما رضخ له، ويقال لذلك: بيعة ومبايعة. وقوله عز وجــل:" فَاسْتَبْــشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " (8) إشارة إلــى بيعــة الرضــوان المذكورة في قوله تعالى: " لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْــتَ الــشَّجَرَةِ

([1]) شهام الدين أحمد بن محمد الهائم المصري –التبيان في تفسر غريب القرآن –تحقيق –د-فتحي أنور الدابولي-دار الصحابة للتراث –بطنطا –القاهرة –الطبعة الأولى -1992م ص-59

([2]) البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل –صحيح البخاري –ج-2- مصدر سابق -باب لايبيع على بيع أخيه ص-752

([3]) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق –إصلاح المنطق –تحقيق –أحمد محمد شاكر وعبد السلام –دار المعارف –القاهرة –د-ت-ط-ص-235

([4]) سورة البقرة الآية -275

([5]) سورة الجمعة -9

([6]) سورة إبراهيم -31

([7]) سورة البقرة الآية -254

([8]) سورة التوبة -111

فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا "(1) وإلى ما ذكر في قوله تعالى: " إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "(2) و البيعة الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة و البيعة المبايعة والطاعة وقد تبايعوا على الأمر كقولك أصفقوا عليه و بايعه عليه مبايعة عاهده و بايعته من البيع و البيعة جميعا و التبايع مثله (3)

عرف العلماء البيعة بتعاريف عدة منها : تعريف ابن خلدون"اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة "(4) . وهي الصفة علي إيجاب الطاعة لولي الأمر وعرفها بعضهم بقوله : البيعة التعاقد علي الإسلام وعرفت كذلك بأنها: أخذ العهد والميثاق والمعاقدة عي إحياء ما أحياه الكتاب والسنة , وإقامة ما أقامه وكان من هديه – صلى الله عليه وسلم – مبايعة أصحابه قبل خوض المعركة على الصبر والثبات حتى النصر أو الشهادة .

قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا " (5)
قال تعالى: "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا " (6)
وقد بوب الإمام مسلم في صحيحة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال.وأورد حديث عن جابر رضي الله عنه قال:" لم نبايع رسول الله –صلي الله عليه وسلم – على الموت وإنما بايعناه على ألا نفر "(7)

كما أورد سعيد بن منصور كانت الأنصار يوم الخندق تقول :

نحن الذين بايعنا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

(1) سورة الفتح الآية -18
(2) سورة التوبة الآية-111
(3) ابن منظور محمد بن مكرم –لسان العرب –ج-8-مصدر سابق –ص-26
(4) ابن خلدون –تأريخ ابن خلدون –ج-1-ص-534
(5) سورة الفتح الآية -10
(6) سورة الفتح الآية -18
(7) أبو الحسين مسلم بن الحجاج –صحيح مسلم – ج-2- مصدر سابق- ص-1483

فأجاب النبي – صلى الله عليه وسلم –

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة * فأكرم الأنصار والمهاجرة (1)

فهذه البيعة التي تمت قبل خوض المعركة لها الأثر الواضح في تثبيت قلوب الجند وتقوية عزائمهم على الجهاد وفيها تأكيد لثقتهم وطاعتهم لقيادتهم التي أخذت عليهم العهد والميثاق العظيم . "ولهذا كان الصحابة يبايعون النبي– صلى الله عليه وسلم– على طاعته والجهاد معه وذلك واجب عليهم ولو لم يبايعوه فالبيعة أكدته وليس لأحد أن ينقض مثل هذا العقد وكذلك مبايعة السلطان التي أمر الله بالوفاء بها " (2)

أما العهد والحلف : فقد كانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة ، مثل ما فعل بنو عبد مناف حين أرادوا أن يقاتلوا بني عبد الدار على من يقوم بحجابة البيت وسقاية الحج وغيرهما من أعمال السيادة بمكة .

روى محمد بن إسحاق العباسي الفاكهي أن بني عبد مناف أخرجوا جفنة مملوءة طيبا فوضعوها في المسجد عند الكعبة ، ثم غمسوا أيديهم فيها ، وتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم وسموا " المطيبين ". (3)

وأورد ابن عبد البر في أمر تجديد الكعبة : أن البنيان عندما بلغ موضع الركن اختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا وتحالفوا ، وأعدوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسموا " لعقة الدم" (4)

البيعة كمصطلح إسلامي:

والبيعة التي تعني صفق اليد على اليد، فهي كما أصبحت في لغة العرب علامة على وجوب البيع ، فقد أصبحت في الإسلام علامة على معاهدة المبايع للمبايع له أن يبذل

([1]) سعيد بن منصور الخراساني –سنن سعيد بن منصور ج-1-تحقيق –حبيب الرحمن ألأعظمي –الدار السلفية –الهند 1403هـ 1982م الطبعة الأولى-ص- 358

([2]) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم –مجموع الفتاوى –ج-33-مصدر سابق –ص-146

([3]) محمد بن إسحاق العباسي –أخبار مكة للفاكهي –ج-5- تحقيق د- عبد الملك عبد الله دهيش –دار خضر بيروت - 1414هـ الطبعة الثانية – ص- 176

([4]) ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله –الهيد لابن عبد البر -10 –تحقيق –مصطفى بن حمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري –وزارة عموم الأوقاف – المغرب -1387هـ ص-45

له الطاعة في ما تقرر بينهما ، ويقال : بايعه عليه مبايعة : عاهده عليه مبايعــة الله عــز وجل توثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه. (1)

وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَــسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا(2)

"وأخرج ابن مرديه عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن جده رضـــي الله عنه قال : كانت بيعة النبي- صلى الله عليه وسلم- حين أنــزل عليــه." إِنَّ الَّــذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ " فكانت بيعة النبي- صلى الله عليه وســلم- التـــي بـــايع عليها الناس البيعة لله والطاعة للحق وكانت بيعة أبي بكر رضي الله عنه : بـــايعوني ما أطعت الله فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم وكانت بيعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : البيعة لله والطاعة للحق وكانت بيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه : البيعــة لله والطاعة للحق.

وأخرج عبد بن حميد عن الحكم بن الأعرج رضي الله عنه يد الله فوق أيديهم قــال : أن لا يفروا وأخرج أحمد وابن مردويه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قــال : بايعنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم -على السمع والطاعة في النــشاط والكــسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلـــى أن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب فنمنعــه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة فمن وفى وفى الله له ومــن نكــث فإنما ينكث على نفسه" (3)

وبالاستقراء لسنة الرسول- صلى الله عليه وسلم - أنــه أخــذ عليــه- الــصلاة والسلام - البيعة من المسلمين ثلاث مرات على المشهور.

البيعة الأولى بيعة الإسلام هي بيعة العقبة الأولى :

كما أخبر عنها القرآن الكريم " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَـــى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَــأْتِينَ بِبُهْتَــانٍ

([1]) أبو السعود محمد بن محمد العمادي – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- ج-8- مصدر سابق ص-106

([2]) سورة الفتح الآية -10

([3]) السيوطي : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين -الدر المنثور-الناشر : دار الفكر - بيروت –ج-7- ت-ط-، 1993 ص-517

يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "(1)

فقد جاءت نسوة إلي الرسول صلى الله عليه وسلم – يبايعنه فشرط عليهن ما في هذه الآية فبايعن علي ذلك .

وثبت ذلك عن عبادة بن الصامت حيث قال : وافى موسم الحج من الأنصار اثنا عشر رجلا ممن أسلم منهم في المدينة وقال– رضي الله عنه – كنا اثنى عشر رجلا في العقبة الأولى فبايعنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على بيعة النساء أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فمن وفى فله الجنة ومن غشي من ذلك شيئا فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. (2) وسميت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى وقد أخذ الرسول– صلى الله عليه وسلم – البيعة في بيعة العقبة الأولى والثانية . وأخذها يوم الحديبية من الناس ، وأجمع المسلمون من عهد الصحابة إلى يومنا هذا على مشروعية طلب البيعة (3)

البيعة الثانية :هي بيعة العقبة الكبرى " عن أبي الزبير عن جابر قال مكث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم عكاظ ومجنة وفي المواسم يقول من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة فلا يجد أحدا يؤويه ولا ينصره حتى أن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر كذا قال فيه فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون احذر غلام قريش لا يفتنك ويمضي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ثم ائتمروا جميعا فقلنا حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب

---

(1) سورة الممتحنة الآية -12

(2) ابن حبان- محمد بن حبان بن أحمد –الثقات –ج-1-تحقيق –السيد شرف الدين أحمد –دار الفكر –بيروت –د-ت-ط- ص- 93

(3) د-عارف خليل أبوعيد –نظام الحكم في الإسلام _دار النفائس للطباعة والنشر –الأردن-ط الأولى -1416هـ 1996م ص-350

العقبة فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا يا رسول الله علام نبايعك قال تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة فقمنا إليه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم وفي رواية البيهقي وهو أصغر السبعين إلا أنا فقال رويدا يا أهل يثرب فانا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله وإن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وتعضكم السيوف فأما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله قالوا أبط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبدا قال فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة "(1)

والبيعة الثالثة :هي بيعة الرضوان : أو بيعة الشجرة في سنة سبع من الهجرة ، استنفر رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم – أصحابه للعمرة فخرج معه ألف وثلاثمائة ، أو ألف وستمائة ، ومعه سبعون بدنه ، وقال لست احمل السلاح ، إنما خرجت معتمرا واحرموا من ذي الحليفة ، وساروا حتى دنوا من الحديبية على تسعة أميال من مكة ، فبلغ الخبر أهل مكة فراعهم ، واستنفروا من أطاعهم من القبائل حولهم وقدموا مائتي فارس عليهم خالد بن الوليد و عكرمة بن أبي جهل استعد لهم رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم – وقال : إنَّ الله أمرني بالبيعة ، فاقبل الناس يبايعونه على ألا يفروا ، وقيل بايعهم على الموت ، وأرسلت قريش وفدا للمفاوضة فلما رأوا ذلك تهيبوا وصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

هذه ثلاثة أنواع من البيعة على عهد الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم – وهي :البيعة على الإسلام والبيعة على إقامة الدولة الإسلامية والبيعة على القتال والبيعة الثالثة تجديد للبيعة الثانية .

وبعد ترتيب البيعة لسيرة النبي _ صلى الله عليه وسلم_ وتاريخ دعوة الإسلام، يوجد ارتباطًا وثيقًا بين أحداثها ومجرياتها، وخير ما يشهد لهذه المقولة

([1]) ابن كثير إسماعيل بن عمر – البداية والنهاية – ج- 2-مكتبة المعارف –بيروت –د-ت-ط-ص- 158

بيعة الرضوان، إذ كانت ذات علاقة وثيقة بصلح الحديبية، وربما كانت سببًا مباشــرًا لهذا الصلح، الذي كان خيرًا للمسلمين، وفتحًا مبينًا للجماعة المؤمنــة. وفيمــا يلــي شيء من تفصيل مجريات وملابسات بيعة الرضوان، ذلك الحدث الجلــل فــي حيــاة الدعوة الإسلامية وتاريخها المجيد . ذلك أنه لما استقر أمــر المــسلمين بالمدينــة، وأسسوا دولتهم الفتية، وأخذت الأمور تسير إلى حد كبير لــصالحهم، بــدأت طلائــع الفتح الإسلامي، ورايات الدعوة الإسلامية تبدو شــيئًا فــشيئًا، وبــدأت التمهيــدات والاستعدادات لإقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم في المسجد الحرام، الذي كان قد صد هم عنه المشركون منذ ستة أعوام . وكان رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قد رأى في المنام، وهو بالمدينة، أنه داخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وآخذ مفتــاح الكعبة، وطائف بالبيت العتيق. فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا بهذه الرؤية فرحًا شديدًا، وتشوَّقت نفوسهم لتلك الساعة، وحسبوا أنهم داخلو مكة خلال وقت ليس بالبعيد .قال تعالى: " لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَــرَامَ إِن شَــاء اللَّــهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِــكَ فَتْحًا قَرِيبًا(1)

ثم إن رسول الله– صلى الله عليه وسلم –وعلى إثر تلك الرؤيا المبشرة، أخبر أصحابه أنه معتمر، وطلب منهم أن يأخذوا أهبة السفر، فتجهزوا لمــا أمــرهم بــه، واستخلف رسول الله– صلى الله عليه وسلم– على المدينة ابن أم مكتــوم . وخــرج قاصدًا مكة غرة ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، وصحبته فــي هــذا الــسفر زوجته أم سلمة رضي الله عنها، وكان عدد الذين خرجوا معه يريدون مكة قد قاربوا ألفًا وأربعمائة رجل، ولم يخرج معه أحد بسلاح المعركة، بل خرج الجميــع بــسلاح المسافر فحسب .

وكانت قريش لما سمعت بخروج النبي – صلى الله عليه وسلم– قد عقــدت جلسة طارئة، لبحث الموقف وتداعياته، وخرجت من تلك الجلــسة بقــرار جمــاعي، حاصله صد المسلمين عن البيت الحرام كيفما كان، ومهما كلفها ذلك من ثمن . ثم إن

---

(1) سورة الفتح الآية -27

قريشًا بدأت خطواتها التنفيذية، وإجراءاتها العملية لمواجهة الموقف؛ بإرسال الرسل للمفاوضة مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عسى أن تثمر تلك المفاوضـــات عن ثنيه و عزمه وقصده من دخول البيت الحرام .

ولما رأى شباب قريش الطامحون إلى الحرب، رغبة زعمائهم في الصلح، فكروا في خطة تحول بينهم وبين الصلح، وأخذوا زمام المبادرة، إذ إن الموقف – حسب منطق هؤلاء – لم يكن يحتمل المفاوضة، ولا يتسع للأخذ والمنـــاورة، فقـــرروا – حـــسمًا للموقف – أن يخرجوا ليلاً، ويتسللوا إلى معسكر المسلمين، ويحدثوا أحداثًا تشعل نار الحرب، وتؤجج سعير المعركة. وفعلاً قاموا بتنفيذ هذا القـــرار، واتخـــذوا خطـــوات عملية وميدانية في هذه الاتجاه، فخرج منهم سبعون أو ثمانون رجلاً ليلاً، وهبطـــوا من جبل التنعيم، وحاولوا التسلل إلى معسكر المسلمين .

بيد أن عيون المسلمين كانت لهم بالمرصاد، فحالما تسلل أولئـــك النفـــر إلـــى المكان الذي كان ينـــزل فيه المسلمون اعتقلوا جميعًا، وفشلت محاولتهم التي كـــانوا يرمون إليها، وأخذوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ليقرر في أمـــرهم مـــا يراه مناسبًا للموقف . ورغبة منه –صلى الله عليه وسلم –في الصلح، وتمشيًا مـــع القصد الذي خرج –صلى الله عليه وسلم –لأجله، فقد أطلـــق سراحهم وعفا عنـــهم، وفي ذلك أنزل الله قوله الكريم: "وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا "(1)

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يبلغ قريـــشًا موقفـــه وهدفـــه وغايته من هذا السفر؛ فعزم على أن يبعث إليها سفيراً يؤكد لها موقفه ذلك، فانتـــدب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليرسله إليهم، فاعتذر عمر رضي الله عنه قائلاً: يـــا رسول الله، ليس لي أحد بمكة من بني عدي بن كعب ، يغضب لي إن أوذيت، فأرسلْ عثمان بن عفان ، فإن عشيرته بها، وإنه مبلِّغ ما أردت. فدعا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– عثمان– رضي الله عنه– وأرسله إلى قريش، وقال: أخبرهم أنا لم نأتِ لقتال وحرب، وإنما جئنا عُمَّارًا – أي: نبتغي العمرة – وادعهم إلى الإسلام، وأمـــره

---

(1) سورة الفتح الآية -24

أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات، فيبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفي فيها أحد بالإيمان . فانطلق عثمان- رضي الله عنه - لما وجَّهه إليه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأتى قريشًا، وبلَّغ زعماءها الرسالة التي حمَّله إياها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فلما فرغ من إبلاغ رسالته، عرضوا عليه أن يطوف بالبيت، فرفض هذا العرض، وأبي أن يطوف إلا مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم . فلما رأت قريش هذا الموقف من عثمان - رضي الله عنه- وهو موقف لم يَرُقْ لها بحال، لجأت إلى أسلوب الضغط والتهديد، فاحتبست عثمان عندها - ولعلها أرادت من وراء هذه الخطوة، أن تتشاور فيما بينها في الوضع الراهن، وتبرم أمرها. أو لعلها أرادت أن تتخذ من عملية اعتقال عثمان- رضي الله عنه- ورقة ضغط في وجه المسلمين - وأشاعت خبر ذلك بين المسلمين، وطال احتباس عثمان- رضي الله عنه - حتى شاع بين المسلمين أنه قتل. فلم بلغ خبر تلك الإشاعة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال:- لا نبرح حتى نناجز القوم - ثم دعا أصحابه إلى البيعة، فثاروا إليه يبايعونه على ألا يفروا، وبايعته جماعة على الموت، وأول من بايعه أبو سنان ألأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع على الموت ثلاث مرات، في أول الناس ووسطهم وآخرهم، وأخذ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بيد نفسه وقال: (هذه عن عثمان). ولم يتخلف عن هذه البيعة إلا رجل من المنافقين يقال له: جَدُّ بن قَيْس . وهذا بمثابة نموذج لنكث العهود والمواثيق . (1)

وقد ذكر القرآن الكريم خبر هذه البيعة، ومدح أصحابها، ورضا الله عنهم، قال تعالى" لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا"(2)

ولأجل ما ذكر الله، سميت هذه البيعة (بيعة الرضوان) وقد أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه البيعة من صحابته رضوان الله عليهم تحت شجرة،

([1]) حافظ بن أحمد حكمي – معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول –ج-3-تحقيق- عمر بن محمود - دار ابن القيم –الدمام –الطبعة الأولى -1410هـ 1990م –ص-1164

([2]) سورة الفتح الآية-18

وكان عمر -رضي الله عنه- آخذًا بيده، و مَعْقِل بن يسار آخـذًا بغـصن الـشجرة، يرفعه عن رسول الله_ صلى الله عليه وسلم _ .

وقد ذكرت كتب السيرة خبر هذه البيعة بطرق متعددة، وبألفاظ متقاربة؛ مـن ذلك ما رواه الطبري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: بينما نحن قافلون من الحديبية، نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم: أيها الناس، البيعة البيعـة ! نـزل روح القدس. قال: فسرنا إلى رسول الله، وهو تحت شجرة سمرة، قال: فبايعناه، قال: وذلك قول الله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَـا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا"(1)

فأخبر سبحانه نبيه أنه قد رضي عن أصحابك المؤمنين، لمبايعتهم إياك على الجهاد، ومواجهة قريش في موقفها العنيد، وعلى أن لا يفروا ولا يولـوهم الأدبـار، مهما كلفهم ذلك من التضحيات . وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجل يقال له أبـو سنان ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله أبسط يديك حتى أبايعـك، فقال: على ماذا، قال: على ما في نفسك، قال: وما في نفسي، قال: الفتح أو الشهادة. فبايعه، وكان الناس يجيئون فيقولون: نبايع على بيعة أبي سنان . (2)

"عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم -زيـاده على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمـر أهلـه وأن نقوم بالحق حيثما كنا ولا نخاف في الله لومة لائم " (3)

قال ابن اسحاق صاحب السيرة: فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلا الجد بن قيس ، أخو بني سلمة، قال: كان جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول: لكأني أنظر إليه، لاصقًا بإبط ناقته، قـد ضبأ (أي: لصق بها واختبأ) إليها، يستتر بها من الناس .

---

(1) سورة الفتح الآية-18

(2) الطبري -أبو جعفر محمد بن جرير- تأريخ الأمم والملوك -ج-1-دار الكتب العلمية -بيروت -الطبعة الأولى -1407هـ ص-121

(3) الخلال -أحمد بن محمد بن هارون -السنة للخلال -ج-1-تحقيق -د-عطية الزهراني -دار الراية - الرياض- الطبعة الأولى -1410هـ ص-97

ولما تمت البيعة المرضية، رجع عثمان رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له بعضهم: اشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت؟ فقال: بئس ما ظننتم بي، والذي نفسي بيده لو مكثت بها سنة ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – مقيم بالحديبية ما طفت بها، حتى يطوف بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم – ولقد دعتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت، فقال المسلمون: رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان أعلمنا بالله، وأحسننا ظنًا .

وقد ثبت في صحيح الحديث – ناهيك على ما جاء في القرآن – الشهادة بالجنة لجميع من شهد بيعة الرضوان عام الحديبية؛ فعن أم مبشر رضي الله عنها: أنها سمعت النبي–صلى الله عليه وسلم –يقول عند حفصة رضي الله عنها: " لا يدخل النار – إن شاء الله – من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها ، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة :" وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا " (1) فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– قد قال الله عز وجل: " ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا " (2) " لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة " (3)والسابقون الأولون، من أدرك بيعة الرضوان. وقد وعد سبحانه هؤلاء بالجنة، قال الله تعالى: " وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (4) وعلى العموم، فإن وقائع هذه البيعة تفيد العديد من العبر، ويُستنتج منها الكثير من الفوائد، وهذا بعض من فوائدها .

صحة إيمان الذين بايعوا النبي– صلى الله عليه وسلم– بيعة الرضوان، وصدق بصائرهم, وأنهم كانوا مؤمنين على الحقيقة أولياء لله; إذ من غير الجائز أن يخبر الله برضاه عن قوم بأعيانهم، إلا وباطنهم كظاهرهم في صحة البصيرة، وصدق الإيمان, وقد أكد ذلك المعنى سبحانه، بقوله: " فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ

---

(1) سورة مريم الآية -71

(2) سورة مريم الآية -72

(3) أحمد بن حنبل الشيباني _الفتح الرباني _دار إحياء التراث العربي _بيروت –ج-21-ب-ت-ط-ص-108

(4) سورة التوبة الآية- 100

عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا "(1) وهذا يدل دلالة واضحة على أن التوفيق والتسديد والتأييد مصاحب وملازم لمن صَدَق النية مع الله, وهذا ملاحظ في معنى قوله تعالى: " إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا "(2)

كانت تلك البيعة مقدمة وتمهيدًا وسببًا مباشرًا لإبرام صلح الحديبية، ذلك الصلح الذي كان فتحًا مبينًا، وكسبًا عظيمًا للمسلمين. فعندما علمت قريش بتلك البيعة، ومدى صلابة المسلمين في موقفهم، وقوتهم، وصبرهم، وثباتهم مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- علمت أن ذلك هو الحق، فأرسلت إلى المسلمين فريقًا للتفاوض معهم، وإبرام الصلح .

ومما يستفاد من هذه الحادثة قوة العلاقة والترابط والتلاحم بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الكرام؛ إذ إنهم بايعوه على الثبات والمصابرة وعدم التولي، ومواجهة الموقف بكل ما يقتضيه من إيمان وإخلاص؛ يتجلى ذلك في سرعة استجابة الصحابة لما دعاهم إليه رسول الله، ومسارعتهم لتلبية متطلبات ومستحقات الإيمان بالله، وبرسالة نبيه عليه -الصلاة والسلام – إن الصدق في الإيمان سبيل إلى تحصيل رضا الرحمن أولاً، وهو طريق أيضًا لحصول نصره وتأييده " وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ "(3)

على أن من الدلالات المهمة في هذه البيعة، والتي تدل على كل ما سبق وتدعمه، ما يستفاد من مواقف الصحابة-رضوان الله عليهم- من رسولهم- صلى الله عليه وسلم- فيما ذكره أصحاب السِّيَر من أن عروة – وهو أحد أعضاء وفد قريش، الذين ذهبوا للمفاوضة والمصالحة – وكان قد رجع إلى أصحابه يصف لهم ما رأى، قال: أي قوم !! والله لقد وفدت على الملوك، على كسرى و قيصر والنجاشي ، والله ما رأيت ملكًا يعظمه أصحابه، ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إن تنخَّم نخامة، إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما

---

(1) سورة الفتح الآية- 18
(2) سورة النساء الآية- 35
(3) سورة الحج الآية -40

يحدّون إليه النظر تعظيما له. وفي فعل الصحابة هذا على ما وصف عروة ما يدل على أنه لا إيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم دون محبة له، وأن هذه المحبة ليست معنى عقلانيًا مجردًا، وإنما هي أثر ملموس، وسلوك مشهود، يستحوذ على القلب، فيطبع صاحبه، بمثل الطابع الذي وصف به عروة بن مسعود أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومما يتصل بهذا الحدث، ويحمل من الدلالة ما يحمل، حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في "الصحيحين" عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –يوم الحديبية: " أنتم خير أهل الأرض " قال جابر – وكان قد كفَّ بصره ولو كنت أبصر اليوم، لأريتكم مكان الشجرة .

وقد قُطعت هذه الشجرة ونسي مكانها، وكان في ذلك خير للمسلمين؛ إذ لو بقيت إلى اليوم، لشُدت إليها الرحال، ولضُربت عليها القباب، ولظن الناس فيها الظنونا، ولربما كانت قِبلة لبعض الجهَّال، ولكن الله " وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ" (1) وذلك لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان قد استنفرهم للعمرة . وبعد تبدل الحالة من العمرة إلى القتال ، كانت الحالة الحادثة مخالفة للعمل الذي استنفرهم له وخرجوا من أجله ، فكأنه كان مخالفا لما عاهدهم عليه ، فلذلك احتاج إلى اخذ البيعة للقيام بالعمل الجديد ، وفعل ذلك وأعطى ثمره في إرعاب أهل مكة ، وحصول النتيجة المطلوبة ويمكن ختام ما ورد بإرادست روايات وردت في البيعة وطاعة الإمام :

روى ابن عمر قال : كنا نبايع رسول الله – صلي الله عليه وسلم – على السمع والطاعة ثم يقول لنا : " فيما استطعت " . (2) وفي رواية ، وقال علي : " ما استطعتم ". وفي رواية ، وقال جرير، قال قل : " في ما استطعت ".

وروى الهرماس بن زياد قال : مددت يدي إلى النبي –صلي الله عليه وسلم– وإنا غلام ليبايعني فلم يبايعني. وعن ابن عمر قال : قال رسول الله – صلي الله عليه

---

(1) سورة يوسف الآية -21

(2) أبو الحسين مسلم بن الحجاج –صحيح مسلم –ج-3- مصدر سابق- ص- 1483

وسلم –" على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " (1)

وعن ابن مسعود قال : قال : " سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها فقلت : يا رسول الله إن ادر كتهم كيف أفعل ؟ قال : " تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل ؟ لا طاعة لمن عصى الله " (2)

وعن عبادة بن الصامت في حديث طويل آخره : " فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى فلا تعتلوا بربكم ". وفي رواية : " لا تضلوا بربكم .."(3)

ويتضح من دراسة البيعة في سنة الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – إن للبيعة ثلاثة أركان :

أ – المبايع .

ب – المبايع له .

ج – المعاهدة على الطاعة للقيام بعمل ما .

وتقوم البيعة أولا على تفهم ما يطلب الطاعة على القيام به ، ثم تنعقد المعاهدة بضرب يد المبايع على يد المبايع له بالكيفية الواردة في السنة ، والبيعة على هذا مصطلح شرعي ، غير إن شروط تحقق البيعة المشروعة في الإسلام غير واضحة لكثير من المسلمين اليوم وتنعقد البيعة في الإسلام إذا توفر فيها الشروط الثلاثة التالية :

أ – أن يكون المبايع ممن تصح منه البيعة ، ويبايع اختياريا .

ب – أن يكون المبايع له ممن تصح مبايعته .

ج – أن تكون البيعة لأمر يصح القيام به .

وعلى ما ذكر لا تصح البيعة من صبي أو مجنون ، لأنهما غير مكلفين بالأحكام التكليفية في الإسلام ، ولا تنعقد بيعة المكره ؛لأن البيعة مثل البيع فكما لا ينعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهرا ودفع الثمن له ، كذلك البيعة لا تنعقد بأخذها بالجبر وفي ظل السيف.

---

(1) مسلم –ج-3- مصدر سابق-(كتاب الإمارة – باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية رقم الحديث :1469- ص- 1469

(2) ابن ماجة . أبو عبد الله محمد بن يزيد –سنن ابن ماجه –ج-2-تحقيق-محمد فؤاد عبد الباقي –دار الفكر –بيروت د-ت-ط- (افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم – باب لاطاعة في معصية الله) ص956

(3) أبو عبد الله أحمد بن حنبل –مسند أحمد بن حنبل –ج-5-مؤسسة قرطبة – القاهرة –د-ت-ط-رقم الحديث : 22821 ص-329

وحسبما تقدم, فإن البيعة في واقع أمرها تصح في بـــاب النبـــوة والإمامـــة أو الخلافة كما جاء في الحديث الشريف: "من مات وليس في عنقه بيعـــة مـــات ميتـــة جاهلية "(1) كما أنه لا بيعة في معصية الله لما وردعـــن النبـــي – صـــلى الله عليـــه وسلم– قال " السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" (2) . فلا سمع ولا طاعة للإمام ولا غيره فـــي معصية الله ومعصية رسوله – صلى الله عليه وسلم _

فالبيعة أسلوب من أساليب الإصلاح اتخذه النبي – صلى الله عليه وســـلم – لتثبيـــت القلوب والأفئدة والثبات على المبادئ مقابل الجنة التي عرضها الـــسماوات والأرض وكذلك التأكد من المعنيين علي الإقدام والطاعة إذا أ مروا به فـــإن اســـتجابوا تأكـــد صلاح قلوبهم وأفئدتهم .

([1]) مسلم –ج-3-–مصدر سابق(كتاب الإمارة – باب –وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة) رقم الحديث: 1851 –ص-1478

([2])البخاري : ج-6- مصدر سابق (كتاب الأحكام – باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية) رقم الحديث : 6-ص-2612

المبحث الثالث
حكم الوفاء بالعهد والميثاق

دلت الآيات والأحاديث على وجوب الوفاء بالعهد والميثاق، وبيّنت شناعة جرم من نقضهما، أو أخل بهما، وقد يصل الإخلال بهما إلى الكفر كما حدث لبني إسـرائيل وغيرهم.تؤكد الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب احترام العهود والوفاء بالمواثيق.

أولا: الآيات:

قال تعالى:" وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ " (1)

"وقال الزجاج في تفسير هذه الآية : " وأوفوا بعهدي " الذي عهدت إليكم في التوراة من اتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ــ " أوف بعهدكم " بما ضمنت لكم على ذلك إن أوفيتم به فلكم الجنة وقيل : " وأوفوا بعهدي " في أداء الفرائض على السنة والإخلاص " أوف " بقبولها منكم ومجازاتكم عليها ، وقال بعضهم : " أوفوا بعهدي " في العبادات ــ " أوف بعهدكم " أي أوصلكم إلى منازل الرعايات، وقيل : " أوفوا بعهدي " في حفظ آداب الظواهرــ " أوف بعهدكم " بتزيين سرائركم وقيل : هو عام في جميع أوامره ونواهيه ووصاياه فيدخل في ذلك ذكر سيدنا محمدا- صلى الله عليه وسلم -الذي في التوراة وغيره، هذا قول الجمهور من العلماء وهو الصحيح. وعهده سبحانه وتعالى هو أن يدخلهم الجنة" (2)

وقال سبحانه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ "(3)

"واختلفوا في المراد بالعهود هاهنا على خمسة أقوال:

أحدها أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيما أحل وحرم وهذا قول ابن عباس ومجاهد

والثاني : أنها عهود الدين كلها قاله الحسن

والثالث : أنها عهود الجاهلية وهي الحلف الذي كان بينهم قاله قتادة.

---

(1) سورة البقرة الآية -40

(2) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح - الجامع لأحكام القرآن—مصدر سابق –ج-1-ص-370

(3) سورة المائدة الآية -1

والرابع: أنها العهود التي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن جريج وقد ذكرنا عنه أن الخطاب للكتابيين

والخامس: أنها عقود الناس بينهم من بيع ونكاح أو عقد الإنسان على نفسه من نذر أو يمين وهذا قول ابن زيد " (1)

وقال: " وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا" (2) يعني ما عهد إليكم من ملازمة العدل وأحكام الشرعة على مراد الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

وقال "فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ " (3) يقول : أجلهم الذي شرطتم لهم(4)

وقال : وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ"(5)

"يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ " وقيل كل أمر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله : "إذا عاهدتم " وقيل النذور وقيل الإيمان بالله "ولا تنقضوا الأيمان " ولا تنقضوا إيمان البيعة بعد توكيدها أي بعد توثيقها باسم الله " (6)

وقال: " فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً " (7)

وفي سورة الرعد: " الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ " (8)

وفي الإسراء: " وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً " (9)

وفي الأحزاب: " وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً" (10)

---

(1) ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن محمد - زاد المسير في علم التفسير – ج-2 المكتب الإسلامي – بيروت - الطبعة الثالثة ، 1404هـ ص-267

(2) سورة الأنعام الآية -152

(3) سورة التوبة الآية -4

(4) الشوكاني : محمد بن علي الشوكاني -فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير –مصدر سابق-ج-2-ص-491

(5) سورة النحل الآية -91

(6) الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر –الكشاف –ج-2-تحقيق-عبد الرازق المهدي –دار إحياء التراث –بيروت –د-ت-ط-ص-268

(7) سورة المائدة الآية -13

(8) سورة الرعد الآية -20

(9) سورة الإسراء الآية -24

(10) سورة الأحزاب الآية -15

مطلوبا مقتضى حتى يوفي به وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازي عليه" (1) وكل هذه النصوص القطعية المتواترة تفيد الوفاء بالعهد .وفي تفسير هذه الآية الكريمة : " الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ " (2) " ، " فعليكم بوفاء العهد ولا تنقضوا هذا الميثاق فإن الله تعالى قد نهى وقدم فيه أشد التقدمة ؛ فذكره في بضع وعشرين موضعا نصيحة لكم، وتقدمة إليكم وحجة عليكم وإنما يعظم الأمر بما عظمه الله به عند أهل الفهم والعقل فعظموه ما عظم الله ، قال قتادة : وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته : لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له " (3) هذه الآيات وبعض شروحها تبين أهمية الوفاء بالعهد، ويفسر الإمام البيضاوي العهد بمعني البيعة ويستدل بآية الفتح، وأبو السعود يسهب في شرح الوفاء بالعهد حتى يسميه دينا ، وما أشد حاجة الأمة الإسلامية للوفاء بعهودها ومواثيقها، وتسمى سورة المائدة عند بعض القراء بسورة العقود لأهميته والآيات صريحة الدلالة على وجوب الوفاء وحرمة الغدر والخيانة، وجميع الآيات التي ورد فيها لفظ العهد والميثاق تدل على ذلك المنطوق أو المفهوم.

ثانيًا: الأحاديث:

وردت أحاديث كثيرة في وجوب الوفاء بالعهد وإثم من نقض ميثاقه ، أو غدر بما عاهد عليه.

فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم –" أربع من كنّ فيه كان منافقًا خالصًا، من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها " (4) ومن غدر فقد أثبت في قلبه خصلة من النفاق .وعن علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه

---

(1) أبو السعود: محمد بن محمد العمادي - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – ج- 7: دار إحياء التراث العربي – بيروت –د-ت-ط –ص-95

(2) سورة الرعد الآية- 20

(3) الطبري : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد - جامع البيان عن تأويل آي القرآن مصدر سابق--ج-7-ص-374

(4) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل –صحيح البخاري –ج-2 – تحقيق –د-مصطفى ديب البغا –دار ابن كثير –اليمامة –بيروت -1406هـ 1987م الطبعة الثالثة -كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر –ص-868

وسلم –" من أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعــين، لا يقبــل منـــه صرف ولا عدل " (1)وهذا أكبر الجرم وأعظم البلايا لمن غدر ولم يوف بعهده .

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – : "لكل غادر لواء يوم القيامة " (2)وهذه فضيحة أمام الأشهاد يوم القيامة .

وثبت عنه– صلي الله عليه وسلم – أنه قال: " من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلّن عقدة ولا يشدّها حتى يمضي أمده، أو ينبذ إليهم على سواء " (3)

وعن أبي سعيد عن النبي– صلي الله عليه وسلم – قال: " لكل غادر لواء عند أســته يوم القيامة "(4)وذلك من سماحة الإسلام أما الوفاء أو إعلام المعاهــد ونبــذه إليـــه بإخطاره .وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – عن رسول الله – صــلي الله عليه وسلم – قال " إن الغادر ينصب الله له لواء يوم القيامة، فيقال: ألا هذه غد ر ة فلان " (5)

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، والسُنة الفعلية تشهد لذلك، ومــن هنــا فــإن وجوب الوفاء بالعهد والميثاق أمر واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان، ونقضهما محــرم بصريح الكتاب والسنة.

والوفاء من شيم النبي– صلى الله عليه وسلم– قال حسان بن ثابت– رضـــي الله عنه –:

هجوت محمدا فأجــبت عنه * وعند الله في ذاك الجــزاء

هجوت محمدا بــرا حنيفا * رسول الله شـــيــمــته الوفـــاء

فإن أبي ووالدتي وعرضي * لعــرض محــمــد مــنكم وقـــاء

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

([1]) البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل - صحيح البخاري،ج-4- كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر- مصدر سابق ص- 124.

([2]) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل –الجامع الصحيح المختصر – ج-2- كتاب الجزية والموادعة، باب إثم الغادر للبر والفاجر –مصدر سابق –ص-1164

([3]) الترمذي،محمد بن عيسى أبو عيسى –ج-4-تحقيق- أحمد محمد شاكر وآخرون – دار إحياء التراث العربي – بيروت -(أبواب السير، باب ما جاء في الغدر)–د -ت-ط-ص- 143

([4])مسلم : أبو الحسين مسلم بن حجاج - صحيح مسلم، ج-3- تحقيق –حمد فؤاد عبد الباقي -كتاب الجهاد، باب تحريم الغدر مصدر سابق –ص- 1361.

([5]) مسلم : -أبو الحسين مسلم بن حجاج - صحيح مسلم، ج-2- تحقيق –حمد فؤاد عبد الباقي -كتاب الجهاد، باب تحريم الغدر مصدر سابق –ص- 1359

وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء(1)

عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال كنا عند حذيفة فقال رجل لو أدركت رسول الله – صلي الله عليه وسلم – قاتلت معه وأبليت فقال حذيفة أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول الله ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر فقال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه منا أحد فقال قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم قال اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله– صلي الله عليه وسلم – ولا تذعرهم علي ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسني رسول الله – صلي الله عليه وسلم – من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان " (2)
وهذا الصحابي الجليل بالرغم وأن بإمكانه أن يقتل عدو الله لكنه تذكر عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –فأبت نفسه إلا الوفاء بالعهد .

ثانيًا: آثار الوفاء بالعهد والميثاق:

جعل الله لكل عهد جزاء ، ولكل فعل أثراً، والخوف والرجاء من صفات النفس البشرية، فهناك نفس تنقاد مع الوعد وأخرى تخشى الوعيد، والمؤمن يعيش دائمًا بين الرجاء والخوف. وبالاستقراء آيات العهد والميثاق يمكن ملاحظة الآثار التي قد رتبها الله سبحانه وتعالى على الالتزام بالعهد والميثاق، كما يلاحظ تنوعها وتعددها، فهناك الآثار التي تخص الفرد وأخرى تعم الجماعة، بعضها في الحياة الدنيا وأخرى يوم القيامة.

---

(1) مسلم : أبو الحسين مسلم بن حجاج - صحيح مسلم، ج-4- تحقيق –حمد فؤاد عبد الباقي - مصدر سابق –ص- 1935

(2) مسلم :أبو الحسين مسلم بن حجاج - صحيح مسلم، ج-3- تحقيق –حمد فؤاد عبد الباقي - المصدر نفسه –ص- 1414

تلك الآثار مقتصرة على ما جاء مصرحًا به، مما يعطي الدلالة على أهمية الوفاء بالعهد والميثاق، وحسن الجزاء الذي ينتظر الموفين بعهدهم، والصفات المثلى التي يستحقونها، والمآل الكريم الذي وعدهم الله به رحمة منه وفضلا، مراعيًا الاختصار والاقتصار.

وكذا القرآن الكريم يحوي في طياته الوعيد الشديد لمن نقض العهد والميثاق بنفي الإيمان عنه ، ووردت آيات كثيرة تنفي الإيمان عن الناقضين لعهدهم وتصفهم بالكفر والنفاق. وعكس ذلك أن من أوفى بعهد الله وميثاقه عاش في جنبات الرحمة وحقق أعلى وأسمى مقاصد الدين الإسلامي وهو **1**–تحقيق الإيمان: حيث وصف الله سبحانه وتعالى الموفين لعهودهم ومواثيقهم بالإيمان، والإيمان أثر تنبثق منه آثار كبرى، فإذا آمن الفرد حقق لنفسه السعادة في الدنيا والآخرة، والمجتمع الذي يسوده الإيمان ويحكمه الإسلام، مجتمع آمن مستقر، ترفرف على جنباته الطمأنينة ويعمه السلام ، كما في سورة (المؤمنون) ؛ ففيها وصفًا للمؤمنين، ومن أخص تلك الصفات "الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ "(1)
فرعاية العهد والأمانة من صفات المؤمنين الصادقين، والتخلي عن تلك الصفة إخلال بهذا الوصف وقدح بالموصوف، ورعاية العهد هنا تشمل العهد العام والخاص، فكل ما صدق عليه لفظ العهد فرعايته من الإيمان.وفي سورة(الحديد) يأتي الخطاب بأسلوب الاستفهام الذي يوقظ الحس ويثير المشاعر: "وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"(2) يتردد لفظ الإيمان ثلاث مرات بصيغ مختلفة في آية واحدة " لا تؤمنون.. لتؤمنوا.. مؤمنين ".
والوفاء بالميثاق هو الذي يحقق الإيمان، والموفون بعهدهم وميثاقهم هم المؤمنون.
وبهذا يدرك المسلم أي أثر يناله جزاء لوفائه، وأي نعمة يغتنمها تحقيقًا لوعد الله، وماذا يريد المسلم أعظم من الشهادة له بالإيمان، ومن الذي يشهد له؟ أنه الباري جل وعلا: "أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ "(3)"وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ "(4)

([1]) سورة المؤمنون الآية -8
([2]) سورة الحديد الآية -8
([3]) سورة المؤمنون الآية -1
([4]) سورة المؤمنون الآية -8

والإيمان وصف يستلزم آثارًا عظمى في الدنيا والآخرة: "أُولَئِكَ هُـمُ الْوَارِثُـونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"(1)

2ـالتقوى: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه التقـوى: هـي الخـوف مـن الجليل، والعمل بالتنـزيل، والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل .

منزلة التقوى من التشريع الإسلامي وفي كل شريعة سماوية وأنها هنا في معـرض الحث عليها وتكرارها وقد جعلها الشاعر السعادة كل السعادة كما فـي قولـه وهـو لجرير :

ولست أرى السعادة جمع مال * ولكن التقي هو السـعيد

فتقوى الله خـير الزاد ذخرا * وعند الله للأتقى مزيد (2)

وقيل: التقوى: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية والتقوى في اصطلاح الشرع هي اتخاذ الوقاية دون عذاب الله وسخطه وهي مركبة من أمرين هما: امتثال أمـر الله ، واجتناب نهيه (3)

التقوى: كلمة تسمع كثيرًا، وتعقل قليلا، وقد وردت كلمة التقوى في القرآن الكريم بتصاريفها المتنوعة أكثر من مائتي مرة.

وكثرة ورودها تدل على الأهمية القصوى لمدلولها. وإن اختلف العلماء في معناها وتعريفها، فهم يتفقون في مآلها وثمرتها.

صفة التقوى خاصية تتعطش لها النفوس المؤمنة، وتسعى لتحصيلها القلـوب السليمة، لما لها من أثر حسن وعاقبة حميدة. ولقد جاءت التقوى أثـرًا مـن آثـار الوفاء بعهد الله، وثمرة من ثمرات الالتزام بميثاقه.

ففي سورة(البقرة) يخاطب الله سبحانه – بني إسـرائيل: "وَإِذْ أَخَـذْنَا مِيثَـاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـونَ "(4)فـالتقوى ليست أمرًا مشاعًا لمن غدا أو راح، وإنما هي ثمن كريم وأثر عظيم لمن قـام بعمـل جليل، فأخذ التوراة التزامًا بالميثاق يؤدي إلى التقوى كما في تفسير الآية السابقة .

([1]) سورة المؤمنون الآية -10-11

([2]) محمد الأمين الشنقيطي –أضواء البيان –ج-8-تحقيق –مكتب البحوث والدراسات –دار الفكر –بيروت -1415هـ ص-56

([3]) محمد الأمين الشنقيطي –أضواء البيان –ج-2–مصدر سابق- ص-278

([4]) سورة البقرة لآية-63

وفي السورة نفسها يذكر الله عدة صفات كريمة شريفة يختمها بذكر عاقبة المتصفين بتلك الصفات، ونجد أن الوفاء بالعهد بعد الوعد من صفات المتقين الصادقين "قال تعالى: "لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ"(1) وفي سورة آل عمران نجد ثبات حب الله للمتقين، ولا يثبت الحب للموصوف إلاّ بعد ثبات الصفة، وهي التقوى ولمن؟ للموفين عهودهم:"بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ"(2)

وكما جاء في آل عمران يأتي ما يؤكده في سورة التوبة في آيتين متقاربتين "أَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ"(3)

وكما أن إتمام العهد من التقوى، فإن الاستقامة عليه تؤدي إليها "مَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" (4)

ومن هنا يأخذ هذا الأسلوب الرائع في عرض الثمرة والأثر مما لا يجد معه المسلم بدًا من الالتزام بعهد الله وميثاقه.

3- محبة الله: و محبة الله ورضاه غاية الغايات ونهاية المقاصد والحاجات فإذا رضي الله على عبد وأحبه أدخله جناته ووقاه عذابه، وأكرمه في دنياه وأخراه.

ولقد أثبت الله محبته للمتقين الموفين بعهدهم، المستقيمين على عهودهم ومواثيقهم حتى مع أعدائهم ما استقاموا هم على تلك العهود.

"مَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ " (5)وقبلها بآيتين: "أَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ"(6)وفي سورة آل عمران:"بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ"(7)

([1]) سورة البقرة لآية-177
([2]) سورة آل عمران الآية-76
([3]) سورة التوبة الآية -4
([4]) سورة التوبة الآية -7
([5]) سورة التوبة الآية -4
([6]) سورة التوبة الآية -4
([7]) سورة آل عمران الآية -76

وبهذا تكون محبة الله ثمرة من ثمار الوفاء بالعهد وأثرًا من آثـــار الالتـــزام بالميثاق، ونعم الثمرة لتلك الشجرة، وطوبى لعبد ظفر بمحبة الله ورضـــوانه؛ فلقـــد جمعت له السعادة من طرفيها، وفاز فوزًا لا يشقى بعده أبدًا.

4- حصول الأمن في الدنيا وصيانة الدماء : لم تقتـــصر آثـــار الوفـــاء بالعهـــد والميثاق على المسلمين وحدهم، وإنما شمل عدل الله الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام، ولهم عهود مع أولئك المسلمين، فجاءت الآيات صريحة بوجوب الوفاء لهم وصيانة دمائهم بل إن قتيلهم الذي يقتل خطأ من قبل المسلمين له مثـــل مـــا للقتيـــل المسلم سواء بسواء، وأكثر من ذلك أن الكافر الذي يطارده المسلمون لقتلـــه عنـــدما يلجأ إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق، ويدخل تحت حكمهم، يعـــصم دمـــه ويضع حدًا لطلبه.وهذا يوضح شمولية العدالة السماوية لكل البشر الذين يحترمـــون المواثق والعهود .

يقول تعالى مبينًا حكم بعض المنافقين: "وَدُّوا لَـــوْ تَكْفُـــرُونَ كَمَـــا كَفَـــرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَـــبِيلِ اللَّـــهِ فَـــإِنْ تَوَلَّـــوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً"(1)ومع هذا النهي الحاسم والأمر الجازم بالقضاء عليهم ومقاطعتهم ينقلنا القـــرآن نقلـــة قويـــة تـــضع استثناء لما سبق:"إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ" (2)

ومن هنا يوجد أن أثر الوفاء بالميثاق لم يقتصر على من عقد معه ووفّى بـــه، وإنما تعداه إلى آخرين أرادوا صيانة دمائهم المهدرة، فلم يجدوا بدًا مـــن اللجـــوء إلـــى هؤلاء.وفي الآية التي جاءت لبيان حكم قتل الخطأ وما يترتب عليه من ديـــة وكفـــارة ــ يجب التأمل والوقوف أمام عظمة هذا الدين عندما يساوي دية الكافر الذي يقتـــل خطـــأ وهو من قوم معاهدين بدية المسلم المقيم في دار الإسلام ، قال تعالى :"وَمَا كَانَ لِمُـــؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِـــهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِـــنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ"(3)

([1]) سورة النساء الآية- 88
([2]) سورة النساء-الآية -90
([3]) سورة النساء الآية -92

ويبرز أثر الوفاء بالعهد والميثاق في هذه الآية بأن دية المسلم المقيم عند الكفار غير المعاهدين أقل من دية الكافر المقيم عند قوم معاهدين.

وفي سورة الأنفال يعطي أمانًا صريحًا لمن لهم ميثاق حقنًا لدمائهم وصيانة لأهلهم وأموالهم، فالذين آمنوا ولم يهاجروا إن استنصروا المؤمنين في الدين فتجب نصرتهم وحمايتهم إلاّ في حالة واحدة، إذا كان هذا الاستنصار موجهًا ضد من للدولة المسلمة معهم عهد وميثاق، فهنا لا نصرة ولا مساعدة، وحق أولئك المعاهدين أولى من حق هؤلاء المؤمنين: "إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"[1]

وفي سورة (التوبة) يأمرنا سبحانه وتعالى بالاستقامة على العهد ما استقاموا على عهدهم "مَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ"[2] وهذا يعطي المعاهدين ضمانة قوية وأمانًا راسخًا لا يشوبه خوف غدر أو نقض عهد من قبل المسلمين.

وهذا الأثر العظيم على حياة من يرتبط مع المسلمين بعهد أو ميثاق، فإنه يدرك الأمن الذي يعيش فيه، والحياة المستقرة ، فلا خوف على نفسه أو أهله أو مجتمعه من الدولة المسلمة، ولقد اعترف كثير من غير المسلمين بأنهم يأمنون المسلمين أكثر مما يأمنون أهل دينهم وبني جلدتهم، ولذلك فقد سجل التاريخ بصفحات بيضاء أمثلة رائعة لهذا الأمر حتى أتى الكفار إلى المسلمين يطلبون منهم العهد والميثاق، لما لمسوه من أثر إيجابي يتجلى في سلوك المسلمين وأخلاقهم.

5- الحياة الطيبة والجزاء الحسن والأجر العظيم :

بعد أن أمر سبحانه في سورة(النحل) بالوفاء بالعهد ونهى عن نقض الإيمان بعد توكيدها، وحث على الصبر على ذلك. ثم أكد على العهود مرة أخرى وبيّن عاقبة الصابرين، وما أعده لهم من جزاء حسن، ثم جاء بأسلوب بديع يشير إلى جزاء من عمل صالحًا ، والوفاء بالعهد من العمل الصالح ؛ إذ وعده بالحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة.

---

[1] سورة لأنفال-72

[2] سورة التوبة -7

" مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (1)

وفي سورة(الأحزاب) يعد الله الموفين بعهدهم بجزاء عظيم يجمله سبحانه ولا يفصله – زيادة في التشويق وبيانًا لعظم الأجر.

قال تعالى:" مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ" (2)

وفي سورة (الفتح) يعد المولى جلّ وعلا بالأجر العظيم لمن وفّى بعهده "وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً "(3)

وهكذا ثبتت هذه الآثار الجليلة العظيمة جزاء للوفاء بالعهد والميثاق، فالحياة الطيبة والجزاء الحسن والأجر العظيم كلها تنتظر هؤلاء الأوفياء الصادقين، وأي أثر أعظم من أن يجمع للإنسان بين سعادة الدنيا والآخرة.

6- زيادة الحسنات وتكفير السيئات :

من الآثار التي وردت في أكثر من آية جزاء لمن وفى بعهده والتزم بميثاقه ـ الوعد بدخول الجنة ، وتكفير السيئات، هذا في قوله تعالى في سورة (البقرة): "وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ" (4) قال ابن جرير: وعهده إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة(5)

وفي سورة (المائدة) ذكر الله سبحانه أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل، ثم بيّن هذا الميثاق وذكر الجزاء على الوفاء به "لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ"(6)وفي سورة(الرعد) لما ذكر صفات أولي الألباب ـ ذكر منها أنهم يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، ثم بيّن عاقبة هؤلاء فقال: "أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ" (7)

---

(1) سورة النحل الآية-97
(2) سورة الأحزاب الآية-23-24
(3) سورة الفتح الآية -10
(4) سورة البقرة الآية -40
(5) الطبري –محمد بن جرير بن يزيد –تفسير الطبري –ج-1-مصدر سابق –ص-250
(6) سورة المائدة الآية -12
(7) سورة الرعد الآية -22-23

وبعد أن ذكر صفات المؤمنين في سورة (المؤمنــون) ومنهــا أنهــم:" لأَمَانَــاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ " (1)

ذكر مآلهم فقال:" أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (2)
ومثل ذلك في سورة (المعارج) حيث قال مبينًا جزاءهم:" أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ"(3)

وهكذا يبرز هذا الأثر، ويعرض بصور متعددة مــشوقة، تــدعو المــؤمن وتحثه على السعي جادًا للظفر بهذا الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، ويكــون أمــام عينيه وهو يعضّ بنواجذه على ميثاقه، ويحث الخطى موفيًــا بعهــده ليفــي لــه الله بوعده، ولينال عقبى الدار، وارثًا للفردوس ومكرمًا في جنات النعيم.

فللوفاء بالعهد والميثاق آثار أخرى سوى ما سبق، وردت في عدة آيات من كتاب الله، كوصفهم بأنهم أصحاب العقول السليمة: " إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُــونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ " (4)

ووصفهم بالصدق في قوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا" (5) بعد ذكر المــوفين بعهدهم إذا عاهدوا، وأن عملهم من البر فهم أبرار.ومما سبق تتضح أهميــة الوفــاء بالعهد والميثاق، وما يترتب على الوفاء من آثار كبيرة في الدنيا والآخرة.

ويشار إلى أن تلك الآثار يستلزم بعضها بعضًا، سوى ما يتعلق بالكفار، أما ما عدا ذلك فإنها مترابطة متكاملة ؛ فالذين يوفون بعهودهم ومــواثيقهم يــشهد لهــم بالإيمان – إن كانوا ممن دخل في الإسلام –، وهم من المتقين الصادقين، ويحبهم الله فيكفر عنهم سيئاتهم ويدخلهم الجنة، وقبل ذلك يحيون حياة طيبة هانئة فــي الحيــاة الدنيا، حياة يعمرها الإيمان والتقوى، ولهم في الآخرة حسن المآب.ولا يقدر أهميــة تلك الآثار إلاّ أولوا الألباب، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق.

ثالثًا: آثار نقض العهد والميثاق:

([1]) سورة المؤمنون الآية -8
([2]) سورة المؤمنون الآية -11-12
([3]) سورة المعا رج الآية -35
([4]) سورة الرعد 19 الآية-20
([5]) سورة البقرة الآية-177

كما أن الوفاء بالعهد والميثاق له آثاره الكبيرة – فإن نقض العهد والميثاق يترك آثارًا كبرى تؤدي بصاحبها إلى الخسران والبوار.

وإذا كانت الآثار الإيجابية حافزة وداعية المسلم للالتزام والوفاء – فإن الآثار السلبية أشدّ إنذارًا وتحذيرًا وتخويفًا، والعقوبة أكثر تأثيرًا في النفس البشرية من الإغراء وحسن الجزاء.

ومن هنا تدرك بعض الحكمة في أن الآيات التي جاءت لبيان الآثار السلبية أكثر من الآيات التي وردت مبينة الآثار الإيجابية للوفاء بالعهد والميثاق.

ولمن تتبع آيات العهد والميثاق آية آية، ووقف على تلك الآثار التي رتبها الله سبحانه وتعالى على الإخلال بالعهد وجعلها جزاءا لمن نقض الميثاق.

وقام بحصر تلك الآثار، وأدخل بعضها ببعض حسب تشابهها لوجد أن القرآن الكريم والسنة المطهرة رسما طريق العزة والكرامة للموفين بعهودهم ومواثيقهم ،ومثلما للوفاء بالعهد آثار إيجابية فإن نقضه يترك آثارا سلبية تتمثل في:

1-الكفر ونفي الإيمان:

قرن الله سبحانه وتعالى بين الكفر ونقض العهد في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ولا شك أنه نص على كفر من نقض عهده مع الله وأخلّ بميثاقه الذي أخذه عليه في ظهر آدم وعلى ألسنة أنبيائه ورسله، ومن هنا جاء نفي الإيمان عن الناقضين لعهودهم، زجرًا لهم وتهديدًا وإنذارًا.

ففي سورة(البقرة) يخاطب الله تعالى بني إسرائيل مذكرًا لهم بالميثاق الذي أخذه عليهم ومبينًا الحال التي آلوا إليها:" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"(1)

وفي السورة نفسها ينفي الإيمان عن النابذين لعهودهم:" أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ" (2)

([1]) سورة البقرة الآية-93

([2]) سورة البقرة الآية -100

وفي سورة (النساء) يعرض القضية بأسلوب آخر يحمل المعنى نفسه: "فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً"(1)

قال تعالى: "وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً" (2).وتأتي الآيات في سورة(التوبة) قوية شديدة على أولئك الكفار، آمرة المؤمنين بأمر حاسم لا تردد فيه: "وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ" (3)

وتستمر الآيات مبينة كفر من كذّب بعهد الله وميثاقه:" وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً" (4)

وبأسلوب الاستفهام تأتي آية سورة (الحديد):" وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (5)

وهكذا تبدو معالم نقض العهد والميثاق مخيفة، وآثاره مدمرة، فأي حياة بلا إيمان، وما قيمة الإنسان وقد خرج عن الهدف الذي خلق من أجله" إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً" (6)

2- الفسق:

الفسق هو الخروج عن طاعة الله ، ويطلق ويراد به ما دون الكفر كما في قوله تعالى: "وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ "(7) ويأتي بمعنى الكفر كما في قوله تعالى:" مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" (8) وقوله: " أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً"(9) والآيات التي جاءت مبينة فسق من نقض العهد والميثاق

(1) سورة النساء الآية-155
(2) سورة النساء الآية -156
(3) سورة التوبة الآية -12
(4) سورة الأحزاب الآية -7-8
(5) سورة الحديد الآية-8
(6) سورة الفرقان الآية- 88
(7) سورة الأنعام الآية- 121
(8) سورة آل عمران الآية- 110
(9) سورة السجدة الآية -18

وردت بمعنى الكفر، وذلك تأكيدا لما سبق من بيان كفر من تخلى عن العهد والميثاق ففي أول آية جاء فيها لفظ العهد والميثاق حكم الله على الناقضين بالفسق فقال:" وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ "(1) وأكد هذا المعنى في سورة (آل عمران) عندما ذكر ما أخذه على النبيين من عهد وميثاق حيث طلب من الأُمم الإقرار والتصديق ثم قال: "فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " (2)

وفي سورة (الأعراف) :" وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ "(3).وبهذا تبين هذه الآيات شناعة فعل الناقضين لعهودهم، وسوء جريرتهم، لخروجهم عن أمر الله وميثاقه.

3- الخسران:

الخسران عاقبة من نكث بعهده ونقض ميثاقه، تقرر هذا آية(البقرة) التي سبق ذكرها، وهي أول آية في القرآن يرد فيها العهد والميثاق:" الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"(4) يبين ذلك قوله بعدها مباشرة "كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ"(5)

وفي آية أخرى وفي السورة نفسها يأتي ما يؤكد أن الخسران مآل من تولّى عن أخذ الميثاق كما أمر به الله، ولكن بأسلوب يهز النفس ويوقظها من سباتها، مبينًا نعمة الله على بعض عباده حيث رحمهم من أن يكونوا من الخاسرين .

"وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (6)

والخسران أثر رهيب، إذا تأمله المسلم ازداد خوفًا ووجلا، فإذا كانت خسارة الدنيا يفرّ منها الإنسان فرقًا ورهبًا، وتترك آثارها على حياته ومستقبله، فكيف

---

(1) سورة البقرة الآية -27
(2) سورة آل عمران الآية -82
(3) سورة الأعراف الآية -102
(4) سورة البقرة الآية -27
(5) سورة البقرة الآية -28.
(6) سورة البقرة الآية -64

بخسران الدنيا والآخرة؟ " قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ " (1)

4- اللعن وقسوة القلوب والطبع عليها:

لما نقض بنو إسرائيل عهودهم كانت العاقبة شديدة والأثر أليم، فقد لعنهم الله وجعل قلوبهم قاسية، وتبعًا لذلك ضلّوا وانحرفوا عن سواء السبيل "فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً" (2)

وفي سورة (النساء) يبين سبحانه أنه طبع على قلوبهم جزاء لهم على كفرهم ونقضهم الميثاق "فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ" (3)

وفي آية أخرى: "وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ" (4)

وهذه الآيات بيان من الله للمصير الذي ينتظر الناكثين لعهودهم الناقضين لمواثيقهم، وهو إنذار وتحذير للمؤمنين بل وللناس أجمعين.

5- استدامة العداوة والبغضاء:

أخذ الله الميثاق على النصارى ، كما أخذه على اليهود، ولكنهم سلكوا مسلكهم وأخذوا طريقهم، فنقضوا الميثاق والعهود وبدّلوا في دينهم، وضيّعوا أمر الله، فأورثهم الله العداوة والبغضاء، واستحكمت فيهم الخلافات والأهواء فاختلفوا في نبيهم، وحرّفوا كتابهم، بل وضلوا في ربهم – سبحانه وتعالى ــ عما يقولون علوًا كبيرًا.

ومما يزيد هذا الأثر هولا، أنها ليست عقوبة مؤقتة بل هي باقية ما بقوا إلى يوم القيامة، وهذا ما نراه ونلمسه قديمًا وحديثًا مصداقًا لقول الله ووعيده: وَمِنَ الَّذِينَ

([1]) سورة الزمر الآية- 15
([2]) سورة المائدة الآية -13
([3]) سورة النساء الآية -155
([4]) سورة الرعد الآية -25

قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِــهِ فَأَغْرَيْنَــا بَيْــنَهُمُ الْعَــدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ " (1)

6- الحرمان من الطيبات:

من الآثار التي جناها بنو إسرائيل عقوبة لهم على نقضهم الميثاق، تحريم الطيبــات التي أحلت لهم: يقول ابن جرير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى:" فَبِظُلْمٍ مِــنَ الَّــذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً " (2)

يعني بذلك جلّ ثناؤه: فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثــاقهم الــذي واثقوا ربهم، وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءه وقالوا البهتان على مريم، وفعلوا ما وصفهم الله في كتابه "حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ" طيبات من المآكل وغيرها كانــت لهــم حلالا عقوبة لهم (3) وهكذا تبدو جريمة المعاصي وكم هي وخيمة في العاجل قبل الآجل والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

7- القتل والتشريد:

من الآثار الدنيوية العاجلة التي تحلّ بالخائنين، الناقضين للعهود والمواثيــق، أمر الله نبيه– صلى الله عليه وسلم – إن لقي هؤلاء الخــائنين وتمكــن مــنهم، أن يعاقبهم عقوبة يؤدب بها من خلفهم، عقوبة قاسية تتعدى آثارها هــؤلاء المجــرمين إلى ما يقف خلفهم ويتربص بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وصحبه الدوائر، يكون من آثارها تشريد أولئك المتربصين وتفريق كلمتهم وتشتيت شملهم . "الَّذِينَ عَاهَــدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ" (4)

وهذا ما فعله رسول الله –صلى الله عليه وسلم – عندما ظفر ببني قريظــة، تنفيذًا لأمر الله من فوق سبع سماوات وأي عقوبة – دنيويــة – أشــد مــن هــذه العقوبة، إن أخذه أليم شديد.

8- الضلال في سواء السبيل:

([1]) سورة المائدة الآية -14

([2]) سورة النساء الآية -160

([3]) الطبري –محمد بن جرير بن يزيد –تفسير الطبري –ج-6-ص-مصدر سابق –ص-23

([4]) سورة الأنفال آية: 56.

من أشد الأشياء على نفس الإنسان وآلمها أن يتيه عن الطريق إذا كان مسافرًا، هناك ينتابه القلق، ويحاول البحث عن السبيل بكل وسيلة ممكنة، إذا كان ذلك كذلك فكيف بمن يضل عن طريق الله ، وينحرف عن الصراط المستقيم؟ إنه أشدّ قلقًا وحيرة واضطرابًا، وهذه النهاية المحزنة تنتظر كل من رفض الالتزام بعهد الله وميثاقه، وهذا ما حلّ ببني إسرائيل لما كفروا بالله وخالوا مواثيقه: "وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ "(1) ثم قال في آخر الآية بعد تفصيل الميثاق: "فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ "(2)

9- الخزي في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة:

لما ذكر الله تعالى المواثيق التي أخذها على بني إسرائيل ذكر خيانتهم وغدرهم ، ونكثهم للعهود والمواثيق، ثم هددهم قائلا: " أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ " (3)

وتأتي الآية التي بعدها مباشرة مؤكدة هذه النهاية المفجعة التي تنتظر هؤلاء الغادرين المتلاعبين: " أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ" (4)

وفي سورة(المائدة) يأتي الوعيد بأسلوب آخر، فبعد أن ذكر نقض النصارى للميثاق بيّن عاقبة هذا الأمر فقال: " وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" (5)

وهذا أسلوب فيه تهديد شديد، وتخويف لكل من تسول له نفسه التهاون بأمر الله ونهيه. ويبين سبحانه في سورة(الأحزاب) ما أعده للكافرين الذين لم يصدقوا مع الله فيما أخذه على النبيين من عهد وميثاق، إنه النزل الذي يليق بمكانتهم " وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً" (6)

10- الخزي يوم القيامة:

([1]) سورة المائدة الآية -12

([2]) سورة المائدة الآية -12

([3]) سورة البقرة الآية -85

([4]) سورة البقرة الآية -86

([5]) سورة المائدة الآية-14

([6]) سورة الأحزاب الآية -7-8

من أشدّ الآثار إيلامًا، وأقواها تأثيرًا في النفس، ما ذكره سبحانه عن حال الذين يشرون بعهد الله وإيمانهم ثمنًا بخسًا زهيدًا في الدنيا، حالتهم يوم القيامة شر حالة، ومآلهم شر مآل، ومصيرهم أسوأ مصير، فلا خلاق لهم ولا حجة ولا نصيب ولا قوام ، وأشد من ذلك أن الله لا يكلمهم كلامًا يسرهم، ولا ينظر إليهم نظر رحمة وعطف، بل ولا يزكيهم ويطهرهم من ذنوبهم وسيئاتهم في موقف ينتظر كل إنسان رحمة الله وعفوه ومغفرته، ونهايتهم في العذاب الأليم: "إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (1)

11- سوء المنقلب في الآخرة **:**

أسلوب القرآن في عرض أهدافه، ومقاصده أسلوب يأخذ بالألباب، فتارة يصرح وأخرى يكنّي، ومرة يبين ويفصل وحينًا يجمل ويعمّم، وهكذا نجد أن الله لما ذكر الناقضين لعهدهم الذي أعطوه بأن لا يولوا من المعركة، ذكر عاقبة هذا التصرف بأنه لن يمرّ دون سؤال، وهذا الأسلوب أبلغ في هذا المقام من أسلوب التصريح بماهية العقاب وكنهه، إن مقام السؤال أمام الله جل وعلا مقام عظيم ورهيب، وكيف ستكون حال الإنسان الضعيف وهو يقف أمام الباري جل جلاله ليسأله عن جريرة اقترفها وذنب عمله:

"وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً " (2) وتصور هذا الموقف كاف للزجر والتهديد. والمصير السيئ ينتظر الناقضين لعهد الله، والنهاية المهلكة مآلهم ومستقرهم، والدار دار سوء لا دار سعادة وفلاح، ولقد حقت عليهم لعنة الله ومقته "وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ" (3)

12-المسخ**:**

([1]) سورة آل عمران الآية -77

([2]) سورة الأحزاب الآية -15

([3]) سورة الرعد الآية -25

ذكر فيما سبق أبرز الآثار وأعظمها، وهناك آثار أخرى ذكرها القرآن وصفًا للناقضين لعهودهم، الخائنين لمواثيقهم، من المهم إجمالها في فقرة واحدة، لاشتراكها في كونها أوصافًا يكتسبها أولئك كأثر من آثار غدرهم وخيانتهم.

فبنوا إسرائيل لما أخذ الله عليهم الميثاق ألا يعتدوا في السبت خانوا وغدروا فكيف كانت عاقبتهم؟ لقد جعلهم الله قردة خاسئين، جزاء لسوء فعلتهم وخسة طباعهم:"وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ"(1) وقال تعالى :"فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" (2)

ونفى العقل عن الذين يأخذون كل ما عرض لهم حلالا كان أو حرامًا، مخالفين بذلك ميثاق الكتاب الذي أخذ عليهم، وجاء نفي العقل بصيغة الاستفهام: "أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ "(3)

ومن الصفات التي وصفهم الله بها، أنهم شرّ الدواب، ولقد اكتسبوا تلك الصفة جزاء أفعالهم القبيحة، والجزاء من جنس العمل، والفعل دليل على الفاعل:"إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ " (4)

وتستمر الآيات في الكشف عن صفات هؤلاء، وتكشف ما خفي من طبعهم وحالهم، فلقد دخلوا في زمرة الخائنين: "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ " (5)

وختام تلك الصفات وأعظمها وصفهم بالنفاق، والكذب، والكذب مطية النفاق: "وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ " (6)

([1]) سورة البقرة الآية -65
([2]) سورة الأعراف الآية -166
([3]) سورة الأعراف الآية -169
([4]) سورة الأنفال الآية-56-57
([5]) سورة الأنفال الآية-58
([6]) سورة التوبة الآية -75-76

وإذا تأملنا هذه الصفات مجتمعة أو متفرقة شعرنا بخطورة الأمر ومآله، وأدركنا أن نقض العهد كان سببًا مباشرًا لما وصفوا به، فوصفهم بالنفاق جاء أثرًا واضحًا لاختلاف الوعد:" فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ " (1)

ووصفهم بشّر الدواب والخيانة والكذب جاء ثمرة لفعلهم وسوء صنيعهم، وقبل ذلك لما نكث بنوا إسرائيل وغدروا جعلهم الله قردة خاسئين.

13- الجناية على النفس:

أنسب أثر يختم هذه الآثار التي تنتظر الناقضين لعهودهم، المتلاعبين بمواثيقهم، ما ذكره الله سبحانه وتعالى في سورة الفتح: فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ " (2) فالناقض لعهده يجني على نفسه ويوبقها، وهذه الآثار هو سببها، وهو حطبها ووقودها.

وإذا تأمل الإنسان هذه النهاية لنفسه، والمصير الذي سيئول إليه، والثمن الباهظ الذي سيطلب منه، وتذكر أنه لم يظلم بشيء من هذا، ولم يحمل وزر غيره، أدرك خطورة الأمر وفداحة الخطب، وأن الأمر جدّ لا لعب فيه ولا عبث، وأنه لا منجاة له إلا بالوفاء بعهد الله وميثاقه، وأن يعض على ذلك بالنواجذ، ليجنب نفسه وأمته الهلاك والبوار وسوء الدار.

ففي ختام مبحث آثار نقض العهد والميثاق أن المتأمل لواقع البشرية الآن يدرك المآسي التي تعيش فيها، فهي تنتقل من محنة إلى محنة، ومن نكبة إلى نكبة، دول تعيش في حروب وأخرى في قلاقل وثالثة تعصف بها الفتن ورابعة وخامسة، مع العلم توجد في مطلع كل يوم معاهدات توقع وعهود تكتب، و أن المنظمات الدولية في ازدياد وتوسع، فهناك الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وقبلها عصبة الأمم، وبعدهما عدم الانحياز وجامعة الدول العربية، و المؤتمر الإسلامي، وبين هذه وتلك المنظمة الأفريقية وبما يعرف الآن الاتحاد الأفريقي وغيرها. ولم تستطع أي من هذه المنظمات أن توقف حربًا، أو أن تنفّذ عهدًا أو تحترم ميثاقًا.

ولن يعود للبشرية أمنها واستقرارها إلا بعودتها إلى دين ربها وتحكيم شرع الله ونهجه في الحياة، وبعد ذلك يأمن المؤمن والكافر وتحترم العهود والمواثيق، وإلا

---

(1) سورة التوبة الآية -77

(2) سورة الفتح الآية-10

فمزيدًا من الدمار والهلاك والبوار،قال تعالى: " سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا" (1)

وإنما شُرِع الوفاء بالعهد لإصلاح البشرية في معاملاتها الدينيـــة والدنيويـــة فيما بين المسلمين وغير المسلمين من أهل الملل والنحل الأخرى فلا يظـــن أحـــد أن الإسلام يبيح الغدر والخيانة في المجتمعات التي تخالفه في الاعتقاد والمـــنهج وإنمـــا تقوم الأمة بجموعها لإصلاح الاعوجاج في البشرية وفـــق مـــنهج القـــرآن والـــسنة والسلف الصالح حسب الأمراض المتفشية في المجتمعات لأن أمة الإســـلام يمنعهـــا أخلاقها من الأذى ودينها من الغدر أما ليوم فقد سرت عدالة الغابة وشـــريعة القـــوة والبقاء للأقوى ليس للأصلح , بحيث تنتفى الكلمـــة الـــصادقة والعادلـــة والـــسمو الانسانى بالحياة الدنيوية .

ولن يعود للبشرية أمنها إلا بعودتها إلى الشرائع الدينية وتحكـــيم التـــشريعات الإسلامية مهما استحدث العقل الانسانى من لوائح تنظيمية للحياة لـــن يجـــد غيـــر الدمار والهلاك والبوار.

ويصدق عليها قول القائل :

إن الكريـــم إذا تمكن من أذى * جاءته أخـــلاق الكـــرام فأقلعا

وترى اللئيم إذا تمكن من أذى * يطغى فلا يبقى لصلح موضعا (2)

([1]) سورة الأحزاب الآية -62

([2]) الشنقيطي –محمد الأمين بن محمد بن المختار –أضواء البيان –ج-8-مصدر سابق –ص-250

الفصل الخامس

ثمرات صلح الحديبية(في المجتمع الإسلامي)

(وبه أربعة مباحث)

المبحث الأول : حرية الدعوة

المبحث الثاني : مراسلة الملوك والأمراء

المبحث الثالث : حل أزمة المستضعفين

المبحث الرابع : إقرار مبدأ السلام العادل

الفصل الخامس
ثمرات صلح الحديبية(في المجتمع الإسلامي)
المبحث الأول : حرية الدعوة

حرية الدعوة إلى الإسلام من المسلمات التي جاء بها دين الإسلام، فعلى المسلم العمل على إصلاح نفسه ومجتمعه بتعاليم الإسلام بحرية تامة ، فمن المعلوم أن الإسلام لا يكتفي من المسلم أن يكون صالحاً في نفسه، حتى يبذل جهده في إصلاح غيره؛لأجل ذلك كانت فريضة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفرائض التي أمر الله بها الشارع بحرية وقناعة .

قال تعالى :" كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ " ([1]) وكذلك الدعوة إلى الله التي مردها التواصي بالحق والتواصي بالصبر لا يتحقق تأييدها ونصرها إلا بالحرية والحرية عندما تكون في المعتقد فصاحبها يتواصى إليها باعتبارها حقا وصبرا.قال تعالى :" وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ " ([2]) و كل مسلم في نظر الإسلام مكلف بالدعوة إلى دينه على قدر طاقته ووسائله وعدم الإكراه لكائن من كان. قال تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ " ([3]) فكل مسلم مخاطب بقوله تعالى" ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ "([4])وكل من اتبع رسول الله– صلى الله عليه وسلم – هو داعية إلى الله كما قال تعالى :"قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍأَنَاوَمَنِ

([1]) سورة آل عمران الآية -110
([2]) سورة العصر الآية -3
([3]) سورة فصلت الآية -33
([4]) سورة النحل الآية -125

اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" [1] . ولهذا كان شعار المصلحين المجددين: أصلح نفسك، وادع غيرك.

قال تعالى:"وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ "[2] والإسلام لا يحب للمسلم أن يعمل وحده، فعن ابن عمر- رضي الله عنه - أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم -قال" إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- على ضلالة ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار" [3]

وعنه- صلى الله عليه وسلم- قال : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا- ثم شبك بين أصابعه - وكان النبي- صلى الله عليه وسلم- جالسا إذ جاء رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال : اشفعوا فلتأجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء"[4]

"عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ألزموا هذه الطاعة و الجماعة فإنه حبل الله الذي أمر به و أن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة و إن الله تعالى لم يخلق شيئا قط إلا جعل له منتهى ...." [5]

والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، والتعاون على البر والتقوى فريضة دينية، وضرورة حيوية، فلا غرو أن يكون العمل الجماعي للدعوة الإسلامية واجباً شرعاً؛ لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.قال تعالى : وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ "[6]

([1]) سورة يوسف الآية-108

([2]) سورة فصلت الآية-33

(2) الترمذي : - ج- 4-مصدر سابق (كتاب الفتن – عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم – باب ماجاء في لزوم الجماعة رقم الحديث : 2167-ص-466

(3) البخاري : ج – 5- مصدر سابق (كتاب الأدب – باب –تعاون المؤمنين بعضهم بعضا) رقم الحديث : 5680-ص- 50

(4) الحاكم : محمد بن عبد الله – المستدرك على الصحيحين –ج- 4-تحقيق :مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت –الطبعة الأولى : 1411هـ 1990م – رقم الحديث : 8663-ص- 598

([6]) سورة المائدة الآية -2

و يؤكد هذا الوجوب أن القوى العقائدية المخالفة تعمل في صـورة تكـتلات وأحزاب ومؤسسات، فلا بد أن تواجه بمثل أسلوبها، وإلا بقيت الأمة الإسلامية فـي ذيل القافلة عاجزة أن تصنع شيئاً،وغيرها يعملون ويتقدمون ويزدهـرون وينمـون عقولهم وبلادهم وشعوبهم .

والدارسون للسيرة وتاريخ الدعوة الإسلامية يعتبرون صلح الحديبية أسس لمرحلة التمكين والظهور،فخلال الإثني وعشرين شهرا ــ عمر الهدنة قبل أن تخـل بها قريش ــ دخلت في الإسلام قبائل شتى وخلق كثير،بل وبعد سنة من الـصلح ،أي في العام السابع للهجرة،اعتنق الإسلام أبرز قادة مكة،وهم :عمرو بن العاص وخالـد بن الوليد وعثمان بن طلحة،وغيرهم وجاء صلح الحديبية معلمة في فن إدارة الدعوة سلميا،وتحقيق المكاسب التي قد لا تتيسر بالمواجهة العسكرية،فصلح الحديبية يمثـل الوجه الحقيقي للدعوة،بما هي ــ في الأصل ــ تبليغ بالكلمـة الطيبـة والموعظـة الحسنة،ومن يتأمل السيرة النبوية يقف على أن الخيار العسكري كان يفـرض علـى المسلمين فرضا في غالب الأحوال كما هو الحال في زماننا .

ومن ثم كان من أكبر الإثم الذي ترتكبه بعض الحكومات في البلاد الإسلامية مصادرة حرية الدعوة إلى الإسلام باعتباره عقيدة ونظام حياة، والوقوف في وجـه الداعين إليه، والعاملين لتحكيم شريعته وإقامة دولته، وتوحيـد أمتـه، وتحريـر أوطانه، ونصرة قضاياه، وتجميع الناس عليه.

و هذا الضغط على الدعوة والدعاة، والتضييق على العمل الإسلامي –وخاصة العمل الجماعي – من أبرز الأسباب التي تدفع إلـى التطـرف دفعـاً، ولا سـيما أن الفلسفات والمذاهب الوضعية الأخرى تتمتع بالحرية والمـساندة، بـلا مـضايقة ولا إعنات.إنها سنة الحياة المشاهدة المجربة: إن العنف لا يولد إلا عنفاً، وشدة الضغط لا يكون من ورائها إلا الانفجار.

المبحث الثاني
مراسلة الملوك والأمراء

بعد صلح الحديبية جاء دور الأمم المجاورة للرسول- صلى الله عليه وسلم- لتوسيع نطاق الدعوة إلى الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها ؛ لأن الإسلام رسالة عالمية غير محدودة المكان ، كما جاء التصريح بذلك في بعض الآيات القرآنية الكريمة ، مثل :"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " (1) وقال تعالى : قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " (2) " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " (3)

من البديهي أن يقوم الرسول- صلى الله عليه وسلم - بإرسال الرسائل إلى زعماء العالم المعاصرين له لتوضيح حقائق الدين ومحاسنه وفضائله لأن الخاصة فهمهم أقرب للحقائق إذا جردت من الهوى. وهناك آراء في الروايات التي تناولت تأريخ إرسال الرسائل. فقد أورد ابن سعد " إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست من الهجرة أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كتبا فقيل يا رسول الله إن الملوك لا يقرأون كتابا إلا مختوما فاتخذ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يومئذ خاتما من فضة فصه منه نقشه ثلاثة أسطر- محمد- رسول –الله- وختم به الكتب فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع من الهجرة النبوية وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه

---

(1) سورة الأحزاب الآية -28
(2) سورة الأعراف الآية -158
(3) سورة الأنبياء الآية -107

إليهم "([1]) وهذا مما يدل على عظمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأن يرسل الرسول ممن يحسن لغة القوم .مصداقا لقوله تعالى :" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" ([2])

ويذكر الطبري أن بعث هؤلاء النفر الست كان في ذي الحجة." في شوال من سنة ست وبعثه رسول الله في عشرين فارسا قال وفيها بعث رسول الله– صلى الله عليه وسلم– الرسل فبعث في ذي الحجة ستة نفر" ([3])

أما ابن إسحاق فلا يحدد تاريخا دقيقا لإرسال الرسل ، بل جعل ذلك ما بين الحديبية ووفاته ، قال في رواية : "كان رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قد فرق رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاة إلى الله عز وجل فيما بين الحديبية ووفاته"([4])واستدرك عليه ابن هشام في زيادات السيرة قائلاً بأن إرساله الرسل كان بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية.

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي:

صح أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم –كتب إلى النجاشي : " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ "([5]) فآمن ومن كان عنده ، وأرسل إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– بهدية حلة ، فقال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–"اتركوه ما تركوكم وكان الذي حمل الرسالة إلى النجاشي ، عمرو بن أمية الضمري([6]) وذكر الزيلعي وغيره عن الواقدي أن الذي كتبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى

---

(4) ابن سعد : محمد بن سعد – الطبقات الكبرى – ج- 1-مصدر سابق (ذكر بعثة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –بكتبه إلى الملوك يدعوهم)ص- 258

([2]) سورة إبراهيم الآية -4

(1) الطبري : محمد بن جرير الطبري : تأريخ الأمم والملوك –ج-2-دار الكتب العلمية –بيروت- الطبعة الأولى : 1407هـ ص- 128

(2) المصدر نفسه –ص- 128

([5]) سورة آل عمران الآية -66

(4) الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب – المعجم الكبير –ج-2- تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي –مكتبة العلوم والحكم – الموصل –الطبعة الثانية : 1404هـ 1983م –رقم الحديث : 12- ص- 8

النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري صورته : - بسم الله الـرحمن الـرحيم- مـن محمد رسول الله ، إلى النجاشي ملك الحبشة ، أسلم أنت ، فإني أحمد إليك الله الـذي لا إله إلا هو ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت به ، فخلقه من روحه ، ونفخه كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحـده لا شـريك لـه والموالاة عن طاعته ، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فـإني رسـول الله ، وإنـي أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والـسلام على من اتبع الهدى"(1)

فقرأ النجاشي الكتاب وكتب جوابه إلى رسول الله- صلى الله عليه وسـلم-" بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من النجاشي الأصحم أبحر سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا إله إلا هـو الذي هداني إلى الإسلام أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت مـن أمـر عيسى فورب السماء والأرض أن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا إنه كما قلـت ولقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قرينا بن عمك وأصحابه وأشهد أنـك رسـول الله- صلى الله عليه وسلم- صدقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت بن عمك وأسلمت على يديـه لله رب العالمين وبعثت إليك يا نبي أرها بن الأصحم فاني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك يا رسول الله فعلت فاني أشهد أن ما تقوله حق والسلام عليك يا رسـول الله فخرج ابنه في ستين نفسا من الحبشة في سفينة البحـر فلمـا توسـطوا ولججـوا أصابتهم شدة وغرقوا كلهم" (2)

كتاب النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى كسرى ، قال ابن إسحاق:" كتب رسول الله- صلى الله عليه وسلم - إلى كسرى وقيصر فأما كسرى فلمـا قـرأ الكتـاب مزقـه وأما قيصر لما قرأ الكتاب طواه ووضعه عنده فبلغ ذلك رسول الله- صلى الله عليـه

---

(1) ابن القيم الجوزية : محمد بن أبي بكر الزرعي – زاد المعاد في هدي العباد – ج- 3-تحقيق : شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية –بيروت – الكويت –الطبعة الرابعة عشر -1407هـ 1986م ص-600

(2) ابن حبان : محمد حبان – الثقات – ج- 2- مصدر سابق – ص- 9

وسلم- فقال أما هؤلاء يعني كسرى فيمزقون وأما هؤلاء فستكون لهـــم بقيـــة" ([1])

وكتب كسرى إلى باذان عامله باليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز ، فليأتياني ، بخبره ، فبعث باذان قهرمانه – اسمه بابويه ، وهو الكاتب الحاسب – ورجلا آخر ، وكتب معهما كتابا ، فقدما بالمدينة ، فدفعا كتاب باذان إلى النبي –صلى الله عليه وسلم – فتبسم رسول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد ، وقال : ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما بما أريد . فجاءاه من الغد ، فقال لهما : أبلغا صاحبكما أن ربـــي قتـــل ربه كسرى في هذه الليلة ، لسبع ساعات مضت منها ، وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع ، وأن الله تبارك وتعالى سلط عليه ابنه شـــيرويه ، فقتله ، فقالا له هل تدري ما تقول إنا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا فنكتب بهذا عنك ونخبر الملك به قال نعم أخبراه ذلك عني وقولا له إن ديني وسلطاني سيلغ مـــا بلغ ملك كسرى وينتهي إلى منتهي الخف والحافر وقولا له إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء وأعطى رفيقه منطقة من ذهب وفضة كـــان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذان وأخبراه الخبـــر فقـــال والله ما هذا بكلام ملك وإني لأرى الرجل نبيا كما يقول ولننظرن ما قد قال فلئن كـــان ما قد قال حقا ما بقي فيه كلام إنه لنبي مرسل وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا فلم يلبث بـــــــــاذان أن قـــــــــدم عليـــــــــه كتـــــــــاب شـــــــــيرويه([2])

وروى الطبري نص رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم- إلـــى كـــسرى ، وكذلك رواها ابن طولون ، وغيرهما ، وهو : (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمـــد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورســـوله ، وأدعـــوك بدعاء الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول علـــى

---

(3) ابن تيمية : : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح- ج- 1- تحقيق : د.علي حسن ناصر,د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ,د. حمدان محمد دار العاصمة – الرياض - الطبعة الأولى : 1414هـ -ص-315

(1) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – ج-1- تحقيق : د- علي حسن ناصر ، د- عبد العزيز إبراهيم العسكر – د- حمدان محمد – دار العاصمة – الرياض – الطبعة الأولى : 1414هـ ص- 317

الكـــافرين ، فأســـلم تـــسلم ، فـــإن أبيـــت ، فـــإن إثـــم المجـــوس عليـــك"([1])

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيصر ثبت في الصحيحين أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى هرقل مع دحية بن خليفة الكلبي يدعوه إلى الإسلام. وذلك في مدة هدنة الحديبية ، وهو النص الثاني الذي ثبتت صحته وفق شروط المحدثين مـــن بين سائر نصوص الكتب التي وجهت إلى الزعماء .

"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْـنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُـدَ إِلاَّ اللّـهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُـواْ اشْـهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"([2]) ولعل في إيراد البخاري ومسلم نص خطاب الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى قيصر ما يشير إلى ترجيحهما للروايات القائلة بتقدم نزول الآية المذكورة ، أي قبل تاريخ إرسال هذه الرسالة ، وليس في العام التاسع كما ورد فـــي روايـــات ضعيفة. .

وعندما قرأ قيصر رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – أرسل يبحـث عـن بعض المتصلين بالنبي- صلى الله عليه وســلم – وفـضل أن يكونـــوا مـــن قومـــه وعشيرته ، فعلم بوجود جماعة من التجار فيهم أبو سفيان ، فدعاهم لمجلـسه مـــع الترجمان ، فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو ســفيان : -أنا أقربهم نسبا- فأدناه منه وقرب أصحابه منـــه لـئلا يـستحيوا أن يواجهـوه بالتكذيب إن كذب ، فأخذ يسأله عن جميع أحوال النبي- صلى الله عليه وسلم- فقـــال أبو سفيان فوا لله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه كمـــا فـــي نـــص الحديث." ثم كان أول ما سألني عنه أن قال كيف نسبه فيكم ؟ قلت هو فينا ذو نسب . قال فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت لا . قال فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت لا . قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقلت بـل ضـعفاؤهم . قـــال أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت بل يزيدون . قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت لا . قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قـــال ؟ قلـــت لا . قال فهل يغدر ؟ قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها . قال ولم تمكني

---

(2) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير – تأريخ الأمم والملوك – ج- 2- دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى : 1407هـ - ص- 133

(1) سورة آل عمران الآية -64

كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة . قال فهل قاتلتموه ؟ قلت نعم . قال فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه . قال مـــاذا يـــأمركم ؟ قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيء واتركوا ما يقول آبـــاؤكم ويأمرنـــا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال للترجمان قل له سألتك عن نـــسبه فـــذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيـــل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا قلت فلو كان من آبائـــه مـــن ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهـــم أتبـــاع الرســـل وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمـــان حتـــى يـــتم . وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمـــان حـــين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكـــذلك الرســـل لا تغـــدر . وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقـــول حقـــا فـــسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم حتى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه . ثم دعا بكتـــاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتـــك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمـــة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابـــا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "قال أبو سفيان فلما قال ما قـــال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي

حين أخرجنا لقد أمر ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر . فما زلت موقنا أنــه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام "([1]) .

"عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ينطلــق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة ؟ فقال رجل من القوم : وإن لم أقتل ؟ قال : – وإن لم تقتل – فانطلق الرجل به فوافق قيصر وهو يأتي بيت المقدس قد جعــل لــه بساط لا يمشي عليه غيره فرمى بالكتاب على البساط وتنحى فلما انتهى قيصر إلى الكتاب أخذه ثم دعا رأس الجاثليق فأقرأه فقال : ما علمي في هذا الكتاب إلا كعلمــك فنادى قيصر : من صاحب الكتاب فهو آمن فجاء الرجل فقال : إذا أنا قــدمت فــأتني فلما قدم أتاه فأمر قيصر بأبواب قصره فغلقت ثم أمر مناديا ينادي : ألا إن قيصر قــد اتبع– محمدا صلى الله عليه وسلم– وترك النصرانية فأقبل جنده وقد تــسلحوا حتــى أطافوا بقصره فقال لرسول رسول الله– صلى الله عليه وسلم – قد ترى أني خــائف على مملكتي ثم أمر مناديا فنادى : ألا إن قيصر قد رضي عنكم وإنما خبركم لينظــر كيف صبركم على دينكم فارجعوا فانصرفوا وكتب قيصر إلى رسول الله– صــلى الله عليه وسلم– إني مسلم وبعث إليه بدنانير فقال رسول الله– صلى الله عليه وســلم– حين قرأ الكتاب : كذب عدو الله ليس بمسلم وهو على النصرانية وقسم الدنانير"([2])

وفي عدم إسلام قيصر دليل على أنه قد شح بالملك وطلب الرئاســة وآثرهمــا علــى الإسلام ، ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي ، فإنه لما أسلم ما زالت عنــه الرياسة وهذا مما يدل على أن العاقبة لمن اتبع منهج الحق وأصلح نفسه وقومه كما فعل النجاشي .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر الغساني

بعث رسول الله– صلى الله عليه وسلم– شجاع بن وهب الأسدي وهو أحد الستة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يدعوه إلى الإسلام وكتب معــه كتابــا قــال شجاع فأتيت إليه وهو بغوطة دمشق وهو مشغول بتهيئة الإنزال والألطــاف لقيــصر

(1) البخاري : ج-1- مصدر سابق –(بدأ الوحي – باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم - رقم الحديث : 7- ص- 7

(1) ابن حبان : محمد بن حبان أحمد – صحيح ابن حبان –ج-10- مصدر سابق –(ذكر الإباحة للإمام قبول الهداية من المشركين إذا طمع في إسلامهم) رقم الحديث : 4504-ص- 357

وهو جاء من حمص إلى إيلياء فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه إني رسول رسول الله- صلى الله عليه وسلم -إليه فقال لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه وكان روميا أسمه مرى يسألني عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فكنت أحدثه عن صفة رسول الله- صلى الله عليه وسلم -وما يدعو إليه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول إني قد قرأت الإنجيل فأجد صفة هذا النبي - صلى الله عليه وسلم- بعينه فأنا أومن به وأصدقه وأخاف من الحارث أن يقتلني وكان يكرمني ويحسن ضيافتي وخرج الحارث يوما فجلس ووضع التاج على رأسه فأذن لي عليه فدفعت إليه كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقرأه ثم رمى به وقال من ينتزع مني ملكي أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته علي بالناس فلم يزل يفرض حتى قام وأمر بالخيول تنعل ثم قال أخبر صاحبك ما ترى وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه فكتب إليه قيصر ألا تسير إليه واله عنه ووافني بالياء فلما جاءه جواب كتابه دعاني فقال متى تريد أن تخرج إلى صاحبك فقلت غدا فأمر لي بمائة مثقال ذهب ووصلني مرى وأمر لي بنفقة وكسوة وقال أقرئ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- مني السلام فقدمت على النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبرته فقال باد ملكه وأقرأته من مرى السلام وأخبرته بما قال فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- صدق ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح"(1)

وحرص النبي – صلى الله عليه وسلم – على أن يصل هذا الدين للقاصي والداني جعله يرسل بخيره قياديه ومن ثم يخبرهم عليه السلام بمآل هؤلاء الطغاة وبذا بلغ الرسالة وأقام الحجة على الجاحدين وأما من أراد منهم أ ن يعادي رسول الله ويحاربه فمصيره الهلاك . قال تعالى :وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (2)

روى الواقدي أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كتب كتاباً إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، مع شجاع بن وهب ، وأورد نصه. وقد امتعض الحارث ولم يوافق على الإسلام وحشد قواته للزحف على المدينة؛ ولكن هرقل تدخل ودعاه إلى إيليا – بيت المقدس.

---

(1) ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع –الطبقات الكبرى – ج- مصدر سابق – ص- 261

(2) سورة الأحقاف الآية - 32

وقد بعث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- شجاعاً إليه حين مرجعه من الحديبية ، ومن خلال رواية شجاع في قصته معه يظهر أنه كتب إليه في نفس الوقت الذي كتب فيه إلى هرقل مع دحية ، لأن شجاعاً عندما جاء إلى الحارث وجد دحية مع القيصر في إيلياء .

عندما أتيحت الفرصة للرسول- صلى الله عليه وسلم- بعد صلح الحديبية لتوسيع نطاق الدعوة إلى الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها؛ لأن الإسلام رسالة عالمية غير محدودة المكان ، كما جاء التصريح بذلك في بعض الآيات القرآنية الكريمة ، مثل قوله تعالى:" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ(1) وقوله تعالى :" قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ "(2) وقوله تعالى :" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " (3) ، ولذا كان من البديهي أن يقوم الرسول- صلى الله عليه وسلم- بإرسال الرسائل إلى زعماء العالم المعاصرين له .

هناك اضطراب في الروايات التي تناولت تواريخ إرسال الرسائل. فقد روى ابن سعد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، وكتب إليهم كتاباً ، فخرج ستة نفر في يوم واحد ، وذلك في المحرم سنة سبع من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم . (4)

ويذكر الطبري أن بعث هؤلاء النفر الست كان في ذي الحجة. وهي من رواية الواقدي. وواضح من نص خبر الواقدي عند ابن سعد أن رجوع النبي – صلى الله عليه وسلم – من الحديبية كان في ذي الحجة ، وأن إرسال النفر الستة كان في المحرم من العام السابع ، خلاف الطبري. أما ابن إسحاق فلا يحدد تاريخا دقيقا لإرسال الرسل ، بل جعل ذلك ما بين الحديبية ووفاته ، حيث قال "كان رسول الله-

---

(1)سورة سبأ الآية -28
(2)سورة الأعراف -158
(3)سورة الأنبياء الآية -107
(4) ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع –الطبقات الكبرى – ج- مصدر سابق – ص- 258

صلى الله عليه وسلم- قد فرق رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاة إلى الله عز وجل فيما بين الحديبية ووفاته.واستدرك عليه ابن هشام في زيادات السيرة قائلاً بأن إرساله الرسل كان بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية .

ويؤرخ ابن سعد لرسالة كسرى قبل ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادي الأولى سنة سبع ، التي قتل فيها كسرى. وذكر البخاري رسالة كسرى في أعقاب غزوة تبوك في العام التاسع الهجري ، لكن من الواضح أن البخاري لم يراع عنصر الزمن في سرد محتويات (صحيحه) ، لأنه يجمع ما يقع على شرطه من البعوث والسرايا والوفود ولو تباينت تواريخهم ، وقد نبه ابن حجر إلى احتمال تصرف بعض رواة صحيح البخاري في تقديم وتأخير بعض التراجم ، مثل تقديم حجة الوداع على غزوة تبوك .إن الدراسة التفصيلية لتلك الرسائل تجعل النفس تميل إلى قبول ما ذكره ابن إسحاق.

المبحث الثالث
حل أزمة المستضعفين

في مجرى التحوّلات التي حصلت في أعقاب موقعة الأحزاب، دلّت الوقائع والمعطيات أنَّ مكة فقدت تفوقها، بل أصبحت محاصرة ومعرضة للغزو، وإلى ذلك أشار الرسول بقوله: "الآن نغزوهم ولا يغزوننا "[1]

وما كشفت عنه بوضوح حالة التداعي هذه، توسعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لدائرة استهدافا ته في جوار المدينة وأطراف الشام، حيثُ تمّ الاتصال بالقبائل العربية المتنصرة التي كانت تقبع تحت حكم الروم الخارجين من الانتصار حديثاً على الفرس، وهم منهمكون في إعادة ترتيب أوضاع هذه البلاد وإخضاعها لحكم مباشر.كما ذكر القرآن الكريم الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "[2]

---

(1)البخاري : ج- 4- مصدر سابق (كتاب المغازي – باب غزوة الخندق وهي الأحزاب) رقم الحديث : 3883-ص-1508

([2]) سورة الروم الآيات -1-6

تكتسب غزوة الحديبية التي مهدت لفتح مكة أهميتها، وذلك لما تنطـوي عليـه من عناصر قوّة ونفوذ، كمعقل للوثنية ومركز للتجـارة وسـوق للقبائـل، وحـرص الرسول– صلى الله عليه وسلم – من قيامه بهذه الغزوة أن تتسم بالطـابع الـسلمي لأداء مناسك العمرة، ما أحدث إرباكاً بين قادة قريش، لأنَّ الرسول – صلى الله عليـه وسلم – كان يريد التوصل إلى الاعتراف القرشي بحقّ الاعتمار له ولأصحابه، مؤكداً في الوقت نفسه على قدسية الكعبة التي كانت قريش والقبائل تقدسها، ولكن مع فارق في المضمون بين النظرتين الإسلامية والوثنية.فالنظرة الإسلامية للبيت هـو نظـرة تعظيم وأمن وشرف وعبادة لله خالصة .كما قال تعالى : وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِـيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ "(1) والنظر ة الوثنية للبيت هـو إتبـاع الهـوى وعوائد الأجداد " وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَـذَابَ بِمَـا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ "(2)

وكذلك لخصت الآية الكريمة النظرة الإسلامية، حيثُ جاء في قولـه تعـالى: " وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَـائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُـلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ"(3)

لقد انطوى قرار النبيّ – صلى الله عليه وسلم – في التوجه سلمياً إلـى مكـة على درجة عالية من البراعة والحكمة في آن واحد ، وذلك ليكـشف التنـاقض فـي موقف مكة أمام العرب، وإحراج موقفها من خلال أدائه للعمرة كـأي قاصـد البيـت للتعظيم ؛ولكي يعطي للإحراج أثره ألاستقطابي على المستوى السياسي، دعا القبائـل العربية للخروج معه، ولكنَّها أبطأت عنه ولـم يخرج منها إلاَّ القليل، ما يـشير إلـى استمرار المخاوف عند هذه القبائل من تعرّض مصالحها للخطر، خاصة بعد أن عرفوا أنَّ أهل مكة سوف يقاتلون النبيّ محمَّد – صلى الله عليه وسلم – وسوف يمنعونـه

---

(1) سورة البقرة الآية -125
(2) سورة الأنفال الآية -35
(3) سورة الحج الآية -26 -27

من الوصول إليها، مع ما تجره المواجهة في حال حصلت من عواقب وخيمـــة علـــى مصالحها.

وفي حال نجاح الرسول – صلى الله عليـــه وســـلم – فـــي بلـــوغ مقـــصده، فالاعتذار هو السبيل إلى نيل رضاه، ولكنَّ اللّه سبحانه وتعالى كشف حقيقة مواقفهم، حيثُ جاء في الآية الكريمة: "سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَـيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا* بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ الـسَّوْءِ وَكُنـتُمْ قَوْمًا بُورًا * وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا " ([1])

وما تكشف عنه هذه الغزوة، هو سيطرة المناخ السلمي الـذي كـان ينـشره الرسول – صلى الله عليه وسلم – في مجمل العلاقات بين القبائل والمـسلمين، مـا يعزّز من فرص قيام روابط بينه وبينهم لنشر الدعوة وتقبلها من الآخر.

وخرج رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – إلى مكة في أوائل سـنة سـت للهجرة، معتمراً لا يريد حرباً، ولما وصل إلى عسفان علم بخروج قريش لمنعه مـن الوصول إلى مكة، قال: "ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سـائر العـرب، فـإن هـم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني اللّه عليهم دخلوا في الإسلام وافـرين، وإن لـم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة". ([2])

كان العدد الذي شارك في الغزوة بين ألف وأربعمائة وألف وستمائة، شـكلت فيه "أسلم" ثُمن المهاجرين، وحاولت قريش استخدام الوسائل كافة لاستدراجه وإيقاعه في فخ التصادم معها، ولكنَّه – صلى الله عليه وسلم – وبالرغم من كـلّ المحـاولات الاستفزازية، بقي متمسكاً بخياره السلمي، للحفـاظ علـى المـسلمين داخـل مكـة، وللأسباب آنفة الذكر ً، حيثُ جاء في قوله تعالى: هُمُ الَّذِينَ كَفَـرُوا وَصَـدُّوكُمْ عَـنِ

([1]) سورة الفتح الآية – 11- 12 13-
(2) أحمد ابن حنبل – المسند –ج-4- مصدر سابق (حديث المسور بن مخزمة الزهري ومروان بن حكم رضي الله عنه) رقم الحديث : 18930-ص- 323

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " (1)

وبعد مفاوضات طويلة تخللته التهديدات والتهديدات المضادة والمبايعة على القتال، وغير ذلك من أساليب المناورة، توصل الفريقان إلى توقيع هدنة لمدة عشر سنوات كانت بمبادرة من الرسول – صلى الله عليه وسلم – " إنا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فو الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره(2)

وأبرم الرسول – صلى الله عليه وسلم – صلح الحديبية لحل أزمة المستضعفين داخل مكة تحت وطأة المشركين وكذلك عدم التكافؤ في القوة بين الفريقين فالمستضعفون داخل مكة هم الهدف الأول للمشركين إذا قامت شرارة الاحتراب لهذا وغيره تمت الاتفاقية وبينت شروطها .

وقبل أن تخرج الاتفاقية إلى النور اصطدمت بعقبة عدم جواز ارتحال المنتمين من مكة ومهاجرتهم إلى المدينة، كما في قصة أبي جندل بن سهيل بن عمرو المفاوض القرشي يريد الهجرة إلى المدينة فطلب سهيل من النبيّ – صلى الله عليه وسلم – ردّه فردّه، الأمر الذي أزعج المسلمين، ولكنَّ الرسول – صلى الله عليه وسلم – إيماناً منه للوفاء بالعهد والاتفاق، طلب من أبي جندل أن يصبر ويحتسب، وقال له: "يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإنَّ اللّه جاعلٌ لك ولمن معك من

---

(3) سورة الفتح الآية- 25

(1) الطبراني :سليمان بن أحمدبن أيوب – المعجم الكبير – ج-20- تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي – مكتبة العلوم والحكم – الموصل – الطبعة الثانية -1404هـ 1983م –ص- 9

المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد اللّه وإنّا لا نغدر بهم"([1])

كما تعرضت الاتفاقية لاختبار قاسٍ من جانب أبو بصير عبيد اللّه بن أسـيد، الذي كان قد قتل الرجلين اللذين أوكلا بمهمة اصطحابه إلى مكة خارج المدينـة دون إذن الرسول – صلى الله عليه وسلم- وكان قد حبس بمكة مع آخرين، وخـرج إلـى المدينة ليستقر به المقام فيها مع المسلمين، ولكنَّ بنود الاتفاقية حالـت دون إمكـان استقباله فيها، حيثُ أرسلت قريش وراءه اثنين من رجالها يرجعان به إليها، ولكـنّ الرسول –صلى الله عليه وسلم- أراد الالتزام بالهدنة وحاول إعادته، قائلاً له: "يا أبا بصير، إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علّمك، ولا يصح لنا في ديننا الغدر، وإنَّ اللّه جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك"، وحزن أبو بصير عندما سمع كلام رسول اللّه (ص)، وقال له: "يا رسول اللّـه، أتردّنـي إلـى المشركين ليفتنوني في ديني"؟ ولـم يردّ النبيّ – صلى الله عليه وسلم – عن تكـرار رجاء أبا بصير في الفرج القريب، ثُمَّ أرسل أبا بصير مع القرشيين ليعودوا جميعاً إلى مكة.ولكن أبا بصير رفض أن يعود إلى مكة، فاحتال في أثناء الطريق وامتشق سيف أحد الحارسين وقتله، ففرَّ الآخر مذعوراً، وقفل راجعاً إلى المدينة يخبر رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – بما وقع لصاحبه، وإذا أبو بصير متوشحاً للسيف يقول:" يـا رسول اللّه وفت ذمتك، وأدّى اللّه عنك، أسلمتني بيد القوم وامتنعت بديني أن أفـتن فيه أو يعبث بي فقال رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – "يا ويل أمّه، مسعر حرب لو كان معه رجال"، وأدرك أبو بصير أن لا مقام له في المدينة، ولا مأمن له في مكة، فانطلق إلى ساحل البحر من ناحية تدعى العيص، وشرع يهدّد قوافل قريش المـارة بطريق الساحل، وسمع المسلمون بمكة عن مقامه، وعن كلمة الرسول – صـلى الله عليه وسلم – فيه: "مسعر حرب لو كان معه رجال"، فتلاحقوا بأبي بـصير يـشدّون أزره، حتّى اجتمع إليه قريب من سبعين ثائراً فيهم أبو جندل بن سهيل بـن عمـرو، وأخذوا يضيقون على قريش لا يظفرون بأحد منهم إلاَّ قتلوه، ولا تمرّ عليهم عير إلاَّ

(2) أحمد بن حنبل :ج-4- مصدر سابق حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم رضي الله تعالى عنه)رقم الحديث 1893- ص- 323

اقتطعوها، حتّى كتبت قريش إلى رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – تناشده الرحم أن يأوي إليه هؤلاء.

كما جاء في صحيح البخاري " ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال أبو بصير أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه (لقد رأى هذا ذعرا) .
فلما انتهى إلى النبي–صلى الله عليه وسلم– قال قتل والله صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده بالله والرحم لما أرسل فمن آتاه فهو آمن فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم [1] **فأنزل الله تعالى" وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** [2]

---

(1) البخاري : ج- 2-مصدر سابق (كتاب الشروط – باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط) رقم الحديث: 2581- ص- 974
(2) سورة الفتح الآيات -23-26

وبهذا الطلب تكون قريش قد تنازلت عن حقّها في استرداد الفارين من مكة إلى المدينة، ولم يعد أبو بصير إلى رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – لأنَّه كان يحتضر،ولم يزل أبو جندل وأبو بصير وأصحابهما الذين اجتمعوا إليهما هنالك حتى مر بهم أبو العاص بن الربيع وكانت تحته زينب بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الشام في نفر من قريش فأخذوهم وما معهم وأسروهم ولم يقتلوا منهم أحدا لصهر أبى العاص رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبو العاص يومئذ مشرك وهو ابن أخت خديجة بنت خويلد لأمها وأبيها وخلوا سبيل أبي العاص فقدم المدينة على امرأته وهي بالمدينة عند أبيها كان أذن لها أبو العاص حين خرج إلى الشام أن تقدم المدينة فتكون مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكلمها أبو العاص في أصحابه الذين أسر أبو جندل وأبو بصير وما أخذوا لهم فكلمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ذلك فزعموا أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قام فخطب الناس وقال إنا صاهرنا ناسا وصاهرنا أبا العاص فنعم الصهر وجدناه وأنه أقبل من الشام في أصحاب له من قريش فأخذهم أبو جندل وأبو بصير فأسروهم وأخذوا ما كان معهم ولم يقتلوا منهم احدا وإن زينب بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سألتني أن أجيرهم فهل أنتم مجيرون أبا العاص وأصحابه فقال الناس نعم فلما بلغ أبا جندل وأصحابه قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أبي العاص وأصحابه الذين كانوا عنده من الأسرى رد إليهم كل شيء أخذ منهم حتى العقال" ([1]) أمّا أبو العاص بن الربيع فارتحل ببضائع قريش حتّى قدم مكة، فأدّى إلى النّاس أموالهم، حتّى إذا فرغ قال: "يا معشر قريش، هل بقي لأحد عندي منكم مال لم أردّه عليه"؟ قالوا: "لا، فجزاك اللّه خيراً، وقد وجدناك وفياً كريماً"، قال: "واللّه ما منعني أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلاَّ أن تظنوا أنّي أسلمت لأذهب بأموالكم، فإنّي أشهد أن لا إله إلاَّ اللّه وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله" ([2]) وعاد إلى المدينة، فردّ عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – امرأته زينب، وكان اختلاف الدين فرَّق بينهما. ([3])

---

(1) أبو القاسم علي بن هبة الله –تأريخ دمشق –ج-67-تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامه – ج- 67-دار الفكر –بيروت -1995م- ص- 15

(2) الحاكم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله – المستدرك على الصحيحين – ج- 3- تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية –بيروت – الطبعة الأولى : 1411هـ 1990م (ذكر مناقب أبي العاص بن الربيع) ص- 263

(3) أبو الفداء : إسماعيل بن كثير –تفسير ابن كثير –ج-4-مصدر سابق – ص-352

وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدل على حالة الضعف-عدم المقاوم- في نفوذ القرشيين على طول الساحل، وخصوصا في المنطقة التي تجمَّع فيها المسلمون الفارون بدينهم وأرواحهم من إرهاب قريش، كما يدل على عمق الرغبة التي كانت قريش تميل إليها في المحافظة على الهدنة وعدم خرقها من قبل الرسول – صلى الله عليه وسلم .

واصطدمت الاتفاقية بعقبة أخرى تمثّلت برغبة المؤمنات بالهجرة من مكة، حيثُ وقف النبيّ – صلى الله عليه وسلم – موقفاً حاسماً من قضيتهن، ويروى في ذلك أنَّ امرأةً مسلمة هي أم كلثوم بنت عقبة خرجت من بيتها مهاجرة إلى رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – فخرج أخواها يسألان محمَّداً – صلى الله عليه وسلم – أن يردّها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش في الحديبية، ولكنَّه لم يستجب لمطلبهما، وفي هذه الحادثة نزلت الآية الكريمة وهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ([1])

وهذه الحوادث كشفت بوضوح عن خلفيات موقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – وعن صحة رؤيته، حيث اعتبر هذا الصلح فتحا مبينا .كما قال تعالى : إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا([2])

"فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمترلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى فإن قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن

---

(1) سورة الممتحنة الآية -10

(2) سورة الفتح الآية -1-3

لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة – من حيث إنه جهاد للعدو – سببا للغفران والثواب والفتح والظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لأنه منغلق ما لم يظفر به فإذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة"([1]) وقيل "المراد بالفتح فتح مكة"([2]) وعد الله تعالى به نبيه –صلى الله عليه وسلم– قبل حصوله وعبر عنه بصيغة الماضي لأنه متحقق الوقوع . وقيل المراد به صلح الحديبية نفسه لأنه كان سبب استقرار المسلمين وأمن الناس فانتشر الإسلام وأقبلت وفود القبائل على المدينة تعلن ولاءها لرسول الله– صلى الله عليه وسلم –واعتناقها لدين الله عز وجل وهذا ما أشار إليه عدد كبير من المؤرخين، حيث قال الزهري: "وما فتح في الإسلام قبله كان أعظم منه، إنَّما كان القتال حيث التقى النّاس، فلمّا كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وآمن النّاس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، لم يكلّم أحداً بالإسلام يعقل شيئاً إلاَّ دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين ــ بعد الحديبية ــ مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

نزلت بعد الحديبية والمراد بالفتح فتح مكة وعد الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم قبل حصوله وعبر عنه بصيغة الماضي لأنه متحقق الوقوع . وقيل المراد به صلح الحديبية نفسه لأنه كان سبب استقرار المسلمين وأمن الناس فانتشر الإسلام وأقبلت وفود القبائل على المدينة تعلن ولاءها لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعتناقها لدين الله عز وجل ([3])

ويستدل ابن هشام على صدق قول الزهري، ما جاء في حديثه عن المقارنة بين العدد الذي خرج به الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الحديبية، وكان ألفاً وأربعمائة، والعدد الذي خرج به في عام الفتح بعد ذلك بسنتين وهو عشرة آلاف. ومن جانب آخر، وضحت الأبعاد والمكاسب التي حققّها المسلمون بعد الصلح مباشرة، حيث تمكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – من حسم الصراع مع اليهود

(1) الزمخشري : الكشاف –ج- 4- مصدر سابق – ص-334

(4)السمعاني : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني –تفسير السمعاني –ج-5 –تحقيق :ياسر إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى : 1418هـ 1997م –ص-201

(3) البخاري :ج-4-مصدر سابق (كتاب التفسير – باب تفسير سورة الفتح) ص- 1828

في شبه الجزيرة العربية – خيبر والمعاقل اليهودية في الحجاز– ولـــم يكـن هـذا ليتحقّق لولا الانصراف المؤقت عن الصراع مع قريش. يضاف إلى ذلك، أنَّ الرسـول – صلى الله عليه وسلم – كان قد أدّى العمرة بعد مرور عام من توقيع الصلح وكـان ذلك في رجب من سنة سبع، فضلا عن التأثيرات التي تركتها علـى حركـة القبائـل العربية التي أخذت تعيد النظر في مواقفها، ما جعل الموازين تختل لصالح المدينـة، والتي تجاوزت حدود الحجاز والمحيط لتفتح بذلك صفحة جديدة نحو آفاق أوسع في مشارق الأرض ومغربها نشرا للدعوة إلى الله وإصلاحا لمجتمعاته.

المبحث الرابع

إقرار مبدأ السلام العادل

لعل الإسلام هو الدين الوحيد الذي عُني عناية فائقة بالـدعوة إلـى السلام وجعلها دعامته الأولى.. وقد تناول كتابه القرآن الكريم –السلم والسلام– فـي عشرات من آياته المحكمات.ليس ذلك فحسب، بل إن السلام اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته قال تعالى :" هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ " ([1]) وجعله تحيته إلى عباده، وأمرهم بأن يجعلوا السلام تحيتهم يلقيها بعضهم على بعض وشعارهم في جميع مجالات الحياة، في المسجد والمعهد والمصنع والمتجـر..وسـمّى الجنّـة دار السلام: " وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " ([2]) " وقال تعالى :لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ "([3])

([1]) سورة الحشر الآية - 23

([2]) سورة يونس الآية -25

([3]) سورة الأنعام الآية -127

وقال تعالى :دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "[1] وجعله سبحانه وتعالى جزاء على رضــوانه: كمــا قــال تعالى : يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [2] والآيات التي تناولت السلام كثيرة، تتدرج كمــا في قوله تعالى:" سَلَامٌ قَوْلًا من رَّبٍّ رَّحِيمٍ"[3]وقال تعالى: "سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ "[4] وقال تعــالى: سَــلَامٌ عَلَــى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ "[5]

وقال تعالى: "سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِــنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ." [6] سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ" [7]وقال تعالى: وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَــلِينَ [8] إلى قوله عز من قائل: " سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ"[9] وقال تعــالى: " وَقَــالَ لَهُــمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ"[10] إلى أن يقول: "فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ"[11]

من هنا كان السلام شعار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها منذ ظهور الإسلام حتى الآن. وهو شعار يُلقيه المسلم على صاحبه كلما لقيه وكلمــا انــصرف عنه، فيقول له: - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته- ويلقيه المسلم كل يوم خمــس مرات على الأقل في الصلوات المفروضة حين يصلي ويقرأ التحيات ويخــتم صــلاته بقوله: - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته- مرتين، مرة ذات اليمين وأخــرى ذات الشمال. ــ إذن ــ أن يكون هذا الشعار الذي يردده المسلم كل يوم وكل ساعة، مــن أعظم القيم الدينية.قال تعالى : " وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَــا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا [12]

---

[1] سورة يونس الآية -10
[2] سورة المائدة الآية 16
[3] سورة يسن الآية -58
[4] سورة الصافات الآية -79-80-81
[5] سورة الصافات الآية -109-110-112
[6] سورة الصافات الآية -120-121-122
[7] سورة الصافات الآية -130
[8] سورة الصافات الآية -181
[9] سورة القدر الآية -5
[10] سورة الجاثية الآية -89
[11] سورة الزمر الآية -83
[12] سورة النساء الآية -86

فالسلام من أسماء الله الحسنى فما معنى هذا؟ يقول الغزالي في كتابه القيم – المقصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى– السلام هو الذي تسلم ذاته من العيب وصفاته من النقص وأفعاله من الشر، حتى إذا كان كذلك، لم يكُن في الوجود سلامة إلا وكانت معزوة إليه صادرة منه. وقد فهمت أن أفعاله سالمة من الشر، أعني الشر المطلق المراد لذاته لا لخير حاصل في ضمنه أعظم منه، وليس في الوجود شيء بهذه الصفة. فالسلام، باعتباره اسماً من أسماء الله الحسنى، له قيمة مطلقة حتى إذا نزلنا إلى مرتبة البشر كان السلام نسبياً بالإضافة لا مطلقاً، وكانت قيمته الإنسانية أقل بطبيعة الحال من قيمته الإلهية والعلة في ذلك، أن الإنسان تدفعه شهواته إلى النقص والشر.. ولذلك يضيف الغزالي مستطرداً بعد شرح اسم السلام:

كل عبد سلم من الغش والحقد والحسد وإرادة الشر قلبه، وسلم من الآثام والمحظورات جوارحه، وسلم من الانتكاس والانعكاس صفاته، فهو الذي يأتي الله بقلب سليم ، قال إبراهيم عليه السلام " وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ   يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ "([1])

وهو السلام من العباد، القريب في وصفه من السلام المطلق الحق الذي لا ثنائية في صفته، وأعني بالانتكاس في صفاته أن يكون عقله أسير شهوته وغضبه إذ الحق عكسه، وهو أن تكون الشهوة والغضب أسير العقل وطوعه.. فإذا انعكس فقد انتكس.

فإذا وعي ذلك، عرف أن المطلوب بأن تكون صفات المسلمين قريبة من صفات الله، وترتفع قيمتهم كلما تدرجت في سلم هذه الصفات، بحيث تكون أقرب شيء إلى الله تعالى. وكلما ابتعدت عن تلك الصفات هبطت قيمتهم.

عندما تلقي التحية على الغيرـ إنما نُلقي اسماً من أسماء الله ، بأن تكون صفاتهم قريبة من صفة السلام، وهي السلامة من العيب والنقص.قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا "([2]) ومن هنا تنعقد الصلة بين السلام والإسلام. لقد قيل في تعريف الإسلام الشيء الكثير: قيل: إنه من الانقياد أو من

([1]) سورة الشعراء – الآيات -87-88-89

([2]) سورة النساء الآية -94

الاستسلام([1]) أي الانقياد إلى أوامر الله والاستسلام له تعالى باجتناب نواهيه.. ولكن هذا المعنى تصرف به كثير من المسلمين حتى خرجوا به عن معناه الأصيل وقيمته الحقيقية، وظنوا أن الاستسلام هو هذا السلوك السلبي الذي يهدر معنى الإنسانية، وأصبح الإسلام مجرد خضوع وخنوع. ([2])

وقيل: إن الإسلام من السلامة والخلوص من الشوائب والنقص.. ([3])وهذه القيمة قريبة إن لم تكن مطابقة للمعنى الذي ذهب إليه الغزالي. وقيل: إن الإسلام من السلام الذي هو ضد العدوان.. سلام ــ أولاً بين العبد وبين نفسه، ثم سلام ــ ثانياً ــ بينه وبين الله تعالى، ثم سلام ــ ثالثاً ــ بينه وبين غيره من الناس. وهذا المعنى الأخير يلائم المفاهيم الجارية في العصر الحاضر.. فالعالم يعيش في خوف وهم وقلق خشية الوقوع في حرب مدمرة " وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ"([4]) ، وهناك أمم تدعو إلى الحرب، وتعدّ لها العدة، وأخرى تنادي بالسلام. الإسلام دين يدعو إلى السلام ويضع هذه القيمة على رأس القيم التي فيها صلاح العالم وخيره والأخذ بيده. لقد قام الوطن الإسلامي الأول في ظل النبي العظيم – صلى الله عليه وسلم – على أساس توافر هذه المقومات التي لم ينقص من أهميتها وأثرها في تكوين الوحدة الوطنية أن يكون لأبنائه يومئذ أكثر من دين واحد، قامت دولة الإسلام الأولى.

فإذا دستورها المثالي كما تقرره صحيفة الموادعة بين المسلمين واليهود، ببسط جناح الأمن والسلام والإخاء على أهل المدن جميعها بدرجة واحدة. مساواة تامة في الحقوق والواجبات، لا يلمح فيها ظل للتفريق بين المسلم صاحب الأكثرية والرياسة وبين اليهودي الذي يمثل الأقلية التابعة، فضلاً عن المسيحي الذي تشده إلى المسلم روابط وثيقة، لا يمكن لإنسان أن ينال منها فيظفر بفكاكها، فهي باقية خالدة على الأيام والدهر، لا تزعزعها الحوادث، ولا تنال منها الأحداث.

تسامُح الإسلام :

(3) الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي- إحياء علوم الدين – ج-1- دار إحياء الكتب العربية –القاهرة-د-ت-ط-ص-13

([2]) عبد الكريم زيدان – أصول الدعوة – صدر سابق –ص- 8

([3]) المصدر نفسه–ص- 8

([4]) سورة البقرة الآية -205

لقد كان للإسلام مع إخوانه أتباع الشرائع السماوية الأخرى قصصاً يرويها التاريخ بإعجاب وإكبار وتقدير. فلم يُسمع عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم – أو عن أحد من خلفائه أنهم قَتلوا نصرانياً لأنه لم يُسلم. ولم يُسمع عنهم أنهم عذبوا كتابياً أو سجنوه أو منعوه من التعبد وإقامة شعائر دينه ولم يُنقل عنهم أنهم خلال فتوحاتهم الحربية ودعواتهم السلمية، هدموا كنيسة أو قوضوا بيعة ولا يقبل الإسلام من المر ء إلا الاستسلام لله الكامل مظهرا وجوهرا قال تعالى :" قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ "(1) وقال تعالى : أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ (2) وعموما لا إكراه في الدين " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (3)

وإنما قال التاريخ: إن رسول الله– صلى الله عليه وسلم – صالح نصارى نجران فكتب لهم عهداً جاء فيه: "ولنجران وحاميتها جوار الله وذمة محمد على أموالهم وأنفسهم وملتهم وبيعهم وغائبهم وشاهدهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش"

حتى أن بعض الخلفاء المسلمين، كما يقول (آدم ميتز)، كانوا يحضرون مواكب النصارى وأعيادهم، ويأمرون بصيانتها، وأن الحكومة في حالة انقطاع المطر كانت تأمر بتسيير مواكب يسير فيها النصارى وعلى رأسهم الأسقف، واليهود ومعهم النافخون بالأبواق، وأن الأديرة كذلك ازدهرت وتكاثرت.ولم يقف تسامح المسلمين عند هذا الحد، فهذا–آدم ميتز– أيضاً يقول مُظهراً استغرابه وتعجبه:

ومن الأمور التي نعجب بها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية، فكأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام. (4)

---

(1) سورة الأنعام الآية -161-162

(2) سورة يونس الآية -99

(3) سورة البقرة الآية -256

(2) أدم ميتز – الحضارة الإسلامية القرن الرابع الهجري –ج- 1–ترجمة الأستاذ – محمد عبد الهادي أبو ريدة الطبعة الرابعة (فصل اليهود والنصارى) ص- 8

أجل، الإسلام دين يدعو إلى السلام، وإذا كانت قد نشبت حروب في الإسلام منذ ظهوره، فإنما كانت لدوافع منها صد العدوان والدفاع عن النفس، ومحاربة المشركين والطغاة والظالمين والفاسقين إقرارًا لدين الله وإعلاءً لكلمته وتطهيراً للأرض من دنس البغاة والطغاة.

ولم تَكَد هذه القيمة الجديدة تُلقى في الميدان الدولي، أي السلام، حتى لقيت آذاناً صاغية، فقبلتها جميع الشعوب في سائر الدول، وقبلتها دول كثيرة لا مصلحة لها في الحروب.

وهكذا دعوة السلام تغزو العالم كله من جديد وستنتصر بإذن الله ؛لأنها الحق؛ لأنها دعوة دينه الإسلام الذي ارتضاه لنفسه ولعباده الصالحين ، وبهذا يجب أن يتم التعاون و التآلف وبذا تتحقق التنمية ويقوم العمران وتذهب الاضطرابات من النفوس ويقشع القلق من القلوب.

الإسلام دعوته إلى السلام صريحة. قال تعالى: وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"[1] ويخطئ مَن يظن أن انتشار الإسلام كان بحدّ السيف أو بما يسميه بعض المستشرقين –الجهاد- ذلك إن الجهاد المقصود هو جهاد النفس لا العدوان بغير حق أو فساد في الأرض وكذلك جهاد المعتدين والظالمين كالصهاينة والمستعمرين. و صلح الحديبية بملابساته وشروطه المدى الذي وصلت إليه مرونة الرسول- صلى الله عليه وسلم –على طلب السلام؛ لأن ظروف الأمن والسلام هي المناخ الملائم لدعوة الإسلام التي يراد لها الدخول إلى القلوب والعقول. ومن البديهي أن مناخ الحرب والقتال لا مكان فيه لتفتح العقول والقلوب على الحق، ولا على الحوار الإيجابي. وكما أثبت التاريخ، فقد كان هذا الصلح على ما فيه في مظهره من إجحاف فتحاً مبيناً، وفيه نزل قوله تعالى: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً" [2]

الإسلام واليهود:

اليهود كانوا عبر العصور ــ ولا يزالون ــ يجافون الوحدة الإنسانية ويؤثرون عليها الحياة العنصرية استجابة لأنانيتهم وانبعاثاً من شهوة الحقد والتمييز والتفاخر والاستعلاء على مَن عداهم.. كما كانوا ــ ولا يزالون ــ مصدر القلاقل لهذا العالم ومثار الفتن والشرور فوق ترابه. ومطامع اليهود في بلاد المسلمين خطيرة

([1]) سورة الأنفال الآية -61

([2]) سورة الفتح الآية -1

وكثيرة لا تقف عند حد. وأحلامهم العالمية في إقامة دولة يهودية كبرى ليس لها نهاية. والفساد في بني إسرائيل داء قديم وأصيل. إذ لما بُعث موسى – – عليه السلام – لإنقاذهم كان موقفهم معه كما جاء في قول الله سبحانه:

" فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ"([1]) ثم كان من تمردهم عليه أن عبدوا العجل حين غاب موسى عنهم: " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ" ([2])

بل إنهم ما كادوا يخرجون من البحر بالمعجزة الإلهية الكبرى حتى وجدوا قوماً يعكفون" وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ([3]) ولم يقف تمرد اليهود على موسى وتبرمهم به عند هذا الحد، بل فعلوا معه أكثر من ذلك كله حين اتهموه بقتل أخيه هارون."عن عبد الله بن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– إن الله أوحى إلى موسى بن عمران أني متوفى هارون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فإذا هم فيه بشجرة مثلها ببيت مبني وإذا هم فيه بسرير عليه فرش وإذا فيه ريح طيب فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه وقال يا موسى إني لأحب أن أنام على هذا السرير قال له موسى فنم عليه قال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال له موسى لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فنم فقال يا موسى بل نم معي فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعا فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير إلى السماء فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا إن موسى قتل هارون وحسده حب بني إسرائيل له وكان هارون آلف عندهم وألين لهم من موسى

([1]) سورة يونس الآية -83
([2]) سورة البقرة الآية -54-55
([3]) سورة الأعراف الآية -138

وكان في موسى بعض الغلظ عليهم فلما بلغه ذلك قال لهم ويحكم إنه كان أخي أفتروني أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه" ([1])

وكذلك تمردهم على الله قال تعالى : لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ" ([2])

وقوله تعالى :" وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " ([3])

ولم تتغير طبائع اليهود بمضي الزمن إلى أيام السيد المسيح –عليه السلام – أما القرآن الكريم فقد أحسن حين وصفهم بأنهم أعداء الله، وعبد الطاغوت وأبناء القردة والخنازير. قال تعالى :" قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ"([4])

ذلك لأن اليهود ــ على اختلاف فروعهم ــ من أهل خيبر أو بني قريظة أو بني قينقاع أو بني النضير، كل أولئك قد عادوا الإسلام عند ظهوره، وآذوا نبي الإسلام وأصحابه، ولاقى المسلمون الأولون من مؤامراتهم وخداعهم وحيلهم ودسائسهم ما أفاضت بذكره كتب التاريخ. الأمر الذي حمل رب العالمين على وصفهم بأنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، بل وقدمهم بالذكر على المشركين في العداوة للمسلمين. قال تعالى :" لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ"([5])

الإسلام والنصارى:

([1]) الحاكم : المستدرك على الصحيحين- ج- 2-مصدر سابق (ذكر وفاة هارون بن عمران) ص- 632
([2]) سورة آل عمران الآية -81
([3]) سورة المائدة الآية -64
([4]) سورة المائدة الآية -59-60
([5]) سورة المائدة الآية -82

أما النصارى فهم بخلاف اليهود في نظر الإسلام. والله سبحانه حين وصف اليهود بأنهم أهل عداوة للمؤمنين وصف النصارى بأنهم أهل مودة لهم بقوله تعالى: " وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ"[1]

أجل، كان النصارى مع المسلمين الأولين على تفاهم ومودة، وهؤلاء النصارى – بعكس اليهود يأخذون أنسهم في كتبهم المقدسة بمبادئ العفو والصفح والإخاء والمحبة والزهد في الدنيا والبعد عن كل ما يعكر صفو البشر ويعوض المجتمعات الإنسانية للحروب والكوارث.

وقد بدا هذا واضحاً في سلوك النجاشي –إمبراطور الحبشة– حيث بكى بكاء حاراً حين تلا عليه جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه سورة مريم– من القرآن الكريم.

أما الحروب الصليبية وما رافقها من عنف وشراسة من قبل نصارى الغرب، فخير جواب على ما حدث فيها هو القول بأن أولئك النصارى قد انحرفوا عن مبادئ دينهم التي تقوم على التسامح والمحبة، وتهافتوا على عرض الدنيا أسوة باليهود فأخذوا حكمَهم لجهة عدم جواز موالاتهم من قبل المسلمين ما داموا لهؤلاء محاربين.

إن الإسلام لا يمنع الموالاة والمودة بين أتباعه وأتباع الشرائع السماوية الأخرى ما داموا مسالمين غير محاربين ولا معتد ين لقوله سبحانه: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ "[2]

فيه ثلاث مسائل الأولى هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم قال بن زيد كان هذا في أول الإسلام عند الموادعة وترك الأمر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسختها– فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم– وقيل كان هذا الحكم لعلة وهو الصلح فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي الرسم يتلى وقيل هي مخصوصة في حلفاء النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن بينه وبينه عهد لم ينقضه قاله الحسن الكلبي هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف وقاله أبو صالح وقال هم خزاعة وقال مجاهد هي مخصوصة في الذين آمنوا ولم يهاجروا

([1]) سورة المائدة الآية -82

([2]) سورة الممتحنة الآية - 8

وقيل يعنى به النساء والصبيان لأنهم ممن لا يقاتل فأذن الله في برهم حكـاه بعـض المفسرين وقال أكثر أهل التأويل هي محكمة واحتجوا بأن أسماء بنت أبي بكر سألت النبي – صلى الله عليه وسلم – هل تصل أمها حين قدمت عليها مشركة قال نعم([1])

أن صلح الحديبية كان إصلاحا للمجتمع الإسلامي ؛ لأنه اشتمل عل أساسيات المجتمع من حيث وجود قيادة رشيدة، وقوة صادقة ،وعزيمـة لـن تلـين ،ومـنهج مستقيم، و سياسة حكيمة،ومفاوضات عميقة ، ومغزى بعيد ، ونظرة ثاقبة ، ووجهة قاصدة إلى الله وآيات محكمات .

الخـاتمـة

كلمة الإصلاح ومشتقاتها ،جاءت في القرآن الكريم، أكثر مـن ثمـانين مـرة ،وكلها تدل على إصلاح الفرد والجماعة والمجتمع، بما تحويه من مدلولات؛ والآيـة الكريمة: (لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَـيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْـرًا عَظِيمًـا)خيـر شـاهد للإصلاح وكذا قوله تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) وبالاستقراء في موضوعات الإصـلاح فـي القرآن الكريم، والسنة النبوية ،وفي صلح الحديبية على وجـه الخـصوص يمكـن استخلاص ما يلي:

الإصلاح ومشتقاته جاء في الغالب معرفاً للاستغراق؛ ليشمل إصلاح كل فـساد سواء كان في المعتقدات، أوفي العبادات، أو في المعاملات ،أوفي المعاهدات ،أوفـي العلاقات الزوجية أوفي المعاملات المالية، أو الخلافات الأسرية ،أو العلاقات الدولية، وكلما جنح الفرد أو المجتمع للصلح يكون خيراً (والصلح خير) وحرم الإسلام الكـذب مهما كانت درجته، إلا في حالة الإصلاح.

([1]) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري – تفسير القرطبي – ج-18- مصدر سابق – ص- 18

وتتعدد دوائر الإصلاح بدءا بالفرد؛ ليشمل الإصلاح النواحي الفكرية، والعقلية والروحية والاجتماعية والجسدية،وينتقل الإصلاح لدائرة الأسرة كمكون لمجتمع صغير، يتألف من أب وأم وأولاد؛ لكل دوره في الإصلاح، ومن ثم دائرة الجار ،التي أوصى بها الإسلام ،وصلة ذوي ا لرحم والأخوة الإسلامية، والمجتمع عامة ،ويندراح أنواع الإصلاح الاجتماعي ، والسياسي والعسكري والبدني والروحي، وللإصلاح وسائل متعددة منها: الدعاء ومصاحبة العلماء،ونصح الشباب والتحدث معهم، ومراسلة الشخصيات المؤثرة،والاستفادة من الإمكانات المتاحة ،ومن المهم أن ينضوي المجتمع تحت راية الإصلاح ؛لأن مفهوم الإسلام للمجتمع من يعتقد

بجميع الحواس أن الإسلام دين الإصلاح؛ ولتحقيق هذا المفهوم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – في صلح الحديبية تنازل من لقب –رسول الله– ،وقبل بالصلح، بالرغم أن ظاهره كان فيه إجحاف للمسلمين ، وعدم التعامل بالمثل ؛ لأن الإصلاح يقتضي التنازل .

والنبي –صلى الله عليه وسلم – مأمور من قبل الله بإمضاء هذا الصلح ،ولا يعصي أمر الله مهما اعترض الصحابة والمتأمل في عام هذا الصلح نزول تشريعات عديدة؛ لإصلاح الفرد والمجتمع منها وجوب طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم– لأنه لا تتحقق سعادة الأمة، إلا بطاعته ومتابعة أمره،واجتناب نواهيه وتصديق أخباره ،وبذل الجهد والمال والوقت ، بأداء الشعائر الإسلامية ،والتفقه في أحكامها، ومعرفة صلاة الخوف وأحكامها.

وفي جانب المعاملات بسط الشورى؛لاستخراج الرأي السديد، والتجرد من هوى النفس , والثبات عند مقارعة العدو، والاستعداد لمجابهته ،حتى ولو أدى لفقد الأرواح، والأموال مقابل جنة عرضها السماوات والأرض .والالتزام بما اتفق عليه من عهد وميثاق، وثمرات صلح الحديبية في المجتمع الإسلامي، تتجلى في حرية الدعوة إلى الله التي تفضي بصاحبها إلى آفاق أوسع؛ مما يستوجب نشر الدعوة بطريقة محببة ، ومراسلة الملوك والأمراء،ليكون لهم النصيب الأوفر ،وتبيين محاسن الإسلام وخصائصه؛ لأنه دين البشرية جمعاء ،وذلك بعد وجود الاعتراف العالمي من

قريش بهذا الدين ؛ باعتبارهم القوة العسكرية ومركز الديانة فإذا هدى الله الملوك والأمراء، تتم حل أزمة المستضعفين، الذين هم في القيود الفكرية والعقلية ،ورفع الأغلال والسلاسل عنهم، وهذا بدوره يؤدي إلى إقرار مبدأ السلام العادل، المبرأ من الأهواء والقيود، وبذلك يعيش المجتمع الإسلامي في إصلاح يقود سفينة الحياة إلى مرماها القاصد إلى الله إما إلى النصر المبين وإما إلى الله في الخالدين .

التوصيات

بعد دراسة الموضوع دراسة متأنية أوصي بالآتي

(1) العمل بمضاعفة الجهود لإصلاح النفس تزكية وطهارة

(2) تجديد وسائل الإصلاح من واقع التجارب والمهارات

(3) غرس مفاهيم الإصلاح في الناشئة أولا

(4) إصلاح العقيدة من المفاهيم الهدامة تنقيتا وتأصيلا

(5) الإصلاح ببسط الشورى وفتح باب الحوار بين الراعي والرعية

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

ثبت المصادر والمراجع

أولاً:

(1) القرآن الكريم

ثانياً:كتب التفاسير وعلوم القرآن

م	اسم المؤلف	الكتاب
(2)	ابن الجوزي:عبد الرحمن بن علي بن محمد	زاد المسير في علم التفسير ــ المكتب الإسلامي - بيروت ــ الطبعة الثالثة ــ1404هــ .
(3)	ابن العربي:أبوبكر محمد بن عبد الله	الجامع لأحكام القرآن _ تحقيق:محمد عبد القادر عطــا ــ دار الفكر للطباعة ــ لبنان ــ د ــ ت ــ ط.
(4)	ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر	تفسير بن كثير ــ دار الكر ــ بيروت ــ 1401هــ.
(5)	أبو محمد عبد الحق بن عطية	المحرر الوجيز- مطبعة الدوحة ــ 1402هــ/ 1982م .
(6)	الألوسي:أبو الفضل محمود الألوسي	روح المعاني – دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ د ــ ت ــ ط.
(7)	البغوي:أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء	تفسير البغوي (معالم التنزيل) ــ تحقيق:خالد عبد الرحمن العك ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ د ــ ت ــ ط.

(8)	الرازي:محمد	تفسير الفخر الرازي ــ دار الفكر للطباعة الطبعة الثالثة ــ 1405هــ/ 1985م.
(9)	الزر قاني : محمد عبد العظيم الزر قاني	مناهل العرفان في علوم القرآن ــ دار الفكــر – بيروت–الطبعة الأولى ــ 1996م.
(10)	الزمخشري: أبو القاسم محمود عمر الزمخشري الخوازمي	الكشاف – تحقيق:عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث – بيروت ــ د ــ ت ــ ط.
(11)	السمعاني : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني –	تفسير السمعاني ــ تحقيق :ياسر إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى : 1418هــ 1997م.
(12)	السيوطي:عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين	الدر المنثور ــ الناشر ــ دار الفكر – بيروت – 1993م.
(13)	الشنقيطي:محمد الأمين	أضواء البيان ــ تحقيق –مكتب البحوث والدراسات – دار الفكر ــ بيروت ــ1415هــ.
(15)	الشوكاني:محمد بن علي	فتح القدير ــ دار الحديث ــ الطبعة الثالثة – 1418هــ/1997م.
(16)	الطبري أبو جعفر: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد	جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ دار البشائر الإسلامية – بيروت ــ تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني ــ الطبعة الرابعة ــ 1406 هــ /1986م.
(17)	القرطبي:محمد بن أحمد	الجامع لأحكام القرآن ــ مناهل العرفان ــ ب ــ د ــ ت ــ ط.
(14)	شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري	التبيان في تفسر غريب القرآن ــ تحقيق:د.فتحي أنور الدابولي ــ دار الصحابة ــ طنطا ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ــ1992م.
(18)	محمد إسماعيل إبراهيم	معجم الألفاظ والإعلام القرآنية – دار الفكر العربي ــ بيروت ــ ب ــ د ــ ت ــ ط.

ثالثاً: كتب السنة وشروحها:

م	اسم المؤلف	الكتاب
(19)	**ابن أبي شيبة : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة**	**المصنف في الأحاديث والآثار ـــ تحقيق:كمال يوسف الحوت ـــ مكتبة الرشد ـــ الرياض ـــ الطبعة الأولى ـــ 1409هـــ .**
(20)	**ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن محمد**	**النهاية في غريب الحديث والأثر ـــ تحقيق- طاهر أحمد أحمد الزاوي – ومحمود محمد الطناحي – المكتبة العلمية بيروت ـــ1399هـــ/ 1979م.**
(21)	**ابن حبان : محمد بن أحمد**	**صحيح ابن حبان ـــ تحقيق:شعيب الأرناءوط.الطبعة مؤسسة الرسالة – بيروت –الثالثة –1414هـــ 1983م**
(22)	**ابن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني**	**مسند الإمام أحمد ـــ مؤسسة قرطبة – القاهرة ـــ د ـــ ت ـــ ط.**
(23)	**ابن عبد البر: أحمد بن علي**	**فتح الباري شرح البخاري ـــ مكتبة دار الفيحاء ـــ دار النشر مكتبة دار السلام ـــ1420هـــ /2003م.**
(24)	**ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني**	**سنن ابن ماجة – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – بيروت ـــ د ـــ ت ـــ ط.**
(25)	**أبو داؤد: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي**	**سنن أبوداؤود ـــ تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – دار الفكر – بيروت ـــ د ـــ ت ـــ ط.**
(26)	**الألباني : محمد ناصر الدين**	**السلسلة الضعيفة ـــ مكتبة المعارف –الرياض – د- ت- ط.**
(27)	**الإمام مالك بن أنس**	**موطأ مالك رواية محمد بن الحسن – تحقيق د.تقي الدين الندوي – دار القلم- دمشق ـــ1413هـــ/ 1991م.**
(28)	**البخاري : أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل**	**الجامع الصحيح المختصر- تحقيق : مصـــــــــــطفى ديب البـــغاـــ دار ابن كثير – اليمامة – الطبعة الثالثة –1407هـــ/ 1987م.**

(29)	= =	الأدب المفرد – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة الثالثة – 1409هـ/ 1989م.
(30)	البيهقي :أبو بكر أحمد بن الحسين	شعب الإيمان – تحقيق: محمد السعيد بسيوني – دار الكتب العلمية ـ بيروت – الطبعة الأولى ـ 1410 هـ.
(31)	الترمذي: محمد بن عيسى	سنن الترمذي ـ تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ب ـ ت ـ ط.
(32)	الحاكم : محمد بن عبد الله	المستدرك على الصحيحين ـ تحقيق :مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت –الطبعة الأولى : 1411هـ 1990م.
(33)	الخراساني:سعيد بن منصور	سنن سعيد بن منصور ـ تحقيق –حبيب الرحمن ألأعظمي –الدار السلفية – الهند 1403هـ/ 1982م ـ الطبعة الأولى.
(34)	الدارمي:أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن	سنن الدارمي – تحقيق : فواز أحمد زمرلي وآخرون – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى ـ 1407هـ.
(35)	الطبراني:سليمان بن أحمد بن أيوب	المعجم الكبير ـ تحقيق : حمدي بن عبد الحميد السلفي – مكتبة العلوم والحكم – الموصل –الطبعة الثانية – 1404هـ / 1983م.
(36)	المباركفوري:محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم	تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ـ دار الكتب العلمية بيروت ب ـ ت ـ ط.
(37)	النسائي : أحمد بن شعيب	سنن النسائي ـ تحقيق : عبد الفتاح أبوغدة – المطبوعات الإسلامية – حلب – الطبعة الثانية ـ 1406هـ/ 1986م.
(38)	النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف الدين بن مري	المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية – 1393هـ.
(39)	مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج	صحيح مسلم ـ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ ب ـ ت ـ ط.

رابعاً:كتب العقيدة والفقه وأصوله

(40)	ابن تيمية:أحمد بن عبد السلام	الصارم المسلول على شاتم الرسول ــ تحقيق:محمد عبد الله عمر الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري – دار ابن القيم –بيروت – الطبعة الأولى –1417هـ.
(41)	ابن تيمية:محمد بن عبد السلام	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح– تحقيق : د.علي حسن ناصر وآخرون دار العاصمة – الرياض – الطبعة الأولى ــ 1414هـ
(42)	أبو الحسن : محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي	التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع – تحقيق :محمد زاهد بن الحسن الكوثري – المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة – الطبعة الثانية – 1977م.
(43)	أبو سعيد: عبد الرحمن بن محمد	الغنية في أصول الدين – تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر –مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية – بيروت – الطبعة الأولى –1978م.
(44)	أبو محمد:علي بن أحمد	الفصل في الملل والأهواء والنحل –مطبعة دار الجبل –بيروت –لبنان ــ ب ــ ت ــ ط.
(45)	أبو يوسف: يعقوب بن إسحاق	إصلاح المنطق – تحقيق –أحمد محمد شاكر وعبد السلام –دار المعارف –القاهرة ــ ب ــ ت ــ ط.
(46)	الجزيري:عبد الرحمن	الفقه على المذاهب الأربعة ــ دار الفجر للتراث ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ــ 1412هـ/2000م.
(47)	الإسماعيلي:أبوبكر أحمد بن إبراهيم	اعتقاد أئمة الحديث – تحقيق:محمد بن عبدا لرحمن الخميس– دار العاصمة – الرياض– الطبعة الأولى –1412هـ.
(48)	الشاطبي:إبراهيم بن	الموافقات – تحقيق :عبد الله دراز – دار الكتب

	موسى	العلمية – بيروت –1398هـ / 1978م.
(49)	الأصبهاني:إسماعيل بن محمد ابن الفضل	دلائل النبوة – تحقيق : محمد محمد الحداد – دار طيبة : الرياض – الطبعة الأولى ـ 1409هـ
(50)	العجلوني:إسماعيل بن محمد	كشف الخفاء ج–2–تحقيق ـ أحمد القلاش – مؤسسة الرسالة – بيروت –1405هـ ـ الطبعة الرابعة.
(51)	الماوردي:أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب	الأحكام السلطانية والولايات الدينية – دار الكتب العلمية –بيروت ـ ب ـ ت ـ ط.
(52)	حكمي:حافظ بن أحمد	معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ـ تحقيق : عمر بن محمود ـ دار ابن القيم – الدمام –الطبعة الأولى ـ 1410هـ/ 1990م.
(53)	د. يحيى إسماعيل	منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم – دار الوفاء –المنصورة – الطبعة الأولى – 1406هـ/ 1986م.
(54)	د.وهبة الزحيلي	الفقه الإسلامي وأدلته ـ دار الفكر المعاصر ـ دمشق –الطبعة الرابعة ـ 1418هـ/ 1997م.

خامساً: كتب السيرة والتاريخ

(55)	ابن قيم الجوزية:محمد بن أبي بكر الزرعي	زاد المعاد في هدي العباد – تحقيق : شعيب الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت 1407هـ /1986م
(57)	ابن تيمية:أحمد بن عبد السلام	مجموع الفتاوى – طبع بأمر صاحب السمو ولي العهد فهد بن عبد العزيز ـ 1401هـ/ 1981م.
(57)	ابن سعد:محمد بن سعد بن منيع	الطبقات الكبرى – دار صادر –بيروت – د–ت–ط.
(58)	أبو القاسم علي بن هبة الله	تأريخ دمشق – تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامه – دار الفكر – بيروت –1995م
(59)	ابن خلدون:عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي	مقدمة تأريخ بن خلدون ـ دار الفكرـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة ـ الثانية–1408هـ/ 1988م.
(60)	ابن إسحاق:محمد بن إسحاق العباسي	أخبار مكة للفاكهي ـ تحقيق: د.عبد الملك عبد الله دهيش – دار خضر ـ بيروت –1414هـ ـ الطبعة الثانية.
(61)	محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي	سير أعلام ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة التاسعة ـ 1413هـ.

سادساً: كتب اللغة العربية والمعاجم

(62)	ابن قتيبة:أبو محمد عبد الله	أدب الكاتب ــ تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة التجارية – مصر – الطبعة الرابعة ــ1963م.
(63)	ابن منظور:جمال الدين أبو محمد بن مكرم	لسان العرب – مطبعة دار المعارف ــ ب ــ د ــ ت ــ ط.
(64)	أبو يوسف: يعقوب بن إسحاق	إصلاح المنطق – تحقيق –أحمد محمد شاكر وعبد السلام –دار المعارف –القاهرة ــ ب ــ ت ــ ط.
(65)	الأصفهاني:القاسم الحسين بن محمد بن المفضل	محاضرات الأدباء ــ تحقيق:عمر الطباع – دار القلم – بيروت –1420هــ/ 1999م
(66)	البغدادي:أبوعلي إسماعيل بن القاسم القالي	الأمالي في لغة العرب ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ 1398هــ/ 1978م.
(67)	الجرجاني:علي بن محمد بن علي أبو الحسين الحسني	التعريفات ــ تحقيق:د.عبد الرحمن عميره – عالم الكتب بيروت – الطبعة الأولى ــ1407هــ/ 1987م.
(68)	الرازي:محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي	مختار الصحاح ــ المحقق – محمود خاطر ــ مكتبة لبنان –ناشرون ــ بيروت ــ1415هــ/ 1995م.
(69)	الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد	أساس البلاغة – دار الفكر ــ بيروت ــ 1399هــ ــ 1979م
(70)	الفيومي:أحمد بن علي	المصباح المنير ــ المكتبة العلمية ــ ب ــ د ــ ت ــ ط.
(71)	القلقشندي:أحمد بن علي	صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ــ تحقيق: د.يوسف علي طويل – دار الفكر – دمشق–1978م.
(72)	المقدسي:عبد الغني بن عبد الواحد بن علي	أحاديث الشعر– تحقيق : إحسان عبد المنان الجبالي – المكتبة الإسلامية – الأردن – الطبعة الأولى ــ 1410هــ
(73)	مجد الدين محمد يعقوب	القاموس المحيط ــ مطبعة دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ــ 1420هــ/1999م.

سابعاً:مراجع ثانوية:

(74)	ابن القيم:شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي	الفوائد – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية – 1393هـ/ 1973م.
(75)	أبو الحسن علي بن بسام	الذخيرة في محاسن الجزيرة – تحقيق إحسان عباس –دار الثقافة –بيروت –1417هـ/ 1997م.
(76)	آدم متز	الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة –1377هـ/ 1957م
(77)	الأصبهاني:أبو طاهر أحمد بن محمد	معجم السفر –تحقيق :عبد الله البارودي – المكتبة التجارية – مكة المكرمة ــ ب ــ د ــ ت ــ ط.
(78)	الأصفهاني:عبد الله بن محمد بن جعفر	العظمة: تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المبارك فوري – دار العاصمة –الرياض– الطبعة الأولى
(79)	الرفاعي:أحمد بن علي بن ثابت	البرهان المؤيد – دار الكتب النفيس – بيروت – الطبعة الــأولى ــ 1407هـ.
(80)	الزر قاني:عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي	المنامات – تحقيق : عبد القادر أحمد عطا مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – الطبعة الأولى ــ 1413هـ/1993م
(81)	السلمي:أبو عبد الرحمن	آداب الصحبة – تحقيق مجدي فتحي السيد – دار الصحابة التراث – طنطا– مصر – 1410هـ/ 1990م ــ الطبعة الأولى
(82)	العلواني:طه جابر	إصلاح الفكر الإسلامي – المعهد العالمي للفكر الإسلامي –الطبعة الأولى ــ1412هـ/ 1991م

(83)	الغزالي:أبو حامد محمد بن محمد بن محمد	فضائح الباطنية-تحقيق-عبد الرحمن بدري – مؤسسة دار الكتب الثقافية الكويت ــ ب ــ د ــ ت ــ ط.
(84)	الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي	إحياء علوم الدين – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة-د-ت-ط-ص.
(85)	المحاسبي:أبو عبد الله حارث بن أسد	آداب النفوس – تحقيق:عبد القادر أحمد عطا ــ دار الجبل ــ بيروت ــ لبنان ــ 1984م.
(86)	المنذري:عبد العظيم بن عبد القوي	الترغيب والترهيب ــ تحقيق : إبراهيم شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت .
(87)	النيسابوري:أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني	مجمع الأمثال – تحقيق – محمد محي الدين عبد الحميد- دار المعرفة ــ بيروت ــ ب ــ د ــ ت ــ ط.
(88)	د.طه عابدين طه	الأسس العسكرية في القرآن- رسالة دكتوراه غير منشورة ــ جامعة أم درمان الإسلامية – 1420هــ/1999م.
(89)	د.عارف خليل أبوعيد	نظام الحكم في الإسلام ــ دار النفائس للطباعة والنشر -الأردن ــ الطبعة الأولى – 1416هــ/ 1996م.
(90)	د.عبد القادر الفادني	منهج الإسلام في تربية الأجسام – سلسلة إصدارات دار الشريعة- 1419هــ/ 1998م
(91)	د.عمر بن علي با دحد ح	مقومات الداعية الناجح-مطبعة دار الأندلس الخضراء -جدة ــ ب ــ د ــ ت ــ ط.
(92)	د.يوسف القرضاوى	الخصائص العامة للإسلام-مؤسسة الرسالة – بيروت -1404هــ -1983م
(93)	د.يوسف القرضاوى	الإيمان والحياة – مطبعة وهبة ــ بيروت ــ 1404هــ/1984م
(94)	د.يوسف القرضاوى	شريعة الإسلام ــ الطبعة الثانية ــ المكتب

		الإسلامي ــ1396هــ
(95)	**عبد الكريم زيدان**	**أصول الدعوة ــ دار ابن الخطاب ــ الإسكندرية ــ الطبعة الثالثة.**
(96)	**علي صادق أبو هيف**	**القانون الدولي العام ــ منشأة المعارف الإسكندرية ــ1993م.**
(97)	**محمد إسماعيل إبراهيم**	**معجم الألفاظ والإعلام القرآنية – دار الفكر العربي ــ ب ــ د ــ ت ــ ط.**
(98)	**محمد المبارك**	**المجتمع المسلم ــ الطبعة الثانية دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ــ 1393هــ/ 1973م**
(99)	**محمد بن أبي بكر أيوب**	**الفوائد ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ــ1393هــ/ 1973م.**
(100)	**نصر محمد عارف**	**التراث السياسي الإسلامي – 1401هــ/ 1981م**

فهرس الموضوعات